حقایق اخوند ملا محسن ره

بدانکه اگر خواهی که تسخیر کنی حرف اسم آن شخص را ملاحظه میکنی و در برابر آن حروف اسمی از اسماء الله
که نوشته شده بعدد جمل کبیر حساب میکنی اول بموافق عدد خود هر اسم را میخوانی و اسم مطلوب را
حساب میکنی و مجموع اسماء الله را بموافق عدد اسم مطلوب هر صباح تا یازده روز هر روز از اول بلا
سکی مطلوب مسخر میشود از برکت این اسماء و بفرمان خدای یکتا انشاء الله کان و ...
الحکیم

حرف	اسم	عدد
ا	الله	٦٦
ب	رقیب	٢٩٩
ج	رحیم	٢٥٨
د	ملک	٩٠
ه	قدوس	١٧٠
و	سلام	١٣١
ز	مؤمن	١٣١
ح	مهیمن	١٣٥
ط	عزیز	٩٤
ی	جبار	٢٠٦
ک	متکبر	٦٦٢
ل	خالق	٧٣١
م	بارئ	٢١٣
ن	مصور	٣٣٦
س	غفار	١٢٨١
ع	قهار	٣٠٦
ف	وهاب	١٤
ص	رزاق	٣٠٧
ق	فتاح	٤٨٩
ر	علیم	١٥٠
ش	قابض	٩٠٣
ت	باسط	٧٢
ث	حافظ	٩٨٩
خ	رافع	٣٥١
ذ	معز	١٢٤
ض	مذل	٧٠٧
ظ	سمیع	١٠٨
غ	بصیر	٣٠٢

حقایق اخوند ملا محسن ره

بدانکه اگر خواهی تسخیر کسی بکنی حروف اسم آن شخص را ملاحظه کن و در برابر هر حرف اسمی از اسماء الله که در ذیل نوشته شده بعدد جمل کبیر حساب بکن اول بموافق عدد خود هر اسم را بیرون آر و اسم مطلوب را حساب بکن و مجموع اسماء الله را بموافق عدد اسم مطلوب مرض صاحب ـ یا ده روز هر روز بخواند الی بکن الی مطلوب حاصل تسخیر می شود از اکثر کتب است . و بفرمان خدای یکتا هستند الارکان و ملائکه الحکیم

الله	ب	ج	د	ه	و	ز	ح	ط
الله	رحمن	رحیم	ملک	قدوس	سلام	مؤمن	مهیمن	عزیز
۶۶	۲۹۹	۲۵۸	۹۰	۱۷۰	۱۳۱	۱۳۱	۱۴۵	۹۴
ی	ک	ل	م	ن	س	ع	ف	ص
جبار	متکبر	خالق	بارئ	مصور	غفار	قهار	وهاب	رزاق
۲۰۶	۶۶۲	۷۳۱	۲۱۳	۳۳۶	۱۲۸۱	۳۰۶	۱۴	۳۰۷
ق	ر	ش	ت	ث	خ	ذ	ض	ظ	غ
فتاح	علیم	قابض	باسط	حافظ	رافع	معز	مذل	سمیع	بصیر
۴۸۹	۱۵۰	۹۰۳	۷۲	۹۸۹	۳۵۱	۱۲۴	۷۰۷	۱۰۸	۳۰۲

فهرست

كتاب الحقايق وهو مرتب على ست مقالات في كل مقالة ابواب وفي كل باب فصول



من افادات افضل المحققين واكمل المدققين مولانا محمد محسن كاشي ره
مسمى بحقايق

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي نور قلوبنا بنور الايمان وعرفنا من اسرار الحديث والقرآن
والصلوة على محمد سيد المرسلين وآله الطيبين الطاهرين المعصومين
اما بعد فيقول الفقير الى الله محمد بن مرتضى المدعو بمحسن ايده الله تعالى
اني اذكر بعون الله تعالى في هذا الكتاب من اسرار الدين ما لا يطلع عليه الا من كان له قلب
او القى السمع وهو شهيد الى معارج اليقين وانما اخذته من كتاب الله وسنة
سيد المرسلين واحاديث الائمة المعصومين واضفت اليه ما وجدته في كتب
علماء الدين ولا سيما كتاب احياء علوم الدين لابي حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي مما
يصلح لان يكون بيانا للمباني وتفسيرا للمعاني بتغيير في اللفظ ومزيد منقح مع ترك الفوايد
تخليا سبيل الزوايد وسميته بالحقايق ورتبته على ست مقالات في كل مقالة
ابواب وفي كل باب فصول ومن الله التاييد المقالة الاولى فيما هو بمنزلة الاصول
وفيها ثلثة ابواب الباب الاول في العلم اعلم ان السبب الكلي لخلق العالم العلوي
والسفلي وافضل ما يتقرب به الى الله العلي هو العلم قال الله سبحانه وهو الذي
خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن يتنزل الامر بينهن لتعلموا ان الله على كل شيء
قدير وان الله قد احاط بكل شيء علما وقال شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة

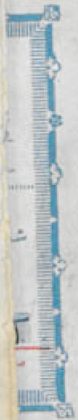
واولوا

واولوا العلم وقال انما يخشى الله من عباده العلماء وقال هل يستوي الذين يعلمون و
الذين لا يعلمون وقال وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون وفي الحديث
النبوي ص العلماء ورثة الانبياء وفيه اللهم ارحم خلفائي قيل يا رسول الله ومن
خلفاؤك قال الذين ياتون بعدي ويروون حديثي وسنتي وفي الحديث العلوي
ان كمال الدين طلب العلم والعمل به وان طلب العلم اوجب عليكم من طلب المال
ان المال مقسوم مضمون لكم قد قسمه عادل بينكم وقد ضمنه وسيفي لكم والعلم
مخزون عند اهله فاطلبوه وعن السجاد ع لو يعلم الناس ما في طلب العلم لطلبوه
ولو بسفك المهج وخوض اللجج وعن الباقر ع عالم ينتفع بعلمه افضل من سبعين
الف عابد وعن الصادق ع من علم خيرا فله مثل اجر من عمل به وعن الرضا ع
عن ابائه عن النبي ص انه قال طلب العلم فريضة على كل مسلم فاطلبوا العلم في مظانه
واقتبسوه من اهله فان تعلمه لله حسنة وطلبه عبادة والمذاكرة به تسبيح
والعمل به جهاد وتعليمه من لا يعلمه صدقة وبذله لاهله قربة الى الله تعالى
لانه معالم الحلال والحرام ومنار سبيل الجنة والمونس في الوحشة والصاحب
في الغربة والوحدة والمحدث في الخلوة والدليل على السراء والضراء والسلاح
على الاعداء والزين عند الاخلاء يرفع الله تعالى به اقواما فيجعلهم في الخير قادة
اثارهم ويقتدى بفعالهم وينتهى الى آرائهم ترغب الملائكة في خلتهم وباجنحتها
تمسحهم وفي صلواتها تبارك عليهم ويستغفر لهم كل رطب ويابس حتى حيتان
البحر وهوامه وسباع البر وانعامه وان العلم حيوة القلوب من الجهل وضياء
الابصار من الظلمة وقوة الابدان من الضعف يبلغ بالعبد منازل الاخيار
ومجالس الابرار والدرجات العلى في الاخرة والاولى والذكر فيه يعدل بالصيام
ومدارسته بالقيام به يطاع الرب ويعبد وبه توصل الارحام ويعرف الحلال

والحرام العلم امام والعمل تابعه يلهمه السعداء ويحرمه الاشقياء فطوبى لمن لم
يحرمه الله نفعه من حظه والاخبار في فضيلة العلم وشرفه اكثر من ان تحصى

فصل

اعلم ان الشيء النفيس المرغوب فيه ينقسم الى ما يطلب لذاته والى ما يطلب لغيره والى
ما يطلب لذاته ولغيره وما يطلب لذاته اشرف وافضل مما يطلب لغيره وما يطلب
لذاته ولغيره اشرف مما يطلب لذاته فحسب والمطلوب لغيره كالدنانير والدراهم فانهما
حجران لا منفعة فيهما ولولا ان الله عز وجل يسر قضاء الحاجات بهما لكانا و
الحصى بمنزلة واحدة والذي يطلب لذاته كاللذات والذي يطلب لذاته و
لغيره فكسلامة البدن فان سلامة الرجل مطلوبة من حيث انه سلامة عن الالم
ومطلوبة للمشي بها والتوصل الى المآرب والحاجات وبهذا الاعتبار اذا نظرت الى
العلم رايته لذيذا في نفسه فيكون مطلوبا لذاته ووجدته وسيلة الى سعادة
الدنيا والاخرة وذريعة الى القرب من الله فانه لا يتوصل اليهما الا به واعظم الاشياء
رتبة في حق الادمي السعادة الابدية والقرب من الله وافضل الاشياء ما هو و
سيلة اليهما ولا يتوصل اليهما الا بالعلم والعمل ولا يتوصل الى العمل ايضا الا بالعلم
بكيفية العمل فاصل السعادة في الدنيا والاخرة هو العلم فهو اذن افضل الاشياء
وكيف لا وقد تعرف فضيلة الشيء ايضا بشرف ثمرته وقد عرفت ان ثمرة العلم القرب
من رب العالمين والالتحاق بافق الملائكة ومقارنة الملأ الاعلى
هذا في الاخرة واما في الدنيا فالعز والوقار ونفوذ الحكم على الملوك
ولزوم الاحترام في الطباع حتى ان اغبياء الترك واجلاف العرب يصادفون
طباعهم مجبولة على التوقير لشيوخهم لاختصاصهم بمزيد علم مستفاد
من التجربة بل البهيمة بطبعها توقر الانسان لشعورها بتمييز الانسان بكمال
مجاوز لدرجتها هذه فضيلة العلم مطلقا ثم تختلف العلوم باختلاف



مراتبها فيتفاوت لا محالة فضائلها بتفاوتها الى ان ينتهي الى معرفة الله تعالى بحقيقة
اليقين التي هي اصل كل معرفة راسخة قال الصادق لو يعلم الناس ما في فضل معرفة
الله ما مدوا اعينهم الى ما متع به الاعداء من زهرة الحياة الدنيا ونعيمها وكانت
دنياهم اقل عندهم مما يطؤونه بارجلهم ولنعموا بمعرفة الله تعالى وتلذذوا بها تلذذ من لم
يزل في روضات الجنان مع اولياء الله ان معرفة الله انس من كل وحشة وصاحب
من كل وحدة ونور من كل ظلمة وقوة من كل ضعف وشفاء من كل
سقم ثم قال قد كان قبلكم قوم يقتلون ويحرقون وينشرون بالمناشير
وتضيق عليهم الارض برحبها فما يردهم عما هم عليه شيء مما هم فيه من غير ترة
وتروا من فعل ذلك بهم ولا اذى بما نقموا منهم الا ان يؤمنوا بالله العزيز الحميد
فسلوا ربكم درجاتهم واصبروا على نوائب دهركم تدركوا سعيهم

فصل

العلم علمان علم الدنيا وعلم الاخرة وعلم الدنيا ما يرتبط به مصالح
الدنيا كالطب والحساب وعلم الاخرة علمان علم يقصد لذاته وعلم يقصد
للعمل ليتوسل به الى العلم المقصود لذاته فان اريد به الدنيا التحق بعلم الدنيا وعلم
الاخرة محمود كله واما علم الدنيا فمنه محمود ومنه مذموم اما العلم المقصود لذاته
فهو نور يظهر للقلب عند تطهيره وتزكيته من صفاته المذمومة فينكشف من
ذلك النور امور كان يسمع من قبل اسمائها ويتوهم لها معاني مجملة غير متضحة
فيتضح له ذلك حتى تحصل المعرفة الحقيقية بذات الله سبحانه وبصفاته التامات
بقدر الامكان وبافعاله وبحكمته في خلق الدنيا والاخرة ووجه ترتيب الاخرة على
الدنيا والمعرفة بمعنى النبوة والنبي ومعنى الامامة والامام ومعرفة معنى الوحي
والالهام ومعنى الملائكة والشياطين وكيفية معاداة الشيطان للانسان و
كيفية ظهور الملك للانبياء وكيفية وصول الوحي الى النبي وحديث الملك

مع الامام والمعرفة بملكوت السموات والارض ومعرفة القلب وكيفية تصادم
جنود الملئكة والشياطين فيه ومعرفة الفرق بين لمة الملك ولمة الشيطان و
معرفة الاخرة والجنة والنار وعذاب القبر والصراط والميزان والشفاعة والحساب
ومعنى قوله عز وجل وكفى بنفسك اليوم عليك حسيبا ومعنى قوله وان الدار الاخرة
لهي الحيوان لو كانوا يعلمون ومعنى لقاء الله عز وجل والنظر الى وجهه
الكريم ومعنى القرب منه والمقام في جواره ومعنى لقاء الله عز وجل والنظر الى
حصول السعادة بمرافقة الملاء الاعلى ومقارنة الملئكة والنبيين ومعنى تفاوت
درجات اهل الجنة حتى يرى بعضهم بعضا كما يرى الكوكب الدري في جو السماء الى غير
ذلك مما يطول في تفصيله فان الناس في معاني هذه الامور بعد التصديق باصولها
مقامات فبعضهم يرى ان جميع ذلك امثلة وان الذي اعده الله لعباده الصالحين ما لا
عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وانه ليس مع الخلق من الجنة الا
الصفات والاسماء وبعضهم يرى ان بعضها امثلة وبعضها يوافق حقايقها
المفهومة من الفاظها وكذا يرى بعضهم ان منتهى معرفة الله سبحانه الاعتراف بالعجز عن
معرفته وبعضهم يدعي امورا عظيمة في المعرفة بالله عز وجل وبعضهم يقول
حد معرفة الله ما انتهى اليه اعتقاد جميع العوام وهو انه سبحانه عالم قادر
سميع بصير متكلم مريد فنعني بالعلم المقصود لذاته ان يرتفع الغطاء حتى يتضح
جلية الحق في هذه الامور اتضاحا يجري مجرى العيان الذي لا شك فيه وهذا
ممكن في جوهر الانسان الا ان مرآة القلب قد تراكم صداها وخبثها بقاذورات
الدنيا فلا بد من تصفية هذه المرآة عن هذه الخبائث التي هي الحجاب عن الله سبحانه
وعن معرفة صفاته وافعاله وانما تصفيتها وتطهيرها بالكف عن الشهوات والاقتداء
بالانبياء والائمة عليهم السلام في جميع احوالهم فبقدر ما ينجلي من القلب

ويحاذي

ويحاذي به شطر الحق يتلألأ فيه حقايقه ولا سبيل الى ذلك الا بالتعلم والتعلم
والخشية والتقوى والفطنة والذكاء وهذه هي العلوم التي لا تسطر في الكتب ولا
يتحدث بها من انعم الله عليه منها بشيء الا مع اهله وهو المشارك فيه على سبيل
المذاكرة وبطريق الاسرار وهذا العلم الخفي هو الذي اراده النبي بقوله صلعم
ان من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه الا اهل المعرفة بالله فاذا نطقوا به لم
يجهله الا اهل الاغترار بالله عز وجل ولم يحمله الا اهل الاغترار بالله فلا
تحقروا عالما آتاه الله علما فان الله عز وجل لم يحقره اذ آتاه اياه وعن امير المؤمنين ع
انه قال ان من احب عباد الله اليه عبدا اعانه الله على نفسه فاستشعر الحزن
وتجلبب الخوف فزهر مصباح الهدى في قلبه الى ان قال قد خلع سرابيل الشهوات
وتخلى من الهموم الا هما واحدا انفرد به فخرج من صفة العمى ومشاركة اهل
الهوى وصار من مفاتيح ابواب الهدى ومغاليق ابواب الردى قد ابصر
طريقه وسلك سبيله وعرف مناره وقطع غماره واستمسك من العرى باوثقها
ومن الحبال بامتنها فهو من اليقين على مثل ضوء الشمس وفي كلام آخر
له عليه السلام قد احيى عقله وامات نفسه حتى دق جليله ولطف غليظه وبرق
له لامع كثير البرق فابان له الطريق وسلك به السبيل وتدافعته الابواب
الى باب السلامة ودار الاقامة وثبتت رجلاه لطمأنينة بدنه في
قرار الامن والراحة بما استعمل قلبه وارضى ربه وقال عليه السلام اندمجت على
مكنون علم لو بحت به لاضطربتم اضطراب الارشية في الطوي البعيدة
وقال عليه السلام علمني رسول الله صلعم الف باب من العلم فتح لي من كل باب الف باب
وسأل كميل بن زياد النخعي عن الحقيقة فقال ع ما لك والحقيقة قال اولست صاحب
سرك قال بلى ولكن يرشح عليك ما يطفح مني ثم اجابه عما سأل

قال في رواية اخرى انه عليه السلم اخذ بيدي فاخرجني الى الجبان فلما اصحر تنفس
الصعداء ثم قال لي يا كميل بن زياد ان هذه القلوب اوعية فخيرها اوعاها
فاحفظ عني ما اقول لك الناس ثلثة فعالم رباني ومتعلم على سبيل نجاة وهمج
رعاع اتباع كل ناعق يميلون مع كل ريح لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجأوا
الى ركن وثيق الى ان قال ها اه ان ههنا لعلما جما واشار الى صدره لو اصبت
له حملة بلى اصيب لقنا غير مامون عليه مستعملا آلة الدين للدنيا مستظهرا
بنعم الله على عباده وبحججه على اوليائه او منقادا لحملة الحق لا بصيرة له في احنائه
ينقدح الشك في قلبه لاول عارض من شبهة الا لا ذا ولا ذاك او منهوما
باللذة سلس القياد للشهوة او مغرما بالجمع والادخار ليسا من رعاة الدين
في شيء اقرب شبها بهما الانعام السائمة كذلك يموت العلم بموت حامليه
اللهم بلى لا تخلو الارض من قائم لله بحجة اما ظاهرا مشهورا او خائفا
مغمورا لئلا تبطل حجج الله وبيناته وكم ذا واين اولئك اولئك والله
الاقلون عددا الاعظمون قدرا بهم يحفظ الله حججه وبيناته حتى يودعوها
نظراءهم ويزرعوها في قلوب اشباههم هجم بهم العلم على حقيقة البصيرة و
باشروا روح اليقين واستلانوا ما استوعره المترفون وانسوا بما استوحش
منه الجاهلون وصحبوا الدنيا بابدان ارواحها معلقة بالمحل الاعلى اولئك
خلفاء الله في ارضه والدعاة الى دينه آه آه شوقا الى رؤيتهم وعن السجاد ع انه
قال والله لو علم ابو ذر ما في قلب سلمان لقتله ولقد آخا رسول الله ص بينهما فما ظنكم
بسائر الخلق ان علم العلماء صعب مستصعب لا يحتمله الا ملك مقرب او نبي مرسل
او عبد مؤمن امتحن الله قلبه للايمان قال وانما صار سلمان من العلماء لانه امرء
منا اهل البيت ع فلذلك نسبه الى العلماء واراد ع اهل بيت التوحيد

والعلم والمعرفة والحكمة لا اهل بيت النسوان والصبيان والاهل والاولاد
وفي الحديث النبوي ص ايضا سلمان منا اهل البيت وفيه ايضا لو علم ابو ذر ما في بطن
سلمان من الحكمة لكفره وفي رواية لقتله وعن السجاد ع في ابيات منسوبة اليه
اني لاكتم من علمي جواهره كيلا يرى الحق ذو جهل فيفتتنا وقد تقدم
في هذا ابو حسن الى الحسين ووصى قبله الحسنا يا رب جوهر
علم لو ابوح به لقيل لي انت ممن يعبد الوثنا ولاستحل رجال مسلمون
دمي يرون اقبح ما ياتونه حسنا وعن الكاظم ع الناس كلهم بهائم الا قليل
من المؤمنين اقول ويصدق ذلك قوله الله سبحانه ام تحسب ان اكثرهم
يسمعون او يعقلون ان هم الا كالانعام بل هم اضل سبيلا وعن الصادق ع
ان امرنا سر مستور في سر مقنع بالميثاق من هتكه اذله الله وقال عليه السلم
ان امرنا سر مستور في سر وسر مستسر وسر لا يفيده الا سر وسر على
مقنع بسر وقال ع هو الحق وحق الحق وهو الظاهر وباطن الظاهر و
باطن الباطن وهو السر وسر المستسر وسر مقنع بالسر وقال عليه السلم
مشيرا الى وجوب كتمان هذا السر التقية ديني ودين ابائي فمن لا تقية
له لا دين له وقال ع خالطوا الناس بما يعرفون ودعوهم مما ينكرون ولا
تحملوا على انفسكم وعلينا ان امرنا صعب مستصعب لا يحتمله الا ملك مقرب
او نبي مرسل او عبد مؤمن امتحن الله قلبه للايمان فصل واما العلم
المقصود للعمل ليتوسل به الى العلم المقصود لذاته فقسمان احدهما علم
الاخلاق والثاني علم الشرايع اما علم الاخلاق فهو علم احوال القلب
اما ما يحمد منها فكالصبر والشكر والخوف والرجاء والتسليم والرضا والزهد
والتقوى والقناعة والسخاء والعفو والاحسان وحسن الخلق وحسن المعاشرة

واداء الامانة والصدق والاخلاص ومعرفة المنة لله في جميع الاحوال فمعرفة
حقايق هذه الاحوال وحدودها واسبابها التي بها تكتسب وثمراتها وعلاماتها
ومعالجة ما ضعف منها حتى يقوى من علم الاخرة والمهلكات كخوف الفقر وسخط
المقدور والغل والحقد والحسد والغش وطلب العلو وحب الثناء وحب طول البقاء
في الدنيا للتمتع والكبر والرياء والغضب والانفة والعداوة والبغضاء
والطمع والبخل والرغبة والبذخ والاشر والبطر وتعظيم الاغنياء والاستهانة
بالفقراء والفخر والخيلاء والتنافس والمباهات والاستكبار عن الحق
والخوض فيما لا يعني وحب كثرة الكلام والصلف والمداهنة والعجب و
الاشتغال عن عيوب النفس بعيوب الناس وزوال الحزن من القلب وخروج
الخشية منه وشدة الانتصار للنفس اذا نالها ذل وضعف الانتصار للحق و
اتخاذ اخوان العلانية على عداوة السر والامن من مكر الله في سلب ما اعطى والاتكال
على الطاعة والمكر والخيانة والمخادعة وطول الامل والقسوة والفظاظة
والفرح بالدنيا والاسف على فواتها والانس بالمخلوقين والوحشة لفراقهم
والاعانة منهم على التيه والجفاء والطيش والعجلة وقلة الحياء وقلة الرحمة
فهذه وامثالها من صفات القلب مغارس الفواحش ومنابت الاعمال المحظورة
واضدادها وهي الاخلاق المحمودة منبع الطاعات والقربات فالعلم
بحدود هذه الامور وحقايقها واسبابها وثمراتها وعلاجها هو علم الاخرة
وهو فرض عين على كل من له اهلية ذلك ولا ينفذ حوصلته لا يكلف الله نفسا
الا وسعها واما علم الشرايع فهو العلم بكيفية العبادات المشروعة من الطهارة
والصلوة والزكوة والصيام والحج والجهاد والامر بالمعروف والنهي عن
المنكر واسرارها والعلم بالاحكام المحدودة من الحلال

والحرام

والحرام في المكاسب والمعاملات من البيع والشراء والربا والقرض والتقاص والاجارة و
الشركة والمزارعة والمداينة والرهان والضمان والكفالة والوكالة والوديعة
والاقرار والصلح والعطايا والبر والنكاح والفراق وقسمة المواريث والعلم
بالحدود والتعزيرات والقصاص والديات وتجهيز الاموات والعلم بآداب
الاكل والشرب واللباس والمسكن والتحية والضيافة والطيب والكلام و
المواخاة والمعاشرة والسفر والحقوق الى غير ذلك وهو ايضا فرض عين بقدر
الاحتياج والذكاء وفرض كفاية للفتيا والقضاء واما الطريق الى تحصيل هذين
العلمين اعني علم الاخلاق وعلم الشرايع فهو ما نتلوا عليك فاستمع واتبع سبيل
الذين هم مهتدون ولا تتبع اهواء الذين لا يعلمون **فصل** اعلم ان كلا من العلوم
الثلثة الاخروية ليسمى بعلم الدين وعلم الفقه وتعلمه يسمى بالتفقه في الدين
قال الله عز وجل فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين
ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون وقال الصادق ع لاصحابه
عليكم بالتفقه في دين الله ولا تكونوا اعرابا فانه من لم يتفقه في دين الله لم ينظر الله
اليه يوم القيمة ولم يزك له عملا وقال ع ليت السياط على رؤس اصحابي حتى يتفقهوا
في الحلال والحرام وقال ع ان اية الكذاب ان يخبرك بخبر السماء والارض والمشرق
والمغرب فاذا سالته عن حرام الله وحلاله لم يكن عنده شيء الى غير ذلك مما في هذا
المعنى فالتفقه في الدين عبارة عن تحصيل البصيرة في المسايل الدينية علمية كانت
او عملية باطنية او ظاهرية متعلقة بالعبادات او المعاملات فرضا معرفتها
او العمل بها او سنة او ادبا وغرضنا الان بيان كيفية هذا التحصيل فان
الناس اختلفوا فيه حتى اوضعوا الجماهير في التيه ونحن بتاييد الله عز وجل نكشف
عن وجه الحق فيه النقاب بحيث لا يبقى معه شك ولا ارتياب فنقول ان النكس

كانوا في زمن رسول الله صلى الله عليه وآله يأخذون العلم مما يوحى اليه واما بعده فصاروا فرقتين

فرقة قالوا بالاجماع المزور في تعيين الامام وباتباع المتشابهات في العقائد والاحكام

مضافا الى المحكمات ابتغاء الفتنة وابتغاء التأويل وانتحال الدليل قبل الاختلاف

الدليل وهم اصحاب ابي بكر بن ابي قحافة التيمي وعمر بن الخطاب العدوي ومن

يحذو حذوهم من الذين قالوا بالاجتهاد والرأي في كل شيء فيبدلا آراؤهم

ويختلف علماؤهم ان يتبعون الا الظن وما تهوى الانفس وان هم الا يخرصون

وهؤلاء صنفان مجتهد ومقلد اما مجتهدهم فكيفية التفقه عنده استفراغ

الوسع في تحصيل الظن فيما يحتاج اليه الناس من العلوم الدينية اصولية

كانت او فرعية من القوانين التي وضعوها والقواعد التي اخترعوها للاستعانة

بها على الاستنباط من المتشابهات واما مقلدهم فكيفية التفقه عنده

ان يأخذ من مجتهده ما استنبطه بنظره ولو بواسطة او وسايط وفرقة تمسكوا

بالنص من الله عز وجل في تعيين الامام والاقتصار على اتباع المحكمات في العقايد

والاحكام ووقوفا على ما جاء به الوحي والتنزيل وانتفاء عما كاد يفضي الى الضلال

والتضليل وهم اصحاب امير المؤمنين علي بن ابي طالب الذين لا يعولون الا على النصوص

بالخصوص في كل شيء مسلمين لامامهم الآخذ علمه من الله ومن رسوله في كل ما انتهاه اليهم

في شيء شيء مطيعين لما امرهم الله تعالى حيث قال فاسئلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون

وحيث قال يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم واما

ما ترى من اجتهاد بعض متأخري اصحابنا وتدوينهم الاصول وخوضهم في الفضول

فانما ذلك لشبهة جرت فيهم من مخالفيهم كما بينا وجهه في سفينة النجاة مع احتمال ان يكون

سببه مداراة فيهم اولا مصلحة رأوها او مماشاة مع مخالفيهم رأوها لئلا يزعموا

ان دقائق العلم ليست فينا ثم صار ذلك شبهة لمن تأخر عنهم حتى انهم سرت ذرء

٧ب

وعلى

وعلى التقديرين فليس ذلك قادحا في منزلتهم العليا ولا سببا لالحاقهم بالفرقة الاولى

حاشاهم عن ذلك فانهم حقوق قائمة على الفرقة الناجية الجليلة بتربيتهم المذهب الحق

بمساعيهم الجميلة ودفعهم جل التقية عن كثير من العباد والبلاد فجزاهم الله عنا خير الجزاء

وحشرهم مع ائمتهم يوم التناد وهؤلاء الفرقة الثانية يرجعون الى امامهم في

التفقه حين تيسر لهم ذلك والا فهم ايضا صنفان بصير ومستبصر وبعبارة اخرى

فقيه ومتفقه وبعبارة ثالثة خاصي وعامي وان شئت فسمها المجتهد والمقلد

فلا مشاحة في الالفاظ اما بصيرهم فهو الذي له فهم وذكاء وتقى وقدسية وزهد

في الدنيا وورع في الدين فكيفية التفقه عنده ان يتبع محكمات الكتاب و

السنة ومحكمات احاديث اهل البيت عليهم السلام مما صح عنهم فيستفهم منها ما يجب اعتقاده

وما يجب ان يعمل به وينشئه بشواهد عقله القويم وفهمه المستقيم ويؤيده بوارد ان يرد

على ذهنه المستقيم باعماله الصالحة المرضية وقلبه المنور بنور اخلاقه المهذبة الزكية

فان شرف العقل لا يخفى ولولاه لما عرف الشرع وكان شرع من داخل كما ان

الشرع عقل من خارج وهما يتعاضدان ويتظاهران الى من بصره كانهما متحدان

وفي الحديث ما ادى العبد فرايض الله حتى عقل عنه ولا بلغ جميع العابدين في فضل

عبادتهم ما بلغ العاقل والعقلاء هم اولوا الالباب ولا تظن ان خواص المؤمنين انما

آمنوا بالله واليوم الآخر بمجادلات المتكلمين وادلة المجادلين هيهات هيهات

وانما عرفوا الله بمثل ما قلناه من تعاضد العقل والشرع واجتماع النور الداخل مع النور

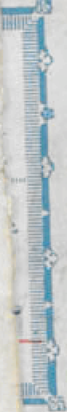
الخارج كاجتماع نور العين مع نور الشمس في الرؤية والى مثل هذا العقل اشير بقوله

عز وجل يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور يعني نور العقل والشرع وفي

الحديث ليس العلم بكثرة التعلم انما هو نور يقذفه الله في قلب من يريد الله ان يهديه

فهذا البصير به يتبين له الحكم بحيث لا شبهة فيه ولا ريب بعين ما اخذه وشكر الله

الخلف المتقدم يتق خلف الادم اذا قدرة قبل النطق وكذا الاخلاط يتق خلف الانف وحففه ان افراده صح



وان اشتبه عليه الامر وكل علمه الى الله والى امامه المنصوص عليه من الله وعمل
فيه بالاحوط ولا يفتي في مثله بالحتم والبت قال الصادق ع اما انه شر عليكم ان
تقولوا الشئ لم تسمعوه منا وقال ع كل علم لا يخرج من هذا البيت فهو باطل واشار
الى بيته فلا يخترع من تلقاء نفسه قاعدة كلية غير منقحة ولا مسموعة ليقع الاختلاف
فيه كقاعدة حجية خبر الواحد وعدم حجيته على الاطلاق التي لم يجز بعد التنازع فيه
فقط ولم يتجر الى غير ذلك من القوانين المسماة عند اهلها باصول الفقه بل يطلب
في كل مسئلة اهمته رواية خاصة يجوز التعويل عليها ودراية ناصة تطمئن النفس
اليها ولا يحكم بالمتشابه الا بعد الحكم فيه وكيف يجوز ان يجعل المتشابه محكما
وقد جعله الله متشابها فلا ينبغي تاويله ولا رده الى احد الطرفين كما
يفعله الذي في قلبه زيغ وذلك لان الله سبحانه جعل الامور ثلثة كما ورد
في الحديث النبوي امر بين رشده فيتبع وبين غيه فيجتنب ومتشابهات بين ذلك
يرد حكمها الى الله والى الراسخين في العلم العالمين بتاويله فكيف يطلب التثني فيما حكم
الله فيه بالتثليث مع ان في المتشابه حكما ومصالح يمتحن الله بها اصناف عباده
ولا يجمع ايضا بين الاخبار المتعارضة الا بما اشار اليه المروي عنهم ع من التفصيل الذي
ينتهي الى التخيير وبذلك يتحرى البصير من الخلاف والاختلاف والقول بالرأي والهوى
فلا اجتهاد عنده ولا رأي ولا اجماع بل ليس معوله الا على الروايات والدراية والسماع
ومعنى الاجماع عنده ليس الا الاتفاق فتوى الاصحاب على العمل بالنص المشهور بحيث
صار من الضروريات كمسح الرجلين ونزع الخفين عند الوضوء فالاجماع
عنده تابع للنص مؤيد له لا النص مستنبط من الاجماع كما اشتهر بين طائفة من اهل
الخلاف والنزاع واليه اشير في كلام الصادق ع في خبر تعارض الاخبار خذ بما اجمع
عليه بين اصحابك فان المجمع عليه لا ريب فيه واما عوام هذه الفرقة فكيفية

التنازع

بالتشابه لا الترجيح

تفقههم ان ياخذوا مسائلهم عن خواصهم ولو بواسطة او وسايط الى اليوم
اشتبه عليهم الامر لغاية الاشتباه لا التباس من ليس من الخواص بالخواص وادخاله
انفسهم في جملتهم فصارت العوام حايرين بايرين لا يهتدون الى شئ ولا يدرون
ايا من اي فالجرم لهم ان يرجعوا في ذلك الى قوم متدينين عارفين باهل البصيرة
ليعرفوهم اياهم فان لم يتيسر فليستفت العامي من غلب على ظنه انه منهم وانه ممن
لا يبيع دينه بدنياه فان افتاه بحكم فليسأله اهذا هو الحكم في كتاب الله او سنة
رسول الله او حديث احد من المعصومين ع فان قال نعم فليعمل وان قال انه ليس
في شئ منها بخصوصه وانما يستفاد منها بالاستنباط او هو مما اجمعوا
عليه من غير نص بلغني فيه او نحو ذلك سال غيره حتى يصادف من اجابه من
القرآن والحديث بخصوصه ونصوصه او اشار له الى الاحتياط او التخيير فان فعل
العامي ذلك فهو المتفقه في تلك المسئلة هذا هو الحق المبين وهو مذهب قدماء
الاماميين وعليه المعول في الدين وليس لمن انتسب الى اهل البيت ع وتسمى
بالشيعة والامامي والاثني عشري الا الاخذ بهذا الطريق فان خرج عن هذا الطريق
الى شئ من طرق المخالفين من غير عذر فقد خرج عن صدق هذا الانتساب
وهذه التسمية على وجهه وان لم يشعر بذلك ثم لا نطلق ان العلم بصدق نسبة
مضمون اخبار المعصومين ع اليهم لا يبدأ بكونه كالعلم بوجودهم في الوضوح
والاتفاق والقوة او تواترها كتواتره والا فهي اخبار احاد لا تفيد الا ظنا كلا
كيف ولو فرض ذلك فما ادراك يستيقن بامامتهم لان قوة علمك بامامتهم ليست
كقوة علمك بوجودهم ولا تواترها كتواتره قطعا بل ادراك لم تعرف بعد ان
اليقين كالظن له مراتب في القوة والضعف وانه يزداد بازدياد نور العقل
والشرع واعتضاد كل منهما الاخر وانه في الاحكام الشرعية يكتفي باقل مراتبه

مع ان اكثر الاخبار الاحكامية ليست في القوة باقل من اخبار الامامة متنا
وسندا فكل ما اطمانت اليه النفس من الاخبار نعمل به وكل ما لم تسكن اليه
فنذره في سنبله روى في الكافي باسناده عن ابي عبد الله ع انه سئل عن اختلاف
الحديث يرويه من نثق به ومنهم من لا نثق به قال اذا ورد عليكم حديث فوجدتم
له شاهدا من كتاب الله او من قول رسول الله ص والا فالذي جاءكم به اولى به
وفيه باسناده عنه ع قال كل شيء مردود الى الكتاب والسنة وكل حديث لا يوافق
كتاب الله فهو زخرف وفي عيون الاخبار عن الرضا ع حديث طويل قال في اخره
بعد ذكر العرض على الكتاب ثم السنة ثم التخيير والرد الى رسول الله وما لم تجدوه
في شيء من هذه الوجوه فردوا الينا علمه فنحن اولى بذلك ولا تقولوا فيه بارائكم
وعليكم بالكف والتثبت والوقوف وانتم طالبون باحثون حتى ياتيكم البيان من
عندنا وقد ورد في الحث على العمل باخبارهم ع اخبار بلغت قريبا من مبلغ
التواتر منها ما يدل على جواز الاخذ بها وان صدرت عن تقية ومنها ما يدل
على جواز العمل بها وان لم يصدر عنهم ع في الواقع وهو قولهم من سمع شيئا من الثواب
على شيء فصنعه كان له اجره وان لم يكن على ما بلغه وذلك لان الامر تسليم وطاعة وانقياد
لا راي فيه ولا اجتهاد وقال الصادق ع احتفظوا بكتبكم فانكم سوف تحتاجون اليها
وقال للمفضل بن عمر اكتب وبث علمك في اخوانك فان مت فاورث كتبك بنيك فانه ياتي
على الناس زمان هرج لا يانسون فيه الا بكتبهم وقال صاحب الزمان ع واما الحوادث
الواقعة فارجعوا فيها الى رواة حديثنا فانهم حجتي عليكم وانا حجة الله عليهم وبالجملة
فقد اذنوا لنا في الاخذ بالاخبار والكتب بالتسليم والانقياد ولم ياذنوا في الاخذ بالاراء
والاجتهاد بل نهوا عنه فليس لنا الا الاتباع والاقتصار على السماع من دون ابتغاء
الدليل والله يقول الحق وهو يهدي السبيل فصل ومن فضل الله علينا والطافه

جواب الشرط محذوف
اي فخذوه واعملوا به

بنا ولله الحمد اضعاف ما حمده الحامدون ان جعل لنا اماما بعد امام ظاهرا فينا وان
كان مستورا على اعدائنا الى ان انقضى من الهجرة النبوية مائتان وستون سنة
ثم جعل للاخير ع بعد غيبته سفراء الى قريب من تمام ثلثمائة وثلثين سنة وكان اصحابنا
في هذه المدة المديدة ياخذون العلوم الدينية ظاهرها وباطنها من معدنها على
اطمينان من قلوبهم وانشراح من صدورهم بقدر قابليتهم ومرتبتهم ومنزلتهم فاغناهم الله
بذلك عن تقليد من لا يجوز تقليده ويجاهر به من حيرة الحيران وبعد انقضاء هذه
المدة كانوا يرجعون الى الاصول الماخوذة عنهم المشتملة على اكثر ما يحتاج اليه
الناس حتى شذ مسئلة ضرورية لا يكون فيها حكم صرف وكان عنهم ع وقوله وقد روي في
قال امير المؤمنين ع يا معشر شيعتنا والمنتحلين ولايتنا اياكم واصحاب الرأي فانهم
اعداء السنن تفلتت منهم الاحاديث ان يحفظوها واعيتهم السنة ان يعوها
فاتخذوا عباد الله خولا وماله دولا فذلت لهم الرقاب واطاعهم الخلق اشباه
الكلاب ونازعوا الحق واهله فتمثلوا بالائمة الصادقين وهم من الجهال
الملاعين فسئلوا عما لا يعلمون فانفوا ان يعترفوا بانهم لا يعلمون فعارضوا الدين
بارائهم وضلوا فاضلوا اما لو كان الدين بالقياس لكان باطن الرجلين اولى
بالمسح من ظاهرهما وعن الباقر ع من افتى الناس برايه فقد دان الله بما لا يعلم
ومن دان الله بما لا يعلم فقد ضاد الله حيث احل وحرم فيما لا يعلم وعن الصادق ع انه
قيل له ترد علينا اشياء لا نعرفها في كتاب ولا سنة فننظر فيها قال لا اما انك
لو اصبت لم تؤجر وان اخطات كذبت على الله وقال امير المؤمنين ع في ذم اختلاف
الفتيا ترد على احدهم القضية في حكم من الاحكام فيحكم فيها برايه ثم ترد تلك
القضية بعينها على غيره فيحكم فيها بخلاف قوله ثم يجتمع القضاة بذلك عند امامهم
الذي استقضاهم فيصوب اراءهم جميعا واِلههم واحد وكتابهم واحد ونبيهم

ولسا فامرهم الله سبحانه بالاختلاف فاطاعوه ام نهاهم عنه فعصوه ام انزل الله سبحانه
دينا ناقصا فاستعان بهم على اتمامه ام كانوا شركاء له فلهم ان يقولوا وعليه ان
يرضى ام انزل الله دينا تاما فقصر الرسول عن تبليغه وادائه والله سبحانه
يقول ما فرطنا في الكتاب من شيء وفيه تبيان كل شيء وذكر ان الكتاب يصدق
بعضه بعضا وانه لا اختلاف فيه فقال سبحانه ولو كان من عند غير الله
لوجدوا فيه اختلافا كثيرا وان القران ظاهره انيق وباطنه عميق لا تفنى
عجائبه ولا تنقضي غرائبه ولا تكشف الظلمات الا به وعنه عم اعلموا عباد
الله ان المؤمن يستحل العام ما استحل عاما اول ويحرم العام ما حرم عاما اول
وان ما احدث الناس لا يحل لكم شيئا مما حرم الله عليكم ولكن الحلال ما احل
الله والحرام ما حرم الله **فصل** واما علم الكلام فحاصل ما يشتمل عليه من
الادلة التي ينتفع بها فالقران والاخبار مشتملة عليه وما خرج عنهما فهو اما
مجادلة مذمومة واما مشاغبة بالتعلق بمناقضات الفرق وتطويل بنقل
المقالات التي اكثرها ترهات وهذيانات تزدريها الطباع وتمجها الاسماع
واكثرها خوض فيما لا يتعلق بالدين ولم يكن شيء من ذلك مالوفا في العصر الاول
كان الخوض فيه بالكلية من البدع ولكن اليوم صار مما لا بد منه حراسة للقلوب
العوام عن تخييلات المبتدعة وانما حدث ذلك بحدوث البدع كما حدث حاجة
الانسان الى استيجار البذرقة في طريق الحج لحدوث ظلم العرب وقطعهم الطريق
ولو ترك العرب عدوانهم لم يكن استيجار الحراس من شروط طريق الحج والمتكلم
ان تجرد للمناظرة ولم يسلك طريق الاخرة ولم يشتغل بتعهد القلب واصلاحه
لم يكن من جملة علماء الدين اصلا اذ ليس عند المتكلم من الدين الا العقيدة التي
يشاركه سائر العوام فيها وهي من جملة اعمال ظاهر القلب واللسان وانما يتميز عن العامي

بصنعة المجادلة والحراسة فاما معرفة الله سبحانه وصفاته وافعاله و
جميع ما اشرنا اليه من العلوم الدينية فلا يحصل من علم الكلام بل يكاد ان يكون
الكلام حجابا ومانعا عنه وانما الوصول اليه بالمجاهدة التي جعلها الله سبحانه
مقدمة الهداية حيث قال تعم والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا قال
امير المؤمنين ع من طلب الدين بالجدل تزندق وروي ان رجلا قال للحسين بن
علي عليهما السلام اجلس حتى نتناظر في الدين قال يا هذا انا بصير بديني مكشوف علي
هداي فان كنت جاهلا بدينك فاذهب فاطلبه ما لي وللمماراة وعن الباقر ع الخصومة
تمحق الدين وتحبط العمل وتورث الشك وعن الصادق ع لا يخاصم الا شاك
او من لا ورع له وعن الكاظم ع انه قال لعلي بن يقطين مر اصحابك ان يكفوا عن
السنتهم ويدعوا الخصومة في الدين ويجتهدوا في عبادة الله عز وجل وعن
الرضا ع انه سئل في مكاتبة انهم نهوا عن الكلام في الدين فتاول مواليك
المتكلمين بانه انما نهي من لا يحسن ان يتكلم فاما من يحسن ان يتكلم فلم ينهه
فهل ذلك كما تاولوا فكتب ع المحسن وغير المحسن لا يتكلم فيه فان اثمه اكبر من
من نفعه **فصل** انما منعوا من الجدال والمناظرة لان لهما ادابا وشروطا
لا بد من مراعاتها وافاتها يجب التجنب عنها وقل من يهتدي اليها ويوفق
لما يجب والا فالجدال بالتي هي احسن مامور به قال ابو محمد الحسن العسكري ع
ذكر عند الصادق ع الجدال في الدين وان رسول الله ص والائمة ع قد نهوا عنه
فقال الصادق ع لم ينه عنه مطلقا ولكنه نهى عن الجدال بغير التي هي احسن
اما تسمعون الله يقول ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي احسن وقوله تعالى
ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن
فالجدال بالتي هي احسن قد امر به العلماء بالدين والجدال بغير التي هي احسن محرم

حرمه الله على شيعتنا وكيف يحرم الله الجدال جملة وهو يقول وقالوا لن يدخل الجنة
الا من كان هودا او نصارى قال الله تعالى تلك امانيهم قل هاتوا برهانكم ان كنتم
صادقين فجعل علم الصدق الاتيان بالبرهان وهل يؤتى بالبرهان الا في الجدال
بالتي هي احسن   قيل له يا ابن رسول الله فما الجدال بالتي هي
احسن والتي ليست باحسن قال اما الجدال بغير التي هي احسن فان تجادل مبطلا
فيورد عليك باطلا فلا ترده بحجة قد نصبها الله تعالى ولكن تجحد قوله او تجحد حقا
يريد ذلك المبطل ان يعين به باطله فتجحد ذلك الحق مخافة ان يكون له عليك فيه
حجة لانك لا تدري كيف المخلص منه فذلك حرام على شيعتنا ان يصيروا فتنة
على ضعفاء اخوانهم وعلى المبطلين اما المبطلون فيجعلون ضعف الضعيف منكم
اذا تعاطى مجادلته وضعف في يده حجة له على باطله واما الضعفاء فتغتم
قلوبهم لما يرون من ضعف المحق في يد المبطل واما الجدال بالتي هي احسن فهو
ما امر الله به نبيه ان يجادل به من جحد البعث بعد الموت واحياءه له فقال
الله له حاكيا عنه وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم و
قال الله تعالى في الرد عليه قل يا محمد يحييها الذي انشأها اول مرة وهو بكل خلق
عليم الذي جعل لكم من الشجر الاخضر نارا الى آخر السورة فاراد الله من نبيه ان
يجادل المبطل الذي قال كيف يجوز ان تبعث هذه العظام وهي رميم فقال
الله قل يحييها الذي انشأها اول مرة افيعجز من ابتداءه لا من شيء ان يعيده
بعد ان يبلى بل ابتداؤه اصعب عندكم من اعادته ثم قال الذي جعل لكم من
الشجر الاخضر نارا فاذا انتم منه توقدون اي اذا كمن النار الحارة في الشجر
الاخضر الرطب ثم يستخرجها فعرفكم انه على اعادة ما بلي اقدر ثم قال او ليس
الذي خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم

اي اذا

اي اذا كان خلق السموات والارض اعظم وابعد في اوهامكم وقدركم ان تقدروا
عليه من اعادة البالي فكيف جوزتم من الله خلق هذا الاعجب عندكم والاصعب
لديكم ولم تجوزوا منه ما هو اسهل عندكم من اعادة البالي قال الصادق ع فهذا
الجدال بالتي هي احسن لان فيها قطع عذر الكافرين وازالة شبههم واما
الجدال بغير التي هي احسن فان تجحد حقا لا يمكنك ان تفرق بينه وبين
باطل من تجادله وانما تدفعه عن باطله بان تجحد الحق فهذا هو المحرم لانك
مثله جحد هو حقا وجحدت انت حقا آخر **فصل** ۶ والعلم النافع
صفات وعلامات وآداب فعن الصادق ع في قول الله تعالى انما يخشى الله من
عباده العلماء قال يعني بالعلماء من صدق فعله قوله ومن لم يصدق فعله
قوله فليس بعالم وعنه ع اطلبوا العلم وتزينوا معه بالحلم والوقار وتواضعوا لمن
تعلمونه العلم وتواضعوا لمن طلبتم منه العلم ولا تكونوا علماء جبارين فيذهب
باطلكم بحقكم وعن الرضا ع قال ان من علامات الفقه الحلم والصمت و
عن الصادق ع قال قال امير المؤمنين ع الا اخبركم بالفقيه حق الفقيه من لم
يقنط الناس من رحمة الله ولم يؤمنهم من عذاب الله ولم يرخص لهم في معاصي الله
ولم يترك القرآن رغبة عنه الى غيره الا لا خير في علم ليس فيه تفهم الا لا خير في قراءة
ليس فيها تدبر الا لا خير في عبادة لا فقه فيها الا لا خير في نسك لا ورع فيه
يعني ان الفقيه حقيقة ليس الا من يكون عالما بالمراد من الوعد والوعيد
جميعا عارفا بالمقصود من الاوامر والنواهي جملة بملاحظة بعضها الى بعض
ولما عرف الفقيه بهذه العلامات السلبية لان اكثر من يسمى عند الجمهور بهذا الاسم
في كل زمان يكون موصوفا باضدادها فكانه عرض بعلماء الشرع والفقهاء
الزور وقد ابطل بكل علامة من المذاهب مذهبا باطلا او اكثر في الاطوار و

القريب فبالاولى ابطل مذهب المعتزلة القايلة بايجاب الوعيد وتخليد صاحب
الكبيرة في النار ومذهب الخوارج المضيقين في التكاليف الشرعية وبالثانية مذهب
المرجئة ومن يجري مجراهم من المغترين بالشفاعة وصحة الاعتقاد وبالثالثة
مذهب الحنابلة والاشاعرة ومن يشبههم كالكرامية المتصوفة وبالرابعة مذهب
المتفلسفة الذين اعرضوا عن القران واهله وحاولوا اكتساب العلم والعرفان
من كتب قدماء الفلاسفة ومذهب الحنفية الذين عملوا بالقياس وتركوا
القران والحديث والعلم الذي ليس فيه تفهم كالعلم الظني والتقليد ومجرد
حفظ الاقوال والروايات فانها ليست بعلم في الحقيقة وعن الباقر ع انه سئل
عن مسئلة فاجاب فيها فقال الرجل ان الفقهاء لا يقولون هذا فقال يا ويحك
فهل رايت فقيها قط انما الفقيه حق الفقيه الزاهد في الدنيا الراغب في
الاخرة المتمسك بسنة النبي ص وعن الصادق ع قال طلبة العلم ثلثة فاعرفهم
باعيانهم وصفاتهم صنف يطلبه للجهل والمراء وصنف يطلبه للاستطالة
والختل وصنف يطلبه للفقه والعقل فصاحب الجهل والمراء موذ ممار
متعرض للمقال في اندية الرجال بتذاكر العلم وصفة الحلم قد تسربل بالخشوع
وتخلى من الورع فدق الله من هذا خيشومه وقطع منه حيزومه وصاحب
الاستطالة والختل ذو خب وملق يستطيل على مثله من اشباهه ويتواضع
للاغنياء من دونه فهو لحلوائهم هاضم ولدينهم حاطم فاعمى الله على هذا خبره
وقطع من آثار العلماء اثره وصاحب الفقه والعقل ذو كآبة وحزن وسهر قد
تحنك في برنسه وقام الليل في حندسه يعمل ويخشى وجلا داعيا مشفقا
مقبلا على شانه عارفا باهل زمانه مستوحشا من اوثق اخوانه فشد الله
من هذا اركانه واعطاه يوم القيمة امانه وعن النبي ص العلماء رجلان رجل عالم

بعلم

بعلمه فهذا ناج وعالم تارك لعلمه فهذا هالك وان اهل النار ليتاذون
من ريح العالم التارك لعلمه وان اشد اهل النار ندامة وحسرة رجل دعا عبدا
الى الله سبحانه فاستجاب له وقبل منه فاطاع الله فادخله الله الجنة وادخل الداعي
النار بتركه علمه واتباعه الهوى وطول الامل اما اتباع الهوى فيصد عن الحق
وطول الامل ينسي الاخرة وعنه ص منهومان لا يشبعان طالب الدنيا وطالب
علم فمن اقتصر من الدنيا على ما احل الله له سلم ومن تناولها من غير حلها
هلك الا ان يتوب او يراجع ومن اخذ العلم من اهله وعمل بعلمه نجا ومن
اراد به الدنيا فهي حظه وعن السجاد ع مكتوب في الانجيل لا تطلبوا علم ما لا
تعلمون ولما تعملوا بما علمتم فان العلم اذا لم يعمل به لم يزدد صاحبه الا كفرا ولم
يزدد من الله الا بعدا وعن الباقر ع من طلب العلم ليباهي به العلماء او يماري
به السفهاء او يصرف به وجوه الناس فليتبوء مقعده من النار ان الرياسة لا
تصلح الا لاهلها وعن الصادق ع العلم مقرون بالعمل من علم عمل ومن عمل علم
والعلم يهتف بالعمل فان اجابه والا ارتحل عنه وعنه ع اذا رايتم العالم محبا
للدنيا فاتهموه على دينكم فان كل محب لشيء يحوط ما احب **فصل** ينبغي
للمتعلم ان يطهر نفسه اولا من رذايل الاخلاق ومذموم الاوصاف اذ العلم
عبادة القلب وصلوة السر وقربة الباطن الى الله فكما لا تصح الصلوة التي هي
وظيفة الجوارح الظاهرة الا بتطهير الظاهر من الاحداث والاخباث
فكذلك لا تصح عبادة الباطن وعمارة القلب بالعلم الا بعد طهارته من خبائث
الاخلاق وانجاس الاوصاف وقال النبي ص بني الدين على النظافة وهي كله
ظاهرا وباطنا وقال الله تعالى انما المشركون نجس تنبيها للعقول على ان
الطهارة والنجاسة غير مقتصرة على الظواهر المدركة بالحس فالمشرك

قد يكون نظيف مغسول البدن ولكنه نجس الجوهر اى باطنه ملطخ بالخبائث والنجاسة عبارة عما يجتنب ويطلب البعد عنه وخبائث صفات الباطن اهم بالاجتناب فانها مع خبثها فى الحال مهلكات فى المآل و لذلك قال رسول الله ص لا يدخل الملائكة بيتا فيه كلب والقلب بيت هو منزل الملائكة ومهبط اثرهم ومحل استقرارهم والصفات الرديئة مثل الغضب والشهوة والحقد والحسد والكبر والعجب كلاب واخواتها نابحة فانى تدخله الملائكة وهو مشحون بالكلاب ونور العلم لا يقذفه الله عز وجل فى القلب الا بواسطة الملائكة

فصل وينبغى للمعلم ان يخلص تعليمه لله من غير طمع وان يشفق على المتعلم وينصحه ويقتصر على قدر فهمه وان يبذل العلم لاهله ويمنع غير اهله وعن الصادق ع قال قام عيسى بن مريم خطيبا فى بنى اسرائيل فقال يا بنى اسرائيل لا تحدثوا الجهال بالحكمة فتظلموها ولا تمنعوها اهلها فتظلموهم وان لا يقول ما لا يعلم سئل الباقر ع ما حق الله على العباد قال ان يقولوا ما يعلمون ويقفوا عندما لا يعلمون وعن الصادق ع قال ان الله خص عباده بآيتين من كتابه ان لا يقولوا على الله الا الحق حتى يعلموا ولا يردوا ما لم يعلموا وقال الم يوخذ عليهم ميثاق الكتاب ان لا يقولوا على الله الا الحق وقال بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما ياتهم تاويله وعنه ع اياك وخصلتين ففيهما هلك من هلك اياك ان تفتى الناس برايك او تدين بما لا تعلم وعن الباقر ع من افتى الناس بغير علم ولا هدى من الله لعنته ملائكة الرحمة وملائكة العذاب ولحقه وزر من عمل بفتياه اريد بالعلم ما يستفاد من الانوار الالهية والالهامات الحقة كما هو للائمة ع وبالهدى ما يسمع من اهل بيت النبوة كما هو لنا وبملائكة الرحمة الهادون لنفوس الاخيار الى مقاماتهم فى درجات الجنان وبملائكة

العذاب السائقون لنفوس الاشرار الى مقاماتهم فى دركات الجحيم والنيران وعن الصادق ع اذا سئل الرجل منكم عما لا يعلم فليقل لا ادرى ولا يقل الله اعلم فيوقع فى قلب صاحبه شكا واذا قال المسئول لا ادرى فلا يتهمه السائل

فصل وينبغى لمن اراد العبادة لله سبحانه ان يحصل اولا العلم بكيفية تلك العبادة ممن ياخذه ومأخذ العلوم جميعا اهل بيت النبوة الذين هم مهابط الوحى وينابيع الحكمة الآخذين علومهم من الله سبحانه سئل الباقر ع عن قول الله عز فلينظر الانسان الى طعامه قال علمه الذى ياخذه عمن ياخذه وما كان تفسير الاية ظاهرا لم يتعرض له وانما تعرض لتاويلها وعن النبى ص من عمل بغير علم كان ما يفسد اكثر مما يصلح وعن الصادق ع العامل على غير بصيرة كالسائر على غير الطريق لا يزيده سرعة السير الا بعدا والسر فى ذلك ان اصلاح القلب وتطهير الاعضاء الجسمانية وتصفية النفس وتهذيبها بالاعمال البدنية ليست مقصودة بالذات لانها كالاعدام للملكات والعدم لا يكون مطلوبا الا بالعرض انما المطلوب ان يكشف له المعارف الحقيقية من العلم بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر لكل انسان بحسب عقله وفهمه على تفاوت مراتبهم فى ذلك ولا ينكشف هذه المعارف الا بان يقع ذلك الاصلاح والتطهير على وجه ما امر به صاحب الشرع صلوات الله عليه مع اعتقاد صحيح ولو بالسماع منه فمن اقتصر فى سلوكه على مجرد العمل والرياضة والمجاهدة من غير بصيرة ولا معرفة فالتصفية تصير بالاهلية اذ تحرك النفس بالخواطر الوهمية ويستولى عليها الوساوس النفسانية فيتشوش القلب حينئذ لم يتقدم له برياضة النفس بالعلوم الحقة والافكار الصحيحة ولم ياخذ كيفية العبادة من صاحب الشرع وخلفائه صلوات الله عليهم فيتشبث بالقلب خيالات فاسدة وتصورات باطلة واوهام

كاذبة وربما يتخيل في ذات الله سبحانه وصفاته اعتقادات فاسدة من باب الكفر و
الزندقة وفي زعمه انها صحيحة حقة يعرفها بنفسه وربما يقتدي به غيره فيتعدى
شره ويصير من الجاهلين المتنسكين القاصمين للظهر ثم مع ذلك قد ينتج من
اعجابه بنفسه وافتخاره بعلمه واغتراره بعبادته ونظره الى ساير الناس بعين الاحتقار
والازدراء وربما يتحلى باطنه بامراض نفسانية وهو غافل عنها غير ملتفت الى
معالجتها وازالتها وربما يظن الرذايل فضايل والعيوب كمالات كما اخبر الله سبحانه
بقوله هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم في الحيوة الدنيا وهم يحسبون
انهم يحسنون صنعا قال امير المؤمنين ع قصم ظهري رجلان عالم متهتك و
جاهل متنسك فالجاهل يغر الناس بتنسكه والعالم ينفرهم بتهتكه وقال
الصادق ع لا يقبل الله عملا الا بمعرفة ولا معرفة الا بعمل فمن عرف دلته المعرفة
على العمل ومن لم يعمل فلا معرفة له الا ان الايمان بعضه من بعض اقول ان
كل معرفة تثمر حالا ووصفا في النفس وكل حال يحمل صاحبه على عمل وعبادة وكل
عبادة تثمر حالا اخر ووصفا اخرى سوى الاولى وهكذا يتكامل اصل
الايمان المرء بالمعرفة والعبادة حتى يبلغ الغاية ويخلص من التعب والمشقة
واستقر في مقام الامن والراحة واصلا الى عين اليقين مثل ذلك مثل من
يمشي بسراج في ظلمة فكلما اضاء له من الطريق شيء مشى فيه فيصير ذلك المشي سببا
لاضاءة قطعة اخرى منه وهكذا وفي الحديث النبوي ص من علم وعمل بما علم
ورثه الله علم ما لم يعلم **فصل** قد ورد في ذم اصل البدع والاهواء
والجهال المتشبهين بالعلماء اخبار كثيرة عن ائمة الهدى صلوات الله عليهم ولنورد منها
نبذا ليكون انموذجا لما سواها فعن الصادق ع قال قال رسول الله ص اذا رايتم اهل
البدع والريب من بعدي فاظهروا البراءة منهم واكثروا من سبهم والقول

والوقيعة وباهتوهم حتى لا يطمعوا في الاسلام في الفساد ويحذرهم الناس
ولا يتعلمون من بدعهم يكتب الله تعالى لكم بذلك الحسنات ويرفع لكم به الدرجات
وقال ص اذا ظهرت البدع في امتي فليظهر العالم علمه فمن لم يفعل فعليه لعنة
الله وقال ص ان عند كل بدعة تكون من بعدي يكاد بها الايمان وليا من
اهل بيتي يذب عنه ينطق بالهام من الله ويعلن الحق وينوره ويرد كيد
الكائدين يعبر عن الضعفاء فاعتبروا يا اولي الابصار وتوكلوا على الله
وقال ص كل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار وقال امير المؤمنين ع في
خطبة له انما بدو وقوع الفتن اهواء تتبع واحكام تبتدع يخالف فيها كتاب
الله يتولى فيها رجال رجالا فلو ان الباطل خلص لم يخف على ذي حجى ولو ان
الحق خلص لم يكن اختلاف ولكن يوخذ من هذا ضغث ومن هذا ضغث
فيمزجان فيجيئان معا فهنالك استحوذ الشيطان على اوليائه ونجى الذين
سبقت لهم من الله الحسنى وقال ع ان من ابغض الخلق الى الله تعالى
لرجلين رجل وكله الله الى نفسه فهو جائر عن قصد السبيل مشغوف بكلام
بدعة قد لهج بالصوم والصلوة فهو فتنة لمن افتتن به ضال عن هدى من
كان قبله مضل لمن اقتدى به في حيوته وبعد موته حمال خطايا غيره رهن
بخطيئته ورجل قمش جهلا في جهال الناس غان باغباش الفتنة قد
سماه اشباه الناس عالما ولم يغن فيه يوما سالما بكر فاستكثر ما قل منه خير مما كثر
حتى اذا ارتوى من اجن واكثر من غير طائل جلس بين الناس قاضيا ضامنا
لتخليص ما التبس على غيره وان خالف قاضيا سبقه لم يامن ان ينقض حكمه
من ياتي بعده كفعله بمن كان قبله وان نزلت به احدى المبهمات المعضلات
هيأ لها حشوا من رايه ثم قطع به فهو من لبس الشبهات في مثل غزل نسج

العنكبوت لا يدرى اصاب ام اخطاء لا يحسب العلم فى شى مما انكره ولا يرى
وراه مابلغ فيه مذهبا ان قاس شيئا بشى لم يكذب نظره نظره وان اظلم
عليه امر اكتتم به لما يعلم من جهل نفسه يكى الصوب لكيلا يقال له لا يعلم ثم
جسر فقضى فهو مفتاح عشوات ركاب شبهات خباط جهالات لا يعتذر بما
لا يعلم فيسلم ولا يعض فى العلم بضرس قاطع فيغنم يذرى الروايات ذرو
الريح الهشيم تبكى منه المواريث وتصرخ منه الدماء يستحل بقضائه
الفرج الحرام ويحرم بقضائه الفرج الحلال لا ملئ باصدار ما عليه ورد
ورد ولا اهل لما منه فرط من ادعائه علم الحق وقال عليه السلام الى الله اشكوا
من معشر يعيشون جهالا ويموتون ضلالا ليس فيهم سلعة ابور من الكتاب اذا
تلى حق تلاوته ولا انفق سلعة واغلا ثمنا من الكتاب اذا حرف عن
مواضعه ولا عندهم انكر من المعروف ولا اعرف من المنكر وعن الصادق عم
ان اصحاب المقاييس طلبوا العلم بالمقاييس وعن الكاظم عم من نظر برايه
هلك ومن ترك كتاب الله وقول نبيه كفر ولما كان غرضنا فى هذا
الكتاب مقصورا على حقايق العلوم الدينية اكتفينا بذلك ولم نتعرض لازيد
منه ولا للعلوم الاخر وعن امير المؤمنين عم انه قال العلم اكثر من ان يحاط
به فخذوا من كل علم احسنه وزاد فى رواية اخرى فان النحل ياكل من
كل زهر ازينه فيتولد منه جوهران احدهما فيه شفاء للناس والاخر يستضاء به
اقول وتصديق ذلك فى قول الله سبحانه فبشر عبادى الذين
يستمعون القول فيتبعون احسنه اولئك الذين هداهم الله واولئك
هم اولوا الالباب **الباب الثانى** فى العقايد **اعلم** ان
العقايد لا يجوز اخذها الا بوحى من الله سبحانه بواسطة الانبياء ثم

الاوصياء

الاوصياء مع ما فطر الناس عليه من المعرفة قال الله تعالى فطرة الله التى فطر الناس
عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم فقد ورد ان المراد بها المعرفة
وفى رواية التوحيد وفى الحديث النبوى صلى الله عليه وآله كل مولود يولد على الفطرة فابواه
يهودانه وينصرانه ويمجسانه والفطرة فى الاصل الجبلة وهى عبارة عن العقل
المطبوع الذى هو شرع من داخل كما ان الشرع عقل من خارج فان العقل كا
كالسراج والشرع كالزيت يمده فما لم يكن زيت لم يشتعل السراج وما لم يكن
سراج لم يضئ الزيت وايضا العقل كالبصر والشرع كالشعاع ولم ينفع البصر
ما لم يكن سراج شعاع من خارج ولن يغنى الشعاع ما لم يكن بصر قد جاءكم
من الله نور وكتاب مبين يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام
ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه فسحقا لاقوام عزلوا عقولهم
واعرضوا عن رسلهم واتبعوا اهواءهم فضلوا واضلوا ثم ان اعقل
العقلاء نبينا صلى الله عليه وآله وخير الشرايع شرعه وانما ارسله الله وانزل معه الكتاب
ليقوم الناس بالقسط فصدع بامر الله وهدى الخلق الى صراط الله و
ارشدهم الى معرفة صانعهم ويوم امرهم ببيان وبرهان ناسبا عقولهم
ونبههم على ادلة ومنح بلغ اليها افهامهم واتى كل طايفة من ذلك بما يصلح
لعقله وفهمه من برهان وخطابة وجدال بالتى هى احسن ومعجزة لمن له
المعجزة ابين ليكونوا على بصيرة من امرهم وليهلك من هلك عن بينة ويحيى
من حى عن بينة ثم اكمل لهم امر دينهم بخلفاء حجج الله الى انقاد السالفين فيما
بينهم وبعدهم من امر الدين وليس لقايل ان يقول ان ثبوت الانبياء والشرايع
يتوقف على ثبوت الصانع وصفاته الكمالية فكيف يعرف الصانع وصفاته بالانبياء
والشرايع وذلك لانه لولم يكن صاحب هذا الكلام والبيان مقبول القول ومعصوم الافعال

لكان فيها الحجة من حيث مطابقتها لمقتضى العقول السليمة فان براهينه هي المتبعة
وتبياناته وحججه هي اللازمة على ان ما يتوقف عليه الشرع من معرفة الصانع وصفاته
يجري مجرى الضروريات التي يحكم بها كل من له ادنى مسكة قال الله عز وجل ولئن
سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله فقد ثبت ان ما ورد في
الشرع كاف في الاهتداء الى سبيل الحق مع ما جبل عليه السلامة من العقل
المطبوع فلا حاجة الى تكلفات المتكلفين على اختلاف طبقاتهم وتشعب
آرائهم وتناقض اهوائهم في ابداء الادلة وانتقاض الحجج على امور الدين
فانهم قد جمعوا بين الجهل وسوء الادب اما الجهل فلكونهم ما عرفوا موضع
الدلالة فيما نصبه الحق دليلا لا يجعل انظارهم في الذنب اتم في الدلالة مما دل
عليه الحق تعالى عن ذلك افانزل الله دينا ناقصا فاستعان بهم على اتمامه
ام انزل الله دينا تاما فقصر الرسول عن تبليغه وادائه والله سبحانه يقول
ما فرطنا في الكتاب من شيء وفيه تبيان كل شيء وقال امير المؤمنين ع
القرآن ظاهره انيق وباطنه عميق لا تفنى عجائبه ولا تنقضي غرائبه ولا
تكشف الظلمات الا به **فصل** لما ثبت ان خير هاد الى الله سبحانه
نبينا ص وقد ثبت انه ترك من بعده لخلافته الثقلين كتاب الله وعترته
المصطفين وما اوصى امته في ذلك الا بالتمسك بهما كما استفاض به الاخبار من
طريقي العامة والخاصة جميعا على اختلاف في اللفظ واتفاق في المعنى وفي
رواية اني تارك فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا بعدي كتاب الله و
عترتي اهل بيتي فانهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض ومعنى عدم افتراقهما
ان علم الكتاب كله هو عند العترة فمن تمسك بهم فقد تمسك بهما جميعا
وفي رواية اني امرؤ مقبوض واوشك ان ادعى فاجيب وقد تركت

فيكم الثقلين وفي اخرى الاكبر منهما كتاب الله سبب طرف بيد الله وطرف
بايديكم فتمسكوا به لا تزلوا ولا تضلوا والاصغر منهما عترتي لا تقتلوهم ولا
تقهروهم فاني سألت اللطيف الخبير ان يردا علي الحوض فاعطاني فقاهرهما
قاهري وخاذلهما خاذلي ووليهما وليي وعدوهما عدوي وفي رواية
وهما الخليفتان بعدي وسئل امير المؤمنين ع عن معنى الحديث من العترة فقال
انا والحسن والحسين والائمة من ولد الحسين تاسعهم مهديهم وقائمهم لا يفارقون
كتاب الله ولا يفارقهم حتى يردا على رسول الله ص حوضه وفي رواية من جعلهما
امامه قاداه الى الجنة ومن جعلهما خلفه ساقاه الى النار وفي الخبر المستفيض
ان مثل اهل بيتي كمثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق و
في الكافي عن الباقر ع قال قال رسول الله ص انا اول وافد على العزيز الجبار
يوم القيمة وكتابه واهل بيتي ثم امتي ثم اسألهم ما فعلتم بكتاب الله واهل
بيتي وعن الصادق ع عن ابائه قال قال رسول الله ص ايها الناس انكم في دار
هدنة وانتم على ظهر سفر والسير بكم سريع وقد رأيتم الليل والنهار والشمس و
القمر يبليان كل جديد ويقربان كل بعيد ويأتيان بكل موعود فاعدوا الجهاز
لبعد المجاز قال فقام مقداد بن الاسود فقال يا رسول الله ص وما دار الهدنة
فقال دار بلاغ وانقطاع فاذا التبست عليكم الفتن كقطع الليل المظلم فعليكم
بالقرآن فانه شافع مشفع وماحل مصدق من جعله امامه قاده الى الجنة
ومن جعله خلفه ساقه الى النار وهو الدليل يدل على خير سبيل
وهو كتاب فيه تفصيل وبيان وتحصيل وهو الفصل ليس بالهزل وله
ظهر وبطن فظاهره حكم وباطنه علم ظاهره انيق وباطنه عميق له تخوم
وعلى تخومه تخوم لا تحصى عجائبه ولا تبلى غرائبه فيه مصابيح الهدى ومنار

الحكمة ودليل على المعرفة لمن عرف الصفة فليجل جال البصر وليبلغ الصفة
نظره ينج من عطب ويخلص من نشب فان التفكر حيوة القلب البصير كما يمشي
المستنير في الظلمات بالنور فعليكم بحسن التخلص وقلة التربص وعنه ع
قال قال رسول الله صلعم القران هدى من الضلالة وتبيان من العمى
واستقالة من العثرة ونور من الظلمة وضياء من الاحداث وعصمة من
الهلكة ورشد من الغواية وبيان من الفتن وبلاغ من الدنيا الى
الاخرة وفيه كمال دينكم وما عدل احد من القران الا الى النار وعن
الائمة المعصومين ع من لم يعرف امرنا من القران لم يتنكب الفتن وعنهم ع من
اخذ دينه من كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه واله وسلم زالت
الجبال قبل ان يزول ومن اخذ دينه من افواه الرجال ردته الرجال
قال محمد بن يعقوب الكليني رح بعد نقل هذا الحديث ولهذه
العلة انبثقت على اهل دهرنا بثوق هذه الاديان الفاسدة والمذاهب
المستشنعة التي قد استوفت شرايط الكفر والشرك كلها وذلك بتوفيق
الله عز وجل وخذلانه فمن اراد الله توفيقه وان يكون ايمانه ثابتا مستقرا
سبب له الاسباب التي تؤديه الى ان ياخذ دينه من كتاب الله وسنة
نبيه صلعم بعلم ويقين وبصيرة فذاك اثبت في دينه من الجبال الرواسي ومن اراد
الله خذلانه وان يكون دينه معارا مستودعا نعوذ بالله منه سبب له اسباب الاستحسان
والتقليد والتاويل من غير علم وبصيرة فذاك في المشية ان شاء الله تبارك
وتعالى اتم ايمانه وان شاء سلبه اياه ولا يؤمن عليه ان يصبح مؤمنا ويمسي
كافرا ويمسي مؤمنا ويصبح كافرا لانه كلما كبر من الكبراء مال معه وكلما راى
شيئا استحسن ظاهره قبله وقد قال العالم ع ان الله تع خلق النبيين صلعم

على النبوة فلا يكونون الا انبياء وخلق الاوصياء على الوصية فلا يكونون الا اوصياء
واعار قوما ايمانا فان شاء تممه لهم وان شاء سلبهم اياه قال وفيهم جرى قوله
فمستقر ومستودع وعن جابر بن عبد الله الانصاري قال لما انزل الله عز وجل
على نبيه ص يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم قلت
يا رسول الله عرفنا الله ورسوله فمن اولوا الامر الذين قرن الله طاعتهم
بطاعتك فقال صلعم هم خلفائي يا جابر وائمة المسلمين بعدي اولهم علي بن ابي طالب
ثم الحسن ثم الحسين ثم علي بن الحسين ثم محمد بن علي المعروف في التورية بالباقر
وستدركه يا جابر فاذا لقيته فاقراه مني السلام ثم الصادق جعفر بن محمد ثم
موسى بن جعفر ثم علي بن موسى ثم محمد بن علي ثم علي بن محمد ثم الحسن بن علي
ثم سميي وكنيي حجة الله في ارضه وبقيته في عباده ابن الحسن بن علي
ذاك الذي يفتح الله تعالى ذكره على يديه مشارق الارض ومغاربها ذاك الذي
يغيب عن شيعته واوليائه غيبة لا يثبت فيها على القول بامامته الا
من امتحن الله قلبه للايمان قال جابر فقلت له يا رسول الله فهل ينتفع
شيعته به في غيبته فقال اي والذي بعثني بالنبوة انهم يستضيئون بنوره
وينتفعون بولايته في غيبته كانتفاع الناس بالشمس وان
تجللها سحاب يا جابر هذا من مكنون سر الله ومخزون علم الله فاكتمه الا
عن اهله **فصل** اعلم ان الناس في فهم العقايد وقبولها على طبقات
ومنازل بعضها فوق بعض ليسوا في درجة واحدة وانما كلف الله عباده
بقدر ما اعطاهم من العقل والفهم والوسع قال الباقر ع ان المؤمنين على منازل
منهم على واحدة ومنهم على اثنتين ومنهم على ثلاث ومنهم على اربع ومنهم على
خمس ومنهم على ست ومنهم على سبع فلو ذهبت تحمل على صاحب الواحدة

ثنتين لم يفق وعلى صاحب الثنتين ثلاثا لم يفق وساق الحديث وقال الصادق
الايمان حالات ودرجات وطبقات ومنازل فمنه التام المنتهى تمامه
ومنه الناقص المبين نقصانه ومنه الراجح الزايد رجحانه وقال انه لو علم
الناس كيف خلق الله هذا الخلق لم يلم احد احدا فينبغي ان يقدم الى الصبي
في اول نشوه وتميزه ترجمة العقايد ليحفظها حفظا ثم لا يزال
ينكشف معناه في كبره شيئا فشيئا فابتداؤه الحفظ ثم الفهم ثم الاعتقاد
والايقان والتصديق به وذلك مما يحصل في الصبي بغير برهان فمن فضل الله
على قلب الانسان شرحه في اول نشوه للايمان من غير حاجة الى حجة
وبرهان وكيف ينكر ذلك وجميع عقايد العوام مباديها التلقين المجرد
والتعليم المحض نعم يكون الاعتقاد الحاصل بمجرد التقليد غير خال عن نوع
من الضعف في الابتدا على معنى انه يقبل الازالة بنقيضه لو القي اليه ولا بد
من تقويته واثباته في نفس الصبي والعامي حتى يترسخ ولا يتزلزل وليس
الطريق في تقويته واثباته ان يعلم صنعة الجدل والكلام بل يشتغل بتلاوة
القران وتفسيره وقراءة الحديث ومعانيه ويشتغل بوظايف العبادات
فلا يزال يقوى اعتقاده ويزداد رسوخا بما يقرع سمعه من ادلة القران
وحججه وبما يرد عليه من شواهد الاحاديث وفوايدها وبما يسطع عليه
من انوار العبادات ووظايفها وما يسري اليه من مشاهدة الصالحين
ومجالستهم ورؤية سيماهم وسيرتهم وهياتهم في الخضوع لله والخوف
منه والاستكانة له فيكون اول التلقين كالقاء بذر في الصدر وتكون
هذه الاسباب كالسقي والتربية له حتى ينمو ذلك البذر ويقوى ويرتفع
شجرة طيبة راسخة اصلها ثابت وفرعها في السماء وينبغي ان يحرس سمعه

من الجدل والكلام غاية الحراسة فان ما يشوشه الجدل اكثر مما
يمهده وما يفسده اكثر مما يصلحه والمشاهدة تكفيك في هذا بيانا
وناهيك بالعيان برهانا فقس عقيدة اهل الصلاح والتقى من عوام الناس
بعقيدة المتكلمين المجادلين فترى اعتقاد العامي في الثبات
كالطود الشامخ لا تحركه الدواهي والصواعق وعقيدة المتكلم الحارس
اعتقاده بتقسيمات الجدل كخيط مرسل في الهواء تفيئه الريح مرة هكذا
ومرة هكذا الا من سمع منهم دليل الاعتقاد فتلقفه تقليدا كما تلقف
نفس الاعتقاد تقليدا ولا فرق بين التقليد في تعليم الدليل او تعلم المدلول فتلقن
الدليل شي والاستدلال بالنظر شي اخر بعيد عنه ثم الصبي اذا وقع نشوه على
هذه العقايد ان اشتغل بكسب الدنيا لم ينفتح له غيرها ولكنه يسلم في الاخرة
باعتقاد الحق اذ لم يكلف الشرع العرب اكثر من التصديق الجازم بظاهر هذه
العقايد فاما البحث والتفتيش وتكلف نظم الادلة فلم يكلفوه اصلا وان اراد ان يكون
من سالكي طريق الاخرة وكان اهلا لذلك وساعده التوفيق حتى اشتغل
بالعمل ولازم التقوى ونهى النفس عن الهوى واشتغل بالرياضة والمجاهدة انفتح
له ابواب من الهداية تكشف عن حقايق هذه العقيدة بنور الهي يقذف في قلبه
بسبب المجاهدة تحقيقا لوعده تعالى اذ قال والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا
وهو الجوهر النفيس الذي هو غاية ايمان الصديقين والمقربين وله درجات
بحسب درجات المجاهدة ودرجات الباطن في النظافة والطهارة عما
سوى الله والاستضاءة بنور اليقين وذلك كتفاوت الخلق في اسرار الطب
والفقه وساير العلوم اذ يختلف ذلك باختلاف الاجتهاد واختلاف الفطر
في الذكاء والفطنة فكما لا ينحصر تلك الدرجات فكذا هذه واما تفصيل متعلقها

تفيئه الريح ... اذا ... الاسرار ... شمالا
تلقفه ... التلقف ...

النظافة بالشيء النقاوة ص

الفطر بالشيء شقه يقال فطر يفطر فطرا الفطر
الخلقة والفطرة الخلقة

العقايد للخواص وكيفية المجاهدة لهم فقد اشرنا اليهما في الفصل الثاني من الباب
الاول **فصل** قال حجة الفرقة الناجية نصير الحق والدين محمد بن الحسن
الطوسي طاب ثراه اقل ما يجب اعتقاده على المكلف هو ما ترجمه قوله لا اله الا الله
محمد رسول الله ثم اذا صدق الرسول فينبغي ان يصدقه في صفات الله واليوم
الاخر وتعيين الامام المعصوم كل ذلك بما اشتمل عليه القرآن من غير مزيد
وبرهان اما في صفات الله فبانه حي قادر عالم مريد متكلم ليس كمثله شيء وهو
السميع البصير واما في الآخرة فبالايمان بالجنة والنار والصراط والميزان
والحساب والشفاعة وغيرها ولا يجب عليه ان يبحث عن حقيقة الصفات وان
الكلام والعلم وغيرهما حادث او قديم بل لو لم يخطر هذا بباله ومات مات مؤمنا
فان غلب على قلبه شك واشكال فان امكن ازالته بكلام قريب من الافهام وان
لم يكن قويا عند المتكلمين ولا مرضيا فذلك كاف ولا حاجة الى تحقيق الدليل
فان الدليل لا يتم الا بذكر الشبهة والجواب ومهما ذكرت الشبهة لا يؤمن ان
تتشبث بالخاطر والقلب فيظنها حقا لقصوره عن درك جوابها اذ الشبهة
قد تكون جلية والجواب دقيقا لا يحتمله عقله ولهذا ورد الزجر عن البحث والتفتيش
والكلام وانما زجروا ضعفاء العوام واما ائمة الدين فلهم الخوض في غمرة
الاشكالات ومنع العوام عن الكلام يجري مجرى منع الصبيان عن شاطي الدجلة
خوفا من الغرق ورخصة الاقوياء فيه تضاهي رخصة الماهر في صنعة السباحة
الا ان ههنا موضع غرور ومزلة قدم وهو ان كل ضعيف في عقله يظن انه
يقدر على ادراك الحقائق كلها وانه من جملة الاقوياء فربما يخوضون ويغرقون
في بحر الجهالات من حيث لا يشعرون والصواب منع الخلق كلهم الا الشاذ النادر
الذي لا يسمح الاعصار الا بواحد منهم او اثنين ممن تجاوز سلوك اهل العلم والايمان

والمرسل

والمرسل والتصديق المجمل بكل ما انزل الله واخبر به رسول الله صلعم فمن اشتغل
في الخوض فيه فقد وضع نفسه في شغل شاغل اذ قال رسول الله صلعم حيث راى
اصحابه يخوضون بعد ان غضب حتى احمرت وجنتاه ابهذا امرتم تضربون
كتاب الله بعضه ببعض انظروا فيما امركم الله به فافعلوا وما نهاكم عنه فانتهوا
فهذا تنبيه على منهج الحق وفي مصباح الشريعة قال الصادق ع اتق الله
وكن حيث شئت ومن اي قوم شئت فانه لا خلاف لاحد في التقوى والمتقي محبوب
عند كل فريق وفيه جماع كل خير ورشد الى ان قال فالزم ما اجمع عليه اهل
الصفا والتقى من اصول الدين وحقائق اليقين والرضا والتسليم ولا تدخل
في اختلاف الخلق ومقالاتهم فيصعب عليك وقد اجمعت الامة المختارة
بان الله واحد ليس كمثله شيء وانه عدل في حكمه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ولا
يقال له في شيء من صنعه لم ولا كان ولا يكون شيء الا بمشيته وانه قادر على ما
يشاء وصادق في وعده ووعيده وان القرآن كلامه وانه كان قبل الكون
والمكان والزمان وان احداث الكون وافناءه سواء لا يزداد باحداثه علما ولا ينقص
بافنائه ملكه عز سلطانه وجل سبحانه فمن اورد عليك ما ينقض هذا الاصل فلا تقبله
وجرد باطنك لذلك ترى بركاته وتفوز مع الفائزين **فصل** اعلم ان الاسرار
التي يكتمها العلماء من العوام منها ما يقصر عن دركه افهامهم ولا يبلغ اليه
عقولهم وذلك كالروح فانه من عالم الملكوت والعوام لم يتجاوز علمهم من عالم
الملك فاذا افشي اليهم يصير فتنة لهم قال الله تعالى ويسئلونك عن الروح
قل الروح من امر ربي وما اوتيتم من العلم الا قليلا ومنها ما هو مفهوم في نفسه
لا يكل الفهم عنه ولكن ذكره يضر باكثر المستمعين وسر القدر من هذا القبيل
ولهذا منع من افشائه ولا يستبعد في ان يكون ذكر بعض الحقائق مضرا ببعض

الخلق كما يضر نور الشمس بابصار الخفافيش وكما يضر ريح الورد بالجعل فمنها ما يكون بحيث
لو ذكر صريحا الفهم ولم يكن فيه ضرر ولكن كنى عنه على سبيل الاستعارة والرمز ليكون
وقعه في قلب المستمع اغلب وله مصلحة في ان يعظم وقع ذلك الامر في قلبه كما
لو قال قائل رايت فلانا يقلد الدر في اعناق الخنازير وكنى به عن افشاء العلم
وبث الحكمة الى غير اهلها فالمستمع قد يسبق الى فهمه ظاهره والمحقق اذا نظر وعلم
ان ذلك الانسان لم يكن معه در ولا كان في موضعه خنزير تفطن لدرك السر
والباطن فيتفاوت الناس بذلك وكذلك ما ورد في الحديث اما يخشى الذي
دفع راسه قبل الامام ان يحول الله راسه راس حمار وذلك من حيث الصورة
لم يكن ولا يكون ولكن من حيث المعنى هو كائن اذ حقيقة الحمار وخاصيته هي
البلادة والحمق وهو دون الشكل الذي هو قالب المعنى اذ من غاية الحمق
ان يجمع بين الاقتداء وبين التقدم فانهما متناقضان وهذا النوع يرجع
الى التعبير عن المعنى بالصورة التي تتضمن عين المعنى او مثله ومن هذا القبيل
قوله تعالى فقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين فانه
تمثيل للتاثير فلا قدرة فيهما وتاثيرهما بالذات عنهما بامر المطاع واجابة المطيع
الطائع ومنه قوله عز وجل انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون
وهو نوع من الكلام باطنا من دون حرف وصوت ومنه التعبير عن الصراط
بالجسر الممدود بين الجنة والنار وعن الميزان بذي الكفتين الى غير ذلك ومنها
مثل ما يدرك الانسان الشيء جملة ثم يدركه تفصيلا بالتحقيق والتدقيق بان
يصير حالا ما لابساله فيتفاوت العلمان فيكون الاول كالقشر والثاني
كاللب والاول كالظاهر والاخر كالباطن وذلك كما يتمثل للانسان
في عينه شخص في الظلمة وعلى البعد فيحصل له نوع علم فاذا راه

بالقرب او بعد زوال الظلام ادرك تفرقة بينهما ولا يكون الاخير
ضد الاول بل هو استكمال له وكذلك في العلم والايمان والتصديق
ومن هذا القبيل اكثر العقايد **فصل** في تفسير الامام ابي
محمد العسكري ع في قوله تعالى ومنهم اميون لا يعلمون الكتاب الا
اماني قال رجل للصادق ع اذا كان هؤلاء القوم من اليهود لا يعرفون الكتاب
الا بما يسمعونه من علمائهم لا سبيل لهم الى غيره فكيف ذمهم الله بتقليدهم
والقبول من علمائهم وهل عوام اليهود الا كعوامنا يقلدون علماءهم فاذا
لم يجز لاولئك القبول لعلمائهم لم يجز لهؤلاء القبول من علمائهم فقال ع بين
عوامنا وعلمائنا وبين عوام اليهود وعلمائهم فرق من جهة وتسوية من جهة
فاما من حيث استووا فان الله قد ذم عوامنا بتقليدهم علماءهم كما ذم عوامهم
واما من حيث افترقوا فلا قال بين لي يا ابن رسول الله قال ع ان عوام اليهود
كانوا قد عرفوا علماءهم بالكذب الصراح وباكل الحرام والرشى وبتغيير الاحكام
عن واجبها بالشفاعات والعنايات والمصانعات وعرفوهم بالتعصب
الشديد الذي يفارقون به اديانهم وانهم اذا تعصبوا ازالوا حقوق من
تعصبوا عليه واعطوا ما لا يستحقه من تعصبوا له من اموال غيرهم وظلموهم
من اجلهم وعرفوهم يقارفون المحرمات واضطروا بمعارف قلوبهم الى
ان من فعل ما يفعلونه فهو فاسق ولا يجوز ان يصدق على الله ولا على الوسائط
بين الخلق وبين الله فلذلك ذمهم لما قلدوا من قد عرفوا ومن قد علموا انه
لا يجوز قبول خبره ولا تصديقه في حكايته ولا العمل بما يؤديه اليهم عمن
لا يشاهدوه ووجب عليهم النظر بانفسهم في امر رسول الله صلعم اذ كانت
دلائله اوضح من ان تخفى واشهر من ان لا تظهر لهم وكذلك عوام امتنا

اذا عرفوا من فقهائهم الفسق الظاهر والعصبية الشديدة والتكالب على حطام
الدنيا وحرامها واهلاك من يتعصبون عليه وان كان لاصلاح امره مستحقا
بالترفرق بالبر والاحسان من تعصبوا له وان كان للاذلال والاهانة
مستحقا فمن قلد من عوامنا مثل هؤلاء الفقهاء فهم مثل اليهود الذين
ذمهم الله بالتقليد لفسقة فقهائهم فاما من كان من الفقهاء صائنا لنفسه
حافظا لدينه مخالفا على هواه مطيعا لامر مولاه فللعوام ان يقلدوه
وذلك لا يكون الا بعض فقهاء الشيعة لا جميعهم فان من ركب القبائح
والفواحش مراكب فسقة فقهاء العامة فلا تقبلوا منهم عنا شيئا ولا
كرامة **الباب الثالث** في معرفة النفس ونعني بها الجوهر اللطيف
الملكوتي الذي يستخدم هذا البدن الجسماني في حاجاته مسخرا له تسخير
المولى لخدمه وهو ذات الانسان وحقيقته العالمة بالمعلومات وله في هذا
البدن جنود جسمانية هي الاعضاء وجنود روحانية وهي القوى قال الله
تع وفي انفسكم افلا تبصرون وقال نبينا من عرف نفسه فقد عرف ربه
وقال اعرفكم بنفسه اعرفكم بربه وقد يسمى هذا الجوهر الملكوتي بالروح
لتوقف حيوة البدن عليه وبالقلب لتقلبه في الخواطر وبالعقل لاكتسابه العلوم
واتصافه بالمدركات وقد يستعمل هذه الالفاظ الاربعة في معان اخر تعرف
بالقرائن ثم النفس توصف باوصاف مختلفة بحسب اختلاف احوالها فاذا سكنت
تحت الاوامر والنواهي وزايلها الاضطراب بسبب معارضة الشهوات سميت
النفس المطمئنة قال الله تع يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية
مرضية واذا لم يتم سكونها ولكنها صارت مدافعة للشهوة والغضب ومعترضة
عليها سميت النفس اللوامة لانها تلوم صاحبها عند تقصيره في عبادة مولاها

قال

قال الله تعالى ولا اقسم بالنفس اللوامة وان تركت الاعتراض واذعنت واطاعت
لمقتضى الشهوات ودواعي الشيطان سميت الامارة قال الله تع اخبارا
عن يوسف وما ابرئ نفسي ان النفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربي
فصل اعلم ان جندي الغضب والشهوة قد ينقادان للقلب انقيادا
تاما فيعينانه على طريقه الذي يسلكه ويحسنان مرافقته في السفر الذي هو
بصدده وقد يستعصيان عليه استعصاء بغي وتمرد حتى يملكاه و
يستعبداه وفي ذلك هلاكه وانقطاعه عن سفره الذي به وصوله الى سعادة
الابد وللقلب جند آخر وهو العلم والحكمة والتفكر وحقه ان يستعين بهذا
الجند فانه حزب الله على الجندين الاخرين فانهما قد يلحقان بحزب الشيطان
فان ترك الاستعانة وسلط على نفسه جند الغضب والشهوة هلك
يقينا وخسر خسرانا مبينا وذلك حال اكثر الخلق فان عقولهم صارت
مسخرة لشهواتهم في استنباط الحيل لقضاء الشهوة وكان ينبغي ان تكون
الشهوة مسخرة لعقولهم فيما يفتقر العقل اليه **فصل** ثم اعلم
ان الانسان قد اصطحب في تركيبه وخلقته اربع شوائب فلذلك اجتمعت
عليه اربعة انواع من الاوصاف وهي الصفات السبعية والبهيمية والشيطانية
والربانية فهو من حيث سلط عليه الغضب يتعاطى افعال السباع
من العداوة والبغضاء والتهجم على الناس بالضرب والشتم ومن حيث
سلطت عليه الشهوة يتعاطى افعال البهائم من الشره والحرص والشبق
وغيره ومن حيث انه في نفسه امر رباني كما قال الله تع قل الروح من امر
ربي فانه يدعي لنفسه الربوبية ويحب الاستيلاء والاستعلاء
والاستبداد بالامور كلها والتفرد بالرياسة والانسلال عن ربقة العبودية

والتواضع ويشتهي الاطلاع على العلوم كلها بل يدعي لنفسه العلم والمعرفة
والاحاطة بحقائق الامور ويفرح اذا نسب الى العلم ويحزن اذا قرن
بالجهل والاحاطة بجميع الحقائق والاستيلاء بالقهر على جميع الخلائق
من اوصاف الربوبية وفي الانسان حرص على ذلك ومن حيث يختص
عن البهائم بالتمييز مع مشاركته لها في الغضب والشهوة حصلت فيه شيطانية
فصار شريرا يستعمل التمييز في استنباط وجوه الحيل والشر ويتوصل الى
الاغراض بالمكر والحيلة والخداع ويظهر الشر في معرض الخير وهذه اخلاق
الشياطين وكل انسان ففيه شوب من هذه الاصول الاربعة اعني الربانية
والشيطانية والسبعية والبهيمية وكل ذلك مجموع في القلب فكان المجموع
في اهاب الانسان خنزير وكلب وشيطان وحكيم فالخنزير هو الشهوة
فانه لم يكن الخنزير مذموما للونه وشكله وصورته بل لجشعه وكلبه
وحرصه والكلب هو الغضب فان السبع الضاري والكلب العقور ليس
كلبا ولا سبعا باعتبار الصورة واللون والشكل بل روح معنى السبعية الضراوة
والعدوان والعقر وفي باطن الانسان ضراوة السبع وغضبه وحرص الخنزير
وشبقه فالخنزير يدعو بالشره الى الفحشاء والمنكر والسبع يدعو بالغضب
الى الظلم والايذاء والشيطان لا يزال يهيج شهوة الخنزير وغيظ السبع ويغري
احدهما بالآخر ويحسن لهما ما هما مجبولان عليه والحكيم الذي هو مثال العقل مأمور بان
يدفع كيد الشيطان ومكره بان يكشف عن تلبيسه ببصيرته النافذة ونوره
المشرق الواضح وان يكسر شره هذا الخنزير بتسليط الكلب عليه اذ بالغضب يكسر سورة الشهوة
ويدفع ضراوة الكلب بتسليط الخنزير عليه ويجعل الكل مقهورا تحت سياسته
فان فعل ذلك وقدر عليه اعتدال الامر وظهر العدالة في مملكة البدن وجرى الكل

على الصراط المستقيم وان عجز عن قهرها قهروه واستخدموه فلا يزال في استنباط
الحيل وتدقيق الفكر ليشبع الخنزير ويرضي الكلب فيكون دائما في عبادة كلب وخنزير
وهذا حال اكثر الناس مهما كان اكثر همهم البطن والفرج ومنافسة
الاعداء **فصل** اما طاعة خنزير الشهوة فيصدر منها صفة الوقاحة
والخبث والتبذير والتقتير والرياء والهتكة والمجانة والعبث والحرص والجشع
والملق والحسد والشماتة وغيرها واما طاعة كلب الغضب فينتشر منها الى القلب
صفة التهور والبذالة والبذخ والصلف والاستشاطة والتكبر والعجب والاستهزاء
والفخر والاستخفاف وتحقير الخلق وارادة الشر وشهوة الظلم وغيرها واما طاعة
الشيطان بطاعة الشهوة والغضب فيحصل منها صفة المكر والخداع والحيلة
والدهاء والجربزة والتلبيس والغش والخب والخنا وامثالها ولو عكس الامر
وقهر الجميع تحت سياسة الصفة الربانية لاستقر في القلب من الصفات الربانية
العلم والحكمة واليقين والاحاطة بحقائق الاشياء ومعرفة الامور على ما هي عليه
والاستيلاء على ذلك كله بقوة العلم والبصيرة واستحق التقدم على الخلق لكمال
العلم وجلاله ولاستغنى عن عبادة الشهوة والغضب ولانتشر اليه من ضبط
خنزير الشهوة ورده الى حد الاعتدال صفات شريفة مثل العفة والقناعة
والهدوء والزهد والورع والتقوى والانبساط وحسن الهيئة والحياء والظرف
والمساعدة وامثالها ويحصل فيه من ضبط قوة الغضب وقهرها وردها الى
حد الواجب صفة الشجاعة والكرم والنجدة وضبط النفس والصبر والحلم
والاحتمال والعفو والثبات والنبل والشهامة والوقار وغيرها والقلب
في حكم مرآة قد اكتنفته هذه الامور المؤثرة فيه وهذه الآثار على التوالي وا
صلة الى القلب اما الآثار المحمودة التي ذكرناها فانها تزيد مرآة القلب جلاء

واشراقا ونورا وضياء حتى يتلألأ فيه جلية الحق وينكشف فيه حقيقة الامر المطلوب
في الدين والى مثل هذا القلب الاشارة بقوله صلعم اذا اراد الله بعبد خيرا جعل له واعظا
من قلبه وبقوله من كان له من قلبه واعظ كان عليه من الله حافظ وهذا القلب
هو الذي يستقر فيه الذكر قال الله تعالى الا بذكر الله تطمئن القلوب واما الاثار المذمومة
فانها مثل دخان مظلم يتصاعد الى مرآة القلب ولا يزال يتراكم عليه مرة بعد اخرى
الى ان يسود ويظلم ويصير بالكلية محجوبا عن الله تعالى وهو الطبع وهو الرين قال الله تعالى
كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون وقال الله تعالى ان لو نشاء اصبناهم بذنوبهم
ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون فربط عدم السماع بالطبع بالذنوب كما ربط
السماع بالتقوى حيث قال واتقوا الله واسمعوا واتقوا الله واطيعوا واتقوا الله ويعلمكم
الله ومهما تراكمت الذنوب طبع على القلب وعند ذلك يعمى القلب عن ادراك الحق و
صلاح الدين ويستهين بالاخرة ويستعظم امر الدنيا ويصير مقصور الهم عليها فاذا
قرع سمعه امر الاخرة وما فيها من الاخطار دخل من اذن وخرج من الاخرى ولم
يستقر في القلب ولم يحركه الى التوبة والتدارك اولئك الذين يئسوا من الاخرة كما يئس
الكفار من اصحاب القبور وهذا معنى اسوداد القلب بالذنوب كما نطق به القران
والسنة قال امير المؤمنين عم ان الايمان ليبدو لمعة بيضاء فاذا عمل العبد
الصالحات نمت وزادت حتى يبيض القلب كله فيطبع على قلبه وان النفاق ليبدو نكتة سوداء
فاذا انتهك الحرمات زادت حتى يسود القلب كله فيطبع على قلبه فذلك الختم
وتلا كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون وقال الباقر عم ان القلوب ثلاثة
قلب منكوس لا يعي شيئا من الخير وهو قلب الكافر وقلب فيه نكتة سوداء والخير
والشر فيه يعتلجان فايهما كانت منه غلب عليه وقلب مفتوح فيه مصابيح تزهر
لا يطفى نوره الى يوم القيمة وهو قلب المؤمن وقال الصادق عم ان القلب ليكون

في الساعة

في الساعة عشر مرات بالليل والنهار ليس فيه ايمان ولا كفر كالثوب الخلق ثم قال اما تجد
ذلك من نفسك ثم قال ثم تكون النكتة من الله في القلب بما شاء من كفر وايمان
فصل ان القلب مثاله مثال قبة لها ابواب تنصب اليها الاحوال
من كل باب او مثال هدف تنصب اليه السهام من الجوانب او مثال مرآة منصوبة
يجتاز عليها اصناف الصور المختلفة فيتراءى فيها صورة بعد صورة او مثال
حوض ينصب اليه مياه مختلفة من انهار مفتوحة اليه ومداخل هذه الاثار
المتجددة فيه كل حال اما من الظاهر فالحواس الخمس واما من الباطن فالخيال و
الشهوة والغضب والاخلاق المركبة في مزاج الانسان فانه اذا ادرك بالحواس
شيئا حصل منه اثر في القلب وكذلك اذا هاجت الشهوة مثلا بسبب كثرة
الاكل وبقوة المزاج والاثار تبقى وينتقل الخيال من شيء الى شيء وبحسب انتقال
الخيال ينتقل القلب من حال الى حال فالقلب دائما في التغير والتأثر من هذه الاسباب
واخص الاثار الحاصلة فيه هي الخواطر واعني بالخواطر ما يعرض فيه من الافكار والا
ذكار اما على سبيل التجدد واما على سبيل التذكر والخواطر هي المحركات للارادات
فان النية والعزم والارادة انما يكون بعد خطور المنوي بالبال فالخواطر مبدأ
الافعال الخواطر ثم الخاطر تحرك الرغبة والرغبة تحرك النية والعزم و
النية والعزم تحركان الاعضاء والخواطر المحركة للرغبة تنقسم الى ما يدعو
الى الشر اعني ما يضر في العاقبة والى ما يدعو الى الخير اعني ما ينفع في الاخرة فهما
خاطران مختلفان فالخاطر المحمود يسمى الهاما والمذموم يسمى وسوسة وسبب
الخاطر الداعي الى الخير يسمى ملكا وسبب الداعي الى الشر يسمى شيطانا واللطف
الذي به يتهيأ القلب لقبول الهام الملك يسمى توفيقا والذي به يتهيأ لقبول
وسواس الشيطان يسمى اغواء وخذلانا والملك عبارة عن خلق خلقه الله

لأن ضد الخير وانفاذ العلم وكشف الحق والوعد بالمعروف الشيطان عبارة عن خلق
شأنه الوعد بالشر والأمر بالفحشاء والتخويف عند الهم بالخير بالفقر والقلب
متجاذب بينهما قال النبي صلى الله عليه وسلم في القلب لمتان لمة من الملك ايعاد بالخير
وتصديق بالحق فمن وجد ذلك فليعلم انه من الله فليحمد الله ولمة من العدو
ايعاد بالشر وتكذيب بالحق ونهي عن الخير ومن وجد ذلك فليتعوذ من
الشيطان ثم تلا الشيطان يعدكم الفقر الآية وقال عليه السلام قلب المؤمن بين
اصبعين من اصابع الرحمن يقلبه كيف يشاء كنى به عن سرعة التقليب والقدرة
على الحركات والتغيير باستسخار الملك والملك الشيطان فانهما مسخران بقدرته في
تقليب القلوب كما ان اصابعك مسخرة لك في تقليب الاجسام مثلا والقلب
باصل الفطرة صالح لقبول آثار الملائكة ولقبول آثار الشياطين تقريبا متساويا
وانما يترجح احدهما على الآخر باتباع الهوى والاكباب على الشهوات فانهما متى
غلب على القلب ذكر الدنيا ومقتضيات الهوى وجد الشيطان مجالا فوسوس
فمهما انصرف الى ذكر الله تعالى ارتحل الشيطان وضاق مجاله واقبل الملك والهم
فالتطارد بين جندي الملائكة والشياطين في معركة القلب دائم الى ان ينفتح
القلب لاحدهما فيسكن ولا يستوحش ويكون اجنبيا للثاني اخذا لما قال الله
تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون

فصل اعلم انه قد يتلبس الشيطان بلباس الملك فان من مكائد
الشيطان ان يعرض الشر في معرض الخير كما يقول للعالم بطريق الوعظ اما تنظر
الى الخلق وهم موتى من الجهل هلكى من الغفلة قد اشرفوا على النار اما لك رحمة
على عباد الله تنقذهم من المعاطب بنصحك ووعظك وقد انعم الله عليك
بقلب بصير ولسان ذلق ولهجة مقبولة فكيف تكفر نعمة وتتعرض لسخط الله

وتسكت عن اشاعة العلم ودعوة خلق الله سبحانه الى الصراط المستقيم فلا يزال
يقرر ذلك في نفسه ويستجره بلطائف الحيل الى ان يشتغل بوعظ الناس ثم
يدعوه الى ان يتزين لهم ويتصنع بتحسين اللفظ واظهار الخير ويقول ان لم
تفعل ذلك سقط وقع كلامك عن قلوبهم ولم يهتدوا الى الحق فلا يزال يقرر
ذلك وهو في اثنائه يؤكد شوائب الرياء وقبول الخلق ولذة الجاه والتعزز
بكثرة والنظر الى الخلق بعين الاحتقار فيستدرج المسكين بالنصح الى الهلاك
فيتكلم وهو يظن ان قصده الخير وانما قصده الجاه والقبول فيهلك بسببه
وهو يظن انه عند الله بمكان وهو عند الله ممن قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله
ليؤيد هذا الدين باقوام لا خلاق لهم وان الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر

فصل قال بعض اهل المعرفة ان الهام الملك ووسوسة الشيطان تقع
في النفوس على وجوه وعلامات احدها كالعلم واليقين الحاصلين من جانب
يمين النفس ويقابله الهوى والشهوة الحاصلين من جانب الشمال وثانيها
كالنظر في الآيات الآفاق والانفس على سبيل النظام والاحكام المزيل للشكوك
والاوهام والمحصل للمعرفة والحكمة في القوة العاقلة التي هي على الجانب الايمن من النفس
ويقابله النظر اليها على سبيل الاشتباه والغفلة والاعراض عنها الناشئة منها
الشبهة والوسوسة في الواهمة والمتخيلة التي على الجانب الايسر منها فالآيات المحكمات
بمنزلة الملائكة المقدسة من العقول والنفوس الكلية لانها مبادي العلوم
اليقينية والمتشابهات الوهمية بمنزلة الشياطين والنفوس الوهمانية لانها
مبادي المغالطات السفسطية وثالثها كطاعة الرسول المختار والائمة
الاطهار في مقابلة اهل الجحود والانكار واهل التعطيل والتشبيه من
من الكفار فكل من سلك سبيل الهداية فهو بمنزلة الملائكة الملهمين للخير ومن سلك

سبيل الضلال فهو بمنزلة الشياطين المغوين بالشرور وتابعها كتحصيل العلوم
والادراكات التي هي في الموضوعات العالية والاعيان الشريفة كالايمان بالله و
بملائكته ورسله واليوم الاخر والبعث وقيام الساعة ومثول الخلائق بين
يدي الله وحضور الملائكة والنبيين والشهداء والصالحين فهو بمنزلة تحصيل
العلوم والادراكات التي هي من باب الحيل والخديعة والسفسطة والتاصل
في الامور الدنيوية الغير الخارجة عن دار المحسوسات فالاول بمنزلة الملائكة
الروحانية وجنود الرحمن الذين هم سكان عالم الملكوت السماوي والثاني
يشبه الابالسة المطرودة عن باب الله الممنوعة من ولوج السموات المحبوسة
في الظلمات المحرومة في الدنيا عن الارتقاء والمحجوبة في الاخرة عن دار النعيم

فصل اعلم ان ما يخطر بالبال من السيئة فلا يؤاخذ عليه لانه
لا يدخل تحت الاختيار وكذلك الميل والهيجان لانهما ايضا لا يدخلان تحت
الاختيار واما الاعتقاد وحكم القلب بانه ينبغي ان يفعل فهذا امر دائر بين
ان يكون اضطراريا واختياريا والاحوال مختلفة فيه فالاختياري منه يؤاخذ
به والاضطراري لا يؤاخذ به واما الهم بالفعل فانه يؤاخذ به الا انه ان لم يفعل
فان تركه خوفا من الله تعالى وندم على همه كتبت له حسنة لان همه سيئة وامتناعه
ومجاهدته نفسه حسنة والهم على وفق الطبع لا يدل على تمام الغفلة عن الله
والامتناع بالمجاهدة على خلاف الطبع يحتاج الى قوة عظيمة فجده في مخالفة
الطبع وهو العمل لله سبحانه اشد من جده في موافقة الشيطان بموافقة الطبع
فكتبت له حسنة لانه رجح جهده في الامتناع وهمه به على همه بالفعل وان
تعوق الفعل بعائق وتركه لعذر لا خوفا من الله تعالى كتبت عليه سيئة فان همه فعل
من القلب اختياري والدليل على هذا التفصيل ما روي عن النبي صلعم قال الملائكة

رب ذاك عبدك يريد ان يعمل سيئة وهو ابصر به فقال ارقبوه فان عملها فاكتبوها
عليه بمثلها وان تركها فاكتبوها له حسنة انما تركها لاجلي وعن الامام الموسى ع في قوله
سبحانه ان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله ان هذه الاية عرضت
على الانبياء والامم السابقة فابوا ان يقبلوها من ثقلها وقبلها رسول الله صلعم
وعرضها على امته فقبلوها فلما راى الله عز وجل منهم القبول علم انهم لا يطيقونها
قال اما اذا قبلت الاية بتشديدها وعظم ما فيها وقد عرضتها على الامم فابوا ان
يقبلوها فقبلتها امتك فحق علي ان ارفعها عن امتك وقال لا يكلف الله نفسا
الا وسعها فظهر ان ما لا يدخل تحت الوسع لا يؤاخذ به وعن النبي ص وضع
عن امتي تسع خصال الخطاء والنسيان وما لا يعلمون وما لا يطيقون وما اضطروا
اليه وما استكرهوا عليه والطيرة والوسوسة في التفكر في الخلق والحسد ما
لم يظهر بلسان او يد وعن الباقر ع ان الله تع جعل لادم في ذريته من هم
بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة ومن هم بحسنة وعملها كتبت له عشرا
ومن هم بسيئة ولم يعملها لم يكتب عليه ومن عملها كتبت له سيئة وفي
رواية ان العبد اذا اذنب ذنبا اجل من غدوة الى الليل فان استغفر الله
لم يكتب عليه وسئل الصادق ع عن رجل يجيئ منه الشي على حد الغضب يؤاخذه
الله به فقال الله اكرم من ان يستغلق على عبده وعنه ع ما من مومن الا
وله ذنب يهجره زمانا ثم يلم به وذلك قوله تعالى الا اللمم قال اللمم الرجل يلم
بالذنب فيستغفر الله منه وعن الكاظم ع ان الله تع ايد المومن بروح منه تحضره
في كل وقت يحسن فيه ويتقي وتغيب عنه في كل وقت يذنب فيه ويعتدي
فهي معه تهتز سرورا عند احسانه وتسيخ في الثرى عند اساءته فتعاهدوا
عباد الله نعمه باصلاحكم انفسكم تزدادوا يقينا وتربحوا نفيسا ثمينا

رحم الله امرأً قدم خيراً فعمله او قدم لشر فارتدع عنه ثم قال نحن نؤيد
الروح بالطاعة لله والعمل له **المقالة الثانية** في مساوي الاخلاق
وتهذيبها وفيها اربعة ابواب **الباب الاول** في معنى الخلق وتهذيبه
واعلم ان الخلق عبارة عن هيئة راسخة في النفس تصدر عنها
الافعال بسهولة ويسر من غير حاجة الى فكر وروية فان كانت الهيئة
بحيث تصدر عنها الافعال الجميلة المحمودة عقلاً وشرعاً سميت الهيئة
خلقاً حسناً وان كان الصادر منها افعالاً قبيحة سميت خلقاً سيئاً وانما
شرطنا الرسوخ لان من تصدر عنه بذل المال مثلاً على الندور لحاجة عارضة
لا يقال خلقه السخاء ما لم يثبت ذلك في نفسه ثبوت رسوخ وانما شرطنا
السهولة وعدم الروية لان من تكلف بذل المال لا يقال خلقه السخاء، وليس السخاء
عبارة عن الفعل فرب شخص خلقه السخاء ولا يبذل اما لفقد المال او
لمانع اخر وربما يكون خلقه البخل وهو يبذل لباعث او لرياء، فلا بد في
الخلق الحسن من قوة العلم وقوة الغضب وقوة الشهوة وقوة العدل بين
هذه القوى الثلث اما قوة العلم فحسنها وصلاحها في ان تصير بحيث يسهل
لها درك الفرق بين الصدق والكذب في الاقوال وبين الحق والباطل في الاعتقادات
وبين الحسن والقبيح في الافعال فاذا حصلت هذه القوة حصل منها ثمرة الحكمة
والحكمة رأس الاخلاق الحسنة ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا واما قوة
الغضب والشهوة فحسنها في ان تنحصر انقباضها وانبساطها على حد ما تقتضيه
الحكمة والدين واما قوة العدل فهي ضبط قوة الغضب والشهوة تحت اشارة
العقل والشرع فالعقل منزلته منزلة الناصح المشير وقوته القدرة ومنزلتها
منزلة المنفذ الممضي لاشارته والغضب والشهوة تنفذ فيها الاشارة

ومثال الغضب مثال الكلب الصيد فانه يحتاج الى ان يؤدب حتى يكون
استرساله وتوقفه بحسب الاشارة لا بحسب هيجان النفس والشهوة مثالها
مثال الفرس الذي يركب في طلب الصيد فانه يكون تارة مروضاً مؤدباً
وتارة يكون جموحاً فمن استوت فيه هذه الصفات واعتدلت فهو حسن
الخلق مطلقاً ومن اعتدل فيه بعضها دون بعض فهو حسن الخلق بالاضافة
الى ذلك المعنى خاصة وحسن القوة الغضبية واعتدالها يعبر عنها بالشجاعة
وحسن القوة الشهوية واعتدالها يعبر عنه بالعفة فان مالت قوة الغضب
عن الاعتدال الى طرف الزيادة سمي ذلك تهوراً وان مالت الى الضعف سمي
جبناً وخوراً وان مالت قوة الشهوة الى طرف الزيادة سمي شرهاً وان
مالت الى النقصان سمي خموداً والمحمود هو الوسط والعدل والطرفان رذيلتان
مذمومتان والعدل اذا فات فليس له طرفان زيادة ونقصان بل له ضد واحد
وهو الجور واما الحكمة فيسمى افراطها عند الاستعمال في الاغراض الفاسدة خباثة
وجربزة ويسمى تفريطها بلهاً والوسط هو الذي يختص باسم الحكمة فاذن امهات
الاخلاق الحسنة الجميلة واصولها اربعة الحكمة والشجاعة والعفة والعدل و
لم يبلغ كمال الاعتدال في هذه الاربعة الا رسول الله ص ولهذا قال الله مثنيا
عليه وانك لعلى خلق عظيم والناس بعده متفاوتون في القرب والبعد منه
فينبغي ان يقتدي به فانه ص بعثت لاتمم مكارم الاخلاق وقد اشار الحق
الى هذه الاخلاق في اوصاف المؤمنين فقال تع انما المؤمنون الذين امنوا بالله و
رسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله اولئك هم
الصادقون فالايمان بالله ورسوله من غير ارتياب هو قوة اليقين وهو ثمرة
العقل ومنتهى الحكمة والمجاهدة بالمال هو السخاء الذي يرجع الى ضبط قوة الشهوة

والمجاهدة بالنفس هي الشجاعة التي ترجع الى استعمال قوة الغضب على قضية
العقل وحد الاعتدال وقد وصف الله سبحانه قوما فقال اشداء على الكفار رحماء
بينهم اشارة الى ان للشدة موضعا وللرحمة موضعا وليس الكمال في الشدة بكل
حال ولا في الرحمة بكل حال فصل اعلم ان بعض من غلبت البطالة عليه استثقل
المجاهدة والرياضة والاشتغال بتزكية النفس وتهذيب الاخلاق فلم تسمح
نفسه بان يكون ذلك لقصوره ونقصه فزعم ان الاخلاق لا يمكن تغييرها وان
الطباع لا تتغير واستدل عليه بامرين احدهما ان الخلق هو صورة
الباطن كما ان الخلق هو صورة الظاهر فكما ان الخلقة الظاهرة لا يقدر
على تغييرها فكذا الخلق الباطن والثاني ان حسن الخلق انما يحصل بقمع الغضب
والشهوة وحب الدنيا وغيرها وهذا امر ممتنع والاشتغال به تضييع
زمان بغير فائدة فان المطلوب هو قطع التفات القلب الى الحظوظ العاجلة
وهو محال فنقول لو كان الاخلاق لا تقبل التغيير لبطلت الوصايا والمواعظ
والتاديبات ولما قال الله عز وجل قد افلح من زكيها وقد خاب من دسيها ولما
قال رسول الله صلعم حسنوا اخلاقكم وكيف ينكر هذا في حق الادمي وتغيير خلق
البهيمة ممكن ان ينقل الصيد من التوحش الى الانس والكلب من شره الاكل من
الصيد الى التادب والامساك والفرس من الجماح الى السلاسة والانقياد
وكل ذلك في الخلق والقول الكاشف للغطاء عن ذلك ان نقول ان الموجودات
منقسمة الى ما لا مدخل للادمي واختياره في اصله وتفصيله كالسماء والكواكب بل
اعضاء البدن داخلا وخارجا وبالجملة كل ما هو حاصل كامل وقع الفراغ من
وجوده وكماله والى ما وجد وجودا ناقصا وجعل فيه قوة الكمال بعد ان وجد شرطه
وشرطه ان يرتبط باختيار العبد فان النواة ليست بتفاح ولا نخل الا انها خلقت

خلقة

خلقة يمكن ان يصير نخلة اذا انضافت اليها التربية ولا يصير تفاحا اصلا
بالذات ولا بالتربية فاذا صارت النواة متاثرة بالاختيار حتى تقبل بعض الاحوال دون
بعض فكذلك الغضب والشهوة لو اردنا قمعهما وقهرهما بالكلية حتى لا يبقى لهما اثر لم
نقدر عليه اصلا ولو اردنا سلاستهما وقودهما بالرياضة والمجاهدة قدرنا عليه وقد
امرنا بذلك وصار ذلك سبب نجاتنا ووصولنا الى السعادة الا ان ذلك دون القمع بالكلية
وهيهات فان الشهوة خلقت لفائدة وهي ضرورية في الجبلة ولو انقطع
شهوة الطعام لهلك الانسان ولو انقطع شهوة الوقاع لانقطع النسل ولو
انعدم الغضب بالكلية لم يدفع الانسان عن نفسه ما يهلكه ومهما بقي اصل الشهوة
فيبقى لا محالة حب المال الذي يوصله الى الشهوة حتى يحمله ذلك على امساك المال وليس
المطلوب اماطة ذلك بالكلية بل المطلوب ردها الى الاعتدال الذي هو وسط بين الافراط والتفريط
فان المطلوب في صفة الغضب حسن الحمية وذلك بان يخلو عن التهور وعن الجبن جميعا
وبالجملة ان يكون في نفسه قويا ومع قوته منقادا للعقل ولو بطل الغضب لامتنع
جهاد الكفار وكيف يقصد قلع الغضب والشهوة بالكلية والانبياء عم لم ينفكوا عن
ذلك قال سيدهم صلعم انما انا بشر اغضب كما يغضب البشر وكان يتكلم بين يديه بما يكرهه
فيغضب حتى تحمر وجنتاه ولكن لا يقول الا حقا فكان الغضب لا يخرجه عن الحق قال
الله تعالى والكاظمين الغيظ ولم يقل والفاقدين الغيظ وربما يستولي الشهوة على
الانسان بحيث لا يقوى عقله على دفعها عن الانبساط الى الفواحش وبالرياضة تعود
الى الاعتدال فدل على ان ذلك ممكن والتجربة والمشاهدة تدل على ذلك دلالة لا
شك فيها فصل قد يكون اعتدال الخلق فطريا بحيث يخلق الانسان ويولد كامل العقل
حسن الخلق قد كفي سلطان الشهوة والغضب على عقله كالانبياء والائمة وقد يكون
مكتسبا بالمجاهدة والرياضة بحمل النفس على الاعمال التي تقتضيها الاخلاق المطلوبة فمن اراد

ان يحصل لنفسه خلق الجود مثلا فطريقه ان يتعاطى فعل الجواد وهو بذل المال فلا
يزال يواظب عليه تكلفا مجاهدا نفسه فيه حتى يصير ذلك له طبعا ويتيسر عليه فيصير
بنفسه جوادا وكذا من غلب عليه الكبر وطلب خلق التواضع فطريقه ان يواظب على افعال
المتواضعين مدة مديدة وهو فيها مجاهد نفسه ومتكلف الى ان يصير ذلك خلقا
وطبعا وجميع المحمودة شرعا تحصل بهذا الطريق وغايتها ان يصير الفعل الصادر
منه لذيذا فالسخي هو الذي يستلذ بذل المال دون الذي يبذله عن كراهية
والمتواضع هو الذي يستلذ التواضع ولن ترسخ الاخلاق الدينية في النفس
ما لم تتعود جميع العادات الحسنة وما لم تترك جميع العادات السيئة وما لم تواظب
عليها مواظبة من يشتاق الى الافعال الجميلة ويتنعم بها ويكره الافعال
القبيحة ويتألم بها كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعلت قرة عيني في الصلوة ومهما
كانت العبادات وترك المحظورات مع كراهية واستثقال فهو النقصان ولا ينال
كمال السعادة به نعم المواظبة عليها بالمجاهدة خير ولكن بالاضافة الى تركه
لا بالاضافة الى فعله عن طوع ولذلك قال الله تعالى وانها لكبيرة الا على الخاشعين
وقال النبي صلى الله عليه وسلم اعبد الله في الرضا فان لم تستطع ففي الصبر على ما تكره خير كثير ثم لا يكفي
في نيل السعادة الموعودة على حسن الخلق استلذاذ الطاعة واستكراه المعصية
في زمان دون زمان بل ينبغي ان يكون ذلك على الدوام وفي جملة العمر وكلما
كان العمر اطول كانت الفضيلة ارسخ واكمل ولذلك لما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن السعادة فقال طول العمر في طاعة الله ولذلك كره الانبياء والاولياء الموت
فان الدنيا مزرعة الاخرة وكلما كانت العبادات اكثر لطول العمر كان الثواب
اجزل والنفس ازكى واطهر والاخلاق اقوى وارسخ وانما مقصود العبادات
تأثيرها في القلب وانما يتأكد تأثيرها بكثرة المواظبة على العبادات

الاخلاق

وغاية هذه الاخلاق ان ينقلع عن النفس حب الدنيا ويترسخ فيها حب الله تعالى
فلا شيء احب اليه من الله تعالى ومن لقائه وكل صفة تظهر في القلب يفيض اثرها على الجوارح
حتى لا تتحرك الا على وفقها وكل فعل يجري على الجوارح فانه قد يرتفع منه اثر الى القلب
وطالب تزكية النفس لا ينالها بعبادة يوم ولا يحرم عنها بعصيان يوم ولكن العطلة
في يوم واحد تدعو الى مثلها ثم تتداعى قليلا قليلا حتى تأنس النفس بالكسل وتهجر
التحصيل راسا وصغار المعاصي يجر بعضها الى بعض حتى يفوت اصل السعادة بهدم
اصل الايمان عند الخاتمة فلا ينبغي ان يستهان بقليل الطاعة ولا بصغير المعصية
فان الجملة الكثيرة منها مؤثرة وانما اجتمعت الجملة من الاحاد فلكل واحد تأثير
وربما تحصل الاخلاق الحسنة بمشاهدة ارباب الافعال الجميلة ومصاحبتهم
وهم قرناء الخير والاخلاق السيئة بمشاهدة ارباب الاعمال السيئة ومصاحبتهم
وهم قرناء السوء فان الطبع يسرق من الطبع الخير والشر جميعا فمن تظاهرت
في حقه الجهات الثلث حتى صار ذا فضيلة طبعا واعتيادا وتعلما فهو في
غاية الفضيلة ومن كان رذلا بالطبع واتفق له قرناء السوء فتعلم منهم و
تيسرت له اسباب الشر حتى تعودها فهو في غاية البعد من الله تعالى وبين الرتبتين
من اختلفت به هذه الجهات ولكل درجة في القرب والبعد بحسب ما تقتضيه صفته
وحالته فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وما ظلمهم الله
ولكن كانوا انفسهم يظلمون **فصل** اعلم ان الله تعالى اذا اراد بعبد خيرا
بصره بعيوب نفسه فمن كملت بصيرته لم تخف عليه عيوبه واذا
عرف العيوب امكنه العلاج ولكن اكثر الخلق جاهلون بعيوب انفسهم يرى احدهم
القذى في عين اخيه ولا يرى الجذع في عين نفسه فمن اراد ان يقف على عيب نفسه فليطلب
صديقا صادقا بصيرا متدينا فينصبه رقيبا على نفسه ليراقب احواله

واقواله فيكرهه من اخلاقه وافعاله وعيوبه الباطنة والظاهرة ينبهه
عليه او يستفيد معرفة عيوب نفسه من لسان اعدائه فان عين السخط تبدى
المساوى كما قيل شعر وعين الرضا عن كل عيب كليلة ۞ ولكن عين السخط تبدى
المساويا ۞ ولعل انتفاع الانسان بعدو مشاحن يذكره عيوبه اكثر من انتفاعه
بصديق مداهن يثنى عليه ويمدحه ويخفى عنه عيوبه الا ان الطبع مجبول على
تكذيب العدو وحمل ما يقوله على الحسد ولكن البصير لا يخلو عن الانتفاع بقول اعدائه
فان مساويه لا بد وان تنتشر على السنتهم او يخالط الناس فكل ما رآه
مذموما فيما بين الخلق فيطالب نفسه بتركه وما يراه محمودا يطالب نفسه به
فينسب نفسه اليه فان المؤمن مرآة المؤمن فيرى في عيوب غيره عيوب نفسه
وليعلم ان الطباع متقاربة في اتباع الهوى فما يتصف به واحد من الاقران لا
ينفك القرين الآخر عن اصله او عن اعظم منه او عن شيء منه فيتفقد نفسه
ويطهرها عن كل ما يذمه من غيره وناهيك بهذا تأديبا فلو ترك الناس
كلهم ما يكرهونه من غيرهم لاستغنوا عن المؤدب قيل لعيسى على نبينا وعليه
السلام من ادبك فقال ما ادبني احد رأيت جهل الجاهل فجانبته الباب
الثاني فيما يؤدي الى مساوي الاخلاق من البطن والفرج واللسان اعلم
ان الاخلاق انما تترسخ في النفس بتكرير الاعمال والاعمال انما تصدر من
القلب بتوسط الجوارح وكل جارحة تصلح لان يصدر منها الاعمال الحسنة
الجالبة للاخلاق الحسنة وان يصدر منه الاعمال القبيحة المورثة للاخلاق
السيئة فلا بد من مراعاة القلب والجوارح بصرفها الى الخيرات وصرفها من
الشرور واعظم المهلكات لابن ادم شهوة البطن والفرج واللسان وفي الخبر
النبوي من وقي قبقبه وذبذبه ولقلقه فقد وقي والقبقب البطن والذبذب

الفرج

الفرج واللقلق اللسان وطالما شهوة البطن فبها اخرج ادم وحوا من دار
القرار الى دار الذل والافتقار اذ نهيا عن اكل الشجرة فغلبتهما شهوتهما حتى اكلا
منها فبدت لهما سوآتهما والبطن على التحقيق ينبوع الشهوات ومنبت الادواء
والآفات اذ يتبعها شهوة الفرج وشدة الشبق الى المنكوحات ثم يتبع شهوة الطعام
والنكاح شدة الرغبة في المال والجاه اللذين هما الوسيلة الى التوسع في المطعومات
والمنكوحات ثم يتبع استكثار المال والجاه انواع الرعونات وضروب المنافسات
والمحاسدات ثم يتولد منهما آفة الرياء وغائلة التفاخر والتكاثر والكبرياء
ثم يتداعى ذلك الى الحقد والعداوة والبغضاء ثم يفضي ذلك بصاحبه الى اقتحام
البغي والمنكر والفحشاء وكل ذلك ثمرة اهمال المعدة وما يتولد منه من بطر الشبع و
الامتلاء ولو ذلل العبد نفسه بالجوع وضيق مجاري الشيطان لاذعنت
لطاعة الله ولم تسلك سبيل البطر والطغيان ولم تنجر به ذلك الى الانهماك
في الدنيا وايثار العاجلة على العقبى ولم تتكالب كل هذا التكالب على الدنيا
النبوي ما ملأ ابن ادم وعاء شرا من بطنه حسب ابن ادم لقيمات يقمن
صلبه فان كان هو لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه
وقال صلى الله عليه وآله لا تميتوا القلوب بكثرة الطعام والشراب فان القلب كالزرع يموت
اذا كثر عليه الماء وقال ص افضلكم منزلة عند الله اطولكم جوعا وتفكرا
وابغضكم الى الله كل نؤوم اكول شروب وقال الصادق ع ان البطن ليطغى من
اكلة واقرب ما يكون العبد الى الله اذا خف بطنه وابغض ما يكون الى الله
اذا امتلأ بطنه وفي مصباح الشريعة قال الصادق ع ما من شيء اضر لقلب
المؤمن من كثرة الاكل وهي مورثة لشيئين قسوة القلب وهيجان الشهوة
والجوع ادام للمؤمن وغذاء للروح وطعام للقلب وصحة للبدن

وقال لقمن لابنه يا بني اذا امتلات المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة
وقعدت الاعضاء عن العبادة وبالجملة ففوايد الجوع كثيرة منها صفاء
الباطن ورقة القلب والاستلذاذ بالطاعة والانكسار المانع عن المعصية
والغفلة وذكر جوع يوم القيمة وكسر شهوة الفرج المستولية بالشبع و
دفع النوم الذي يكل الطبع ويضيع العمر ويفوت القيام والتهجد و
تيسر المواظبة على الطاعة لخفة البدن والفراغ عن الاهتمام بالتحصيل والاعداد
والاكل ودفع الامراض الناشية عنها فان المعدة بيت الداء والحمية راس
كل دواء **فصل** قد علمت ان المقصد الاقصى في جميع الاحوال والاخلاق الى
وما ذكر في فضايل الجوع ربما يومي الى ان الافراط فيه مطلوب وهيهات ولكن من
اسرار حكمة الشريعة ان كل ما يطلب الطبع فيه الطرف الاقصى كان فيه فساد
الشرع بالمبالغة والمنع منه على نحو عند الجاهل الى ان المطلوب مضادة ما — وجده
يقتضيه الطبع بغاية الامكان والعالم يدرك ان المقصود هو الوسط لان الطبع
اذا طلب غاية الشبع فالشرع ينبغي ان يطلب غاية الجوع حتى يكون الطبع باعثا
والشرع مانعا فيتقاومان ويحصل الاعتدال ولما بالغ النبي صلعم في الثناء على قيام
الليل وصيام النهار ثم علم من حال بعضهم انه يصوم الدهر ويقوم الليل كله نهى
عنه فاذا عرفت هذا فاعلم ان الافضل بالاضافة الى الطبع المعتدل ان ياكل بحيث
لا يحس بالم الجوع بل ينسى الجوع فلا يوثر فيه اصلا فان المقصود من الاكل بقاء الحيوة — بثقل المعدة ولا يحس م
وقوة العبادة وثقل الطعام يمنع العبادة والم الجوع ايضا يشغل القلب و
يمنع منها فالمقصود ان ياكل اكلا معتدلا بحيث لا يبقى للاكل فيه اثر ليكون
متشبها بالملائكة فانهم مقدسون عن ثقل الطعام والم الجوع والدليل الاثر
بقوله تعالى كلوا واشربوا ولا تسرفوا فالقوام فيه ان لا ياكل طعاما

حتى

حتى يشتهيه ويرفع يده عنه وهو يشتهيه **فصل** واما شهوة الفرج
فانما سلطت على الانسان لبقاء النسل ودوام الوجود ولان يدرك لذته
فيقيس بها اللذات الاخروية فان لذة الوقاع لو دامت لكانت اقوى اللذات الاجساد كما ان الم
النار اعظم الام الجسد فالترهيب والترغيب يسوقان الخلق الى سعادتهم وليس ذلك
الا بالم محسوس ولذة مدركة فهذان فايدتها ولكن فيها من الافات ما يهلك الدين
والدنيا ان لم تنضبط ولم تقهر ولم ترد الى حد الاعتدال فان لها ايضا افراطا
وتفريطا فافراطها ما يقهر العقل حتى يصرف همة الرجل الى التمتع بالنساء والجواري
فيحرم من سلوك طريق الاخرة او يقهر الدين حتى يجر الى اقتحام الفواحش وقد ينتهي
هذه الشهوة بمن غلب وهم على عقله الى العشق البهيمي الذي ينشا من استيلاء
الشهوة فيستسخر الوهم العقل لخدمة الشهوة وقد خلق العقل ليكون مطاعا
لا ليكون خادما للشهوة محتالا لاجلها وهو مرض قلب فارغ لا هم له وانما يجب
الاحتراز منه في اوايله بترك معاودة النظر والفكر والا فاذا استحكم عسر دفعه — لعدم تفقد البدرة
وتفريط هذه الشهوة اما بالعنة الخارجة عن الاعتدال او الضعف عن
امتاع المنكوحة وهو ايضا مذموم وانما المحمود ان يكون معتدلة ومطيعة
للعقل والشرع في انبساطها وانضباطها ومهما افرطت فكسرها يكون
بالجوع وبالنكاح قال رسول الله صلعم معاشر الشباب عليكم بالباءة
فمن لم يستطع فعليه بالصوم فان الصوم له وجاء **فصل** اعلم
ان هذه الشهوة اغلب الشهوات على الانسان واعصاها عند الهيجان على العقل
الا ان مقتضاها قبيح يستحيى منه ويخشى من اقتحامه وامتناع اكثر الناس عن مقتضاها
اما لعجز او لخوف او لحياء او المحافظة على حشمته وليس في شي من ذلك ثواب فان من
ايثار حظ من حظوظ النفس على حظ اخر نعم من العصمة ان لا يقدر في العوين

الوجاء بالكسر والمد رض عروق البيضتين حتى تنفضخ فيكون شبيها
بالخصاء وفي الحديث عليكم بالباءة فمن لم يستطع فعليه بالصوم
فانه له وجاء وقد وجي الكبش

هذه م

فائدة وهو دفع الاثم فان من ترك الزنا اندفع عنه اثمه باي سبب كان تركه
وانما الفضل والثواب الجزيل في تركه خوفا من الله تعالى مع القدرة عليه وارتفاع
الموانع وتيسر الاسباب لا سيما عند صدق الشهوة وهذه درجة الصديقين ولذلك
قال رسول الله صلعم من عشق فعف وكتم فمات فهو شهيد وقال سبعة يظلهم الله
يوم لا ظل الا ظله وعدّ منهم رجلا دعته امراة ذات حسب وجمال الى نفسها
فقال اني اخاف الله رب العالمين وقصة يوسف وامتناعه عن زليخا مع القدرة
ورغبتها معروفة وقد اثنى الله تعالى بذلك عليه في كتابه وهو امام كل من وفق
لمجاهدة الشيطان في هذه الشهوة العظيمة قال الله تعالى قل للمؤمنين يغضوا من
ابصارهم ويحفظوا فروجهم وقال النبي صلعم النظرة سهم مسموم من سهام
ابليس فمن تركها خوفا من الله اعطاه الله ايمانا يجد حلاوته في قلبه وقال
اتقوا فتنة الدنيا وفتنة النساء فان اول فتنة بني اسرائيل كانت من النساء

فصل واما اللسان فانه من نعم الله العظيمة ولطايف صنعه الغريبة
فانه صغير جرمه عظيم طاعته وجرمه اذ لا يتبين الايمان والكفر الا بشهادة
اللسان وهما غاية الطاعة والطغيان ثم انه ما من موجود ومعدوم خالق
او مخلوق متخيل ومعلوم مظنون او موهوم الا واللسان يتناوله ويتعرض
له باثبات او نفي فان كل ما يتناوله العلم يعبر عنه اللسان اما بحق او باطل
ولا شيء الا والعلم متناوله وهذه خاصية لا توجد في ساير الاعضاء فان
العين لا تصل الى غير الالوان والصور والاذن لا تصل الى غير الاصوات واليد لا تصل الى غير الاجسام وكذا ساير الاعضاء واللسان رحب الميدان
ليس له مرد ولا لمجاله منتهى ولا حد فله في الخير مجال رحب وله في الشر مجرى
سحب فمن اطلق عذبة اللسان واهمله مرخي العنان سلك به الشيطان
في كل ميدان وساقه الى شفا جرف هار الى ان يضطره

الى

الى البوار ولا يكب الناس على مناخرهم في النار الا حصايد السنتهم كما
ورد في الحديث النبوي ولا ينجو من شر اللسان الا ان يقيد بلجام الشرع فلا
يطلق الا فيما ينفع في الدنيا والاخرة ويكفه عن كل ما يخشى غائلته في عاجله
واجله وعلم ما يحمد اطلاق اللسان فيه او يذم غامض عزيز والعمل بمقتضاه
على من عرفه ثقيل عسير واعصى الاعضاء على الانسان اللسان فانه لا تعب في
تحريكه ولا مؤنة في اطلاقه وقد تساهل الخلق في الاحتراز عن افاته وغوائله
والحذر من مصائده وحبائله وانه اعظم الة الشيطان في استغواء الانسان
ولذلك قال النبي صلعم من صمت نجا وقال الصمت حكم وقليل فاعله اي هو حكمة وحزم
وقال صلعم امسك لسانك فانها صدقة تصدق بها على نفسك ثم قال ولا يعرف
عبد حقيقة الايمان حتى يخزن لسانه وقال صلعم من راى موضع كلامه من عمله
قل كلامه الا فيما يعنيه ومر امير المؤمنين ع برجل يتكلم بفضول الكلام
فوقف عليه فقال يا هذا انك تملي على حافظيك كتابا الى ربك فتكلم بما يعنيك
ودع ما لا يعنيك وعن السجاد ع قال ان لسان ابن ادم يشرف على جميع جوارحه
كل صباح فيقول كيف اصبحتم فيقولون بخير ان تركتنا ويقولون الله الله فينا
ويناشدونه ويقولون انما نثاب ونعاقب بك وعن الباقر ع ان شيعتنا الخرس
وعن الصادق ع النوم راحة للجسد والنطق راحة للروح والسكوت راحة العقل وقال
في حكمة ال داود على العاقل ان يكون عارفا بزمانه مقبلا على شانه حافظا للسانه وقال
لقمان لابنه يا بني ان كنت زعمت ان الكلام من فضة فان السكوت من ذهب وفي مصباح
الشريعة قال الصادق ع الكلام اظهار ما في قلب المرء من الصفاء والكدر والعلم والجهل قال
امير المؤمنين ع المرء مخبوء تحت لسانه فزن كلامك واعرضه على العقل
والمعرفة فان كان لله وفي الله فتكلم وان كان غير ذلك فالسكوت خير

منه وليس على الجوارح عبادة اخف مؤنة وافضل منزلة واعظم قدرا عند الله
من الكلام في رضاء الله ولوجهه ولنشر الائه ونعمائه في عباده الا ترى ان الله
عز وجل لم يجعل فيما بينه وبين رسله معنى يكشف ما اسر اليهم من مكنونات علمه
ومخزونات وحيه غير الكلام وكذلك بين الرسل والامم فقد ثبت بهذا انه افضل
الوسايل والطف العبادة وكذلك لا معصية اثقل على العبد واسرع عقوبة عند الله
واشدها ملامة والحجها سامة عند الخلق منه وسئل السجاد عن الكلام و
السكوت ايهما افضل فقال ع لكل واحد منهما افات فاذا سلما من الافات فالكلام
افضل من السكوت قيل وكيف ذلك يا ابن رسول الله قال لان الله عز وجل ما بعث
الانبياء والاوصياء بالسكوت انما بعثهم بالكلام ولا استحقت الجنة
بالسكوت ولا استوجبت ولاية الله بالسكوت ولا توقيت النار بالسكوت
ولا يجتنب سخط الله بالسكوت انما ذلك كله بالكلام ما كنت لاعدل القمر بالشمس
انك تصف فضل السكوت بالكلام ولست تصف فضل الكلام بالسكوت

فصل اعلم ان افات اللسان كثيرة منها الخطاء والكذب والغيبة الغير
الماذون فيهما وخلف الوعد والنميمة والرياء والنفاق والفحش والمراء
وتزكية النفس والخصومة والفضول والخوض في الباطل والتحريف والزيادة
والنقصان وايذاء الخلق وهتك العورات وافشاء السر والتحقير والاستهزاء
ونحو ذلك وهي سباقة الى اللسان لا تثقل عليه ولها حلاوة في القلب وعليها
بواعث من الطبع ومن الشيطان فالخايض فيها قلما يقدر على ان يزم
اللسان فيطلقه بما يحب ويكفه عما لا يحب فان في ذلك من غوامض العلم وفي الخوض
خطر وفي الصمت نجاة فلذلك عظم فضل الصمت مع ما فيه من جمع الهم ودوام الوقار
والفراغ في الفكر والذكر والعبادة والسلامة من تبعات القول في الدنيا و

حاسبه

حاسبه في الاخرة قال الله تعالى ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد وقال تعالى
لا خير في كثير من نجويهم الا من امر بصدقة او معروف او اصلاح بين الناس وقال
النبي صلعم طوبى لمن امسك الفضل من لسانه وانفق الفضل من ماله **فصل**
وانما قيدنا الكذب والغيبة بغير الماذونين لان من الكذب والغيبة ما يجوز
قال الصادق ع كل كذب مسؤل عنه صاحبه الا في ثلاثة رجل
كايد في حربه فهو موضوع عنه ورجل اصلح بين اثنين يلقى هذا بغير ما يلقى به هذا
يريد بذلك الاصلاح بينهما ورجل وعد اهله شيئا وهو لا يريد ان يتم لهم و كذا
ورد عن النبي صلعم وورد ان في المعاريض لمندوحة عن الكذب يعني بالمعاريض التورية
وذلك اذا اضطر اليهما وقال النبي صلعم من القى جلباب الحياء عن وجهه فلا غيبة
له وقال ليس لفاسق غيبة وقال ص لي الواجد يحل عرضه وعقوبته وقال لصاحب
الحق مقال وقد ورد الحديث في وجوب غيبة اهل البدع والريب
ليحذرهم الناس وعن النبي صلعم اترعون عن ذكر الفاجر حتى لا يعرفه الناس اذكروه
بما فيه يحذره الناس وفي معنى الغيبة قالوا الله ورسوله اعلم قال ذكرك
اخاك بما يكره قيل ارايت ان كان في اخي ما اقول قال ان كان فيه
ما تقول فقد اغتبته فان لم يكن فيه فقد بهته وفي مصباح الشريعة
قال الصادق ع صفة الغيبة ان يذكر احدا بما ليس هو عند الله عيب
ويذم ما يحمده العلم فيه واما الخوض في ذكر الغايب بما هو عند الله
مذموم وصاحبه فيه ملوم فليس بغيبة وان كره صاحبه
اذا سمع به وكنت انت معافى عنه خاليا منه وتكون مبينا
للحق من الباطل ببيان الله ورسوله ولكن على شرط ان لا يكون للقايل بذلك
مراد غير بيان الحق والباطل في دين الله واما اذا اراد به نقيض المذكور بغير ذلك

الجلباب بالكسر الملحفة

اترعون ع ط

المعنى فهو ماخوذ بفساد مراده وان كان صوابا اقول وينبغي تخصيص هذا
الحديث بما اذا لم يكن صاحبه عالما بقبحه ساترا على نفسه كارها الظهور ويدل على
ذلك ما روى عنه عليه السلام انه قال هو ان يقول لاخيك في دينه ما لم يفعل ويثبت
عليه امرا قد ستره الله عليه لم يقم عليه فيه حد وعن الكاظم ع قال من ذكر رجلا
من خلفه بما هو فيه مما لا يعرفه الناس اغتابه ومن ذكره بما ليس فيه فقد بهته
وعن الصادق ع قال الغيبة ان تقول في اخيك ما ستره الله عليه واما الامر الظاهر
فيه مثل الحدة والعجلة فلا وخص بعض علمائنا تحريم الغيبة بغيبة من يعتقد
الحق لان ادلة الحكم غير متناولة لاهل الضلال فان الحكم فيها منوط بالمؤمن
او بالاخ والمراد اخوة الايمان فلا يتناول من لا يعتقد الحق وعن الصادق ع ان اصل
الغيبة يتنوع بعشرة انواع شفاء غيظ ومساعدة قوم وتهمة وتصديق خبر
بلا كشفه وسوء ظن وحسد وسخرية وتعجب وتبرم وتزين فاذا اردت السلامة فاقطع
المغتاب فاستحل منه فان لم تلحقه ولم تبلغه فاستغفر الله وسائر آفات اللسان مستغنى
عن البيان **الباب الثالث** في الغضب والحقد والحسد اعلم
ان الغضب شعلة نار اقتبست من نار الله الموقدة الا انها لا تطلع الا على
الافئدة وانها المستكنة في طي الفؤاد استكنان الجمر تحت الرماد وتخرجها
حمية الدين من قلوب المؤمنين او حمية الجاهلية والكبر الدفين من قلوب
الجبابرين التي لها عرق الى الشيطان اللعين حيث قال خلقتني من نار وخلقته
من طين فمن شان الطين السكون والوقار ومن شان النار التلظي والاشتعال
والحركة والاضطراب ومن نتائج هذا الغضب الحقد والحسد وبهما هلك
من هلك وفسد من فسد ومفيضهما مضغة اذا صلحت صلح لها سائر الجسد
قال رسول الله صلعم الغضب يفسد الايمان كما يفسد الخل العسل وقال من كف غضبه

الاضطهار والازالة وقد ... يعبر ... بطون ... والجلود

كف الله عنه عذابه وقال الباقر ع ان هذا الغضب جمرة من الشيطان توقد في قلب
ابن ادم وان احدكم اذا غضب احمرت عيناه وانتفخت اوداجه ودخل الشيطان
فيه فاذا خاف احدكم ذلك من نفسه فليلزم الارض فان رجز الشيطان ليذهب
عنه عند ذلك وقال وايما رجل غضب على ذي رحم فليدن منه وليمسه فان
الرحم اذا مست سكنت قال وكان ابي يقول اي شيء اشد من الغضب ان الرجل
يغضب فيقتل النفس التي حرم الله ويقذف المحصنة وقال من كف غضبه ستر
الله عورته وقال ان في التورية مكتوب يا ابن ادم اذكرني حين تغضب اذكرك
عند غضبي وقال الصادق ع الغضب مفتاح كل شر وانما ينبسط الدم عند الغضب
اذا غضب الانسان على من دونه واستشعر القدرة عليه فان صدر الغضب
على من فوقه وكان معه ياس من الانتقام تولد منه انقباض الدم من ظاهر
الجلد الى جوف القلب وصار حزنا ولذلك يصفر اللون وان كان على نظير يشك فيه
تردد بين انقباض وانبساط فيحمر ويصفر ويضطرب لطلب الانتقام وانما
يتوجه هذه القوة عند ثورانها الى دفع المؤذيات التي خلقت لاجله قبل
وقوعها والى التشفي والانتقام بعد وقوعها والانتقام قوت هذه القوة و
شهوتها وفيه لذتها ولا تسكن الا به والناس في هذه القوة على درجات
ثلث في اول الفطرة من التفريط والافراط والاعتدال اما التفريط فبفقد
هذه القوة او ضعفها وذلك مذموم وهو الذي يقال فيه انه لا
حمية له وهو ناقص جدا ومن ثمراته عدم الغيرة على الحرم واحتمال الذل
من الاخساء وصغر النفس والجزع والسكوت عند مشاهدة المنكرات و
قد وصف الله خيار الصحابة بالشدة والحمية فقال اشداء على الكفار رحماء
بينهم وقال تعالى يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم

من اثار قوة الغضب اما الافراطيه

واما الشدة والغلظة فهو ان تغلب هذه الصفة حتى تخرج من سياسة العقل و
الدين وطاعتهما فلا يبقى للمرء معها بصيرة ونظر وفكر ولا اختيار وسبب غلبته
قد يكون فطريا وقد يكون اعتياديا بان يخالط قوما يتبجحون بتشفي الغيظ
وطاعة الغضب ويسمون ذلك شجاعة ورجولية فيقول احدهم انا الذي لا
اصبر على المحال ولا احتمل من احد امرا ومعناه لا عقل لي ثم يذكره في معرض
الفخر بجهله فمن سمعه فريسخ في نفسه حسن الغضب وحب التشبه
بالقوم فيعمى ويصم عن كل موعظة ولا يقدر الاستضاءة بنور عقله
لانطفائه بدخان الغضب ومن اثار الغضب في الظاهر تغير اللون وشدة
الرعدة في الاطراف وخروج الافعال عن الترتيب والنظام واضطراب الحركة
والكلام حتى يظهر الزبد على الاشداق وتحمر الاحداق وتنقلب المناخر و
تستحيل الخلقة ولو راى الغضبان في حال غضبه قبح صورته لسكن غضبه
حياء من قبح صورته وقبح باطنه اعظم من قبح ظاهره فان الظاهر عنوان
الباطن وانما قبحت صورة الباطن اولا ثم انتشر قبحها الى الظاهر ثانيا فهذه
اثره في الجسد واما اثره في اللسان فانطلاقه بالشتم والفحش وقبيح الكلام
الذي يستحيي منه ذوو العقول ويستحيي منه قائله عند فتور الغضب
ذلك مع تخبط النظم واضطراب اللفظ واما اثره في الاعضاء فالضرب والتهجم و
التمزيق والقتل والجرح عند التمكن من غير مبالاة فان هرب منه المغضوب
عليه او فاته لسبب وعجز عن التشفي رجع الغضب على صاحبه فيمزق
ثوب نفسه ويلطم وجهه وقد يعدو عدو الواله السكران والمدهوش
المتحير وربما سقط صريعا لا يطيق العدو والنهوض لشدة الغضب ويعتريه
شبه الغشية وربما يضرب الجمادات والحيوانات فيضرب القصعة على

الارض

البهيمة
الارض ويكسر المائدة اذا غضب عليهما وقد يتعاطى افعال المجانين فيشتم
الجماد فيخاطبهما ويقول الى متى منك كانه يخاطب عاقلا واما اثره في القلب
فالحقد والحسد واظهار السوء والشماتة بالمساءة والحزن والعزم على افشاء
السر وهتك الاستار وغير ذلك من القبائح فهذه ثمرة الغضب المفرط وينبغي
لصاحبه ان يعالج نفسه من سورة الغضب ويقف على وسط الحق بين
الطرفين فهو الصراط المستقيم وهو ادق من الشعر واحد من السيف فان عجز
فليطلب القرب منه قال الله تعالى ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ولو
حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة فليس كل من عجز عن الاتيان
بالخير كله ينبغي ان يأتي بالشر كله ولكن بعض الشر اهون من بعض وبعض
الخير ارفع من بعض فصل اعلم ان الانسان ما دام يحب ما
يوافقه ويحتاج اليه ويكره ما يخالفه ويتاذى منه فلا يخلو عن الغيظ و
الغضب بجبلة طبعه فانه مهما اخذ منه محبوبه او قصد بمكروه غضب لا
محالة وهذا يختلف باختلاف الاشخاص واما المحبوب الضروري لكل
احد وما اشار اليه رسول الله صلعم بقوله من اصبح امنا في سربه معافى في بدنه وله
قوت يومه فكانما حيزت له الدنيا بحذافيرها فمن كان بصيرا بحقائق الامور
وسلم له هذه الثلاثة وكل ما كان ضروريا له خاصة يتصور ان لا يغضب
في غيرها اعني يقدر على ان لا يطيع الغضب ولا يستعمله في الظاهر الا على حد
يستحبه الشرع ويستحسنه العقل وذلك بالمجاهدة وتكلف التحلم والاحتمال
مدة حتى يصير الحلم والاحتمال خلقا راسخا فاما قمع اصل الغيظ من القلب فذلك
مقتضى الطبع فهو غير ممكن نعم يمكن كسر سورته وتضعيفه حتى لا يشتد هيجان
الغيظ في الباطن وينتهي ضعفه الى ان لا يظهر اثره في الوجه ولكن ذلك

شديد حزنا ان يقيل انما الواجب التألم بفوات المحتاج اليه دون الغضب فمن له
شاة مثلا وهي قوته فماتت فلا يغضب على احد وان كان يحصل فيه كراهة
ليس من ضرورة كل كراهة غضب فان الانسان يتالم بالفصد والحجامة
ولا يغضب على الفصاد والحجام فمن غلب عليه التوحيد حتى يرى الاشياء كلها من الله
فلا يغضب على احد من خلقه اذ يراهم مسخرين في قبضة قدرته كالقلم في يد الكاتب
ومن وقع عليه ملك يضرب رقبته لم يغضب على القلم فيندفع الغضب بغلبة
التوحيد ويندفع ايضا بحسن الظن بالله وهو ان يرى ان الكل من الله وان الله
لا يقدر له الا ما فيه الخيرة وربما يكون الخيرة في جوعه ومرضه وجرحه وقتله
فلا يغضب كما لا يغضب على الفصاد لانه يرى ان الخيرة فيه فنقول ان هذا
على هذا الوجه غير محال لكن غلبة التوحيد على هذا الوجه انما يكون كالبرق
الخاطف لا يدوم ويرجع القلب الى الالتفات الى الوسائط رجوعا طبيعيا لا يندفع عنه
ولو تصور ذلك على الدوام لبشر لتصور لرسول الله صلعم وعن امير المؤمنين ع قال
كان النبي ص لا يغضب للدنيا فاذا اغضبه الحق لم يعرفه احد ولم يقم لغضبه شيء
حتى ينتصر له فكان يغضب على وان كان غضبه لله فهو التفات الى الوسايط
على الجملة بل كل من يغضب على من ياخذ ضرورة قوته وحاجته التي لا بد له في
دينه منها فانما غضب لله فلا يمكن الانفكاك عنه نعم قد يفقد اصل الغيظ فيما
هو ضروري اذا كان القلب مشغولا بضروري اهم منه فلا يكون في القلب متسع
للغضب لاشتغاله بغيره فان اشتغال القلب ببعض المهمات يمنع الاحساس
بما عداه وهذا كما ان سلمان رض لما شتم قال ان خفت موازيني فانا شر مما تقول
وان ثقلت موازيني لم يضرني ما تقول فقد كان همه مصروفا الى الاخرة فلم
يتاثر قلبه بالشتم فاذا يتصور فقد الغيظ اما باشتغال القلب بمهم او بغلبة نظر التوحيد

اوللسبب

او بسبب ثالث وهو ان يعلم ان الله يحب منه ان لا يغتاظ فيطفئ شدة حبه لله غيظه
وذلك غير محال في احوال النادرة **فصل** قد ثبت ان علاج كل علة بحسم مادتها
وازالة اسبابها والاسباب المهيجة للغضب هي الزهو والعجب والفخر
والهزل والهزو والتعيير والمماراة والمضادة والغدر وشدة الحرص
على فضول المال والجاه وهي باجمعها اخلاق ردية مذمومة شرعا ولا خلاص من
الغضب مع بقاء هذه الاسباب فلا بد من ازالتها باضدادها فينبغي ان تميت
الزهو بالتواضع والعجب بالمعرفة بنفسك والفخر بمعرفة انه من الرذايل وانما
الفخر بالفضايل واما الهزل فتزيله بالجد في طلب الفضايل والاخلاق الحسنة
واما الهزو فتزيله بالتكرم عن ايذاء الناس وبصيانة النفس عن ان يستهزئ
بك واما التعيير فبالحذر عن قول القبيح وصيانة النفس عن مر الجواب واما
شدة الحرص على مزايا العيش فبالقناعة بقدر الضرورة طلبا لعز الاستغناء
وترفعا عن ذل الحاجة وكل خلق من هذه الاخلاق وصفة من هذه الصفات
يفتقر في علاجها الى رياضة وتحمل مشقة وحاصل رياضتها يرجع الى معرفة
غوائلها لترغب النفس عنها وتنفر عن قبحها ثم المواظبة على مباشرة
اضدادها مدة مديدة حتى تصير بالعادة مالوفة هينة على النفس فاذا
انمحت عن النفس فقد زكت وطهرت عن هذه الرذايل وتخلصت عن
الغضب الذي يتولد منها وعلاجه عند هيجانه الاستعاذة من الشيطان
والجلوس ان كان قائما والاضطجاع ان كان جالسا والوضوء او الغسل
بالماء البارد فان الغضب من النار كما ورد في الحديث النبوي ص وان يتفكر فيما ورد
في فضايل كظم الغيظ والعفو والحلم والاحتمال قال الله تعالى خذ العفو و
امر بالعرف واعرض عن الجاهلين وقال والكاظمين الغيظ والعافين

حسمه قطعه والحسم القطع صح

عن الناس والله يحب المحسنين وقال ادفع بالتي هي احسن السيئة فاذا الذي
بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم وما يلقيها الا الذين صبروا وما
يلقيها الا ذو حظ عظيم وقال النبي صلعم ما جرع عبد جرعة اعظم قدرا من جرعة
غيظ كظمها ابتغاء وجه الله وقال الباقر ع من كظم غيظا وهو يقدر على امضائه
حشا الله قلبه امنا وايمانا وقال الصادق ع ما من عبد كظم غيظا الا زاده الله عزا
في الدنيا والاخرة وقال ع كفى بالحلم ناصرا وقال اذا لم تكن حليما فتحلم وان يخ
يخوف نفسه بعقاب الله احوج ما يكون الى العفو وان يحذر نفسه عاقبة
العداوة والانتقام وتشمر العدو لمقابلته وان يتفكر في قبح صورته عند غضبه
بان يتذكر صورة غيره في حالة الغضب وان يعلم ان غضبه من تعجبه من
جريان الشيء على وفق مراد الله لا على وفق مراده وعن النبي صلعم الا ان بني
ادم خلقوا على طبقات شتى منهم بطيء الغضب سريع الفيء ومنهم سريع الغضب
سريع الفيء فتلك بتلك ومنهم سريع الغضب بطيء الفيء الا وان خيرهم
البطيء الغضب السريع الفيء وشرهم السريع الغضب بطيء الفيء **فصل**
اعلم ان الغضب اذا لزم كظمه لعجز عن التشفي في الحال رجع الى الباطن و
احتقن فيه فصار حقدا ومعنى الحقد ان يلزم قلبه استثقاله والبغضة
له والنفار عنه وان يدوم على ذلك ويبقى قال رسول الله صلعم المؤمن ليس
بحقود والحقد يثمر امورا منها الحسد وهو ان يحمله الحقد على ان يتمنى زوال
النعمة عنه فيغتم بنعمة ان اصابها ويسر بمصيبة ان نزلت به ومنها ان
يزيد على اضمار الحسد في الباطن فيشمت بما يصيبه من البلاء ومنها ان
يهجره وينقطع عنه وان طلبه المحقود واقبل عليه ومنها ان يتكلم فيه بما
لا يحل من كذب وغيبة وافشاء سر وهتك ستر وغيره ومنها ان يحاكيه

استهزاء به وسخرية منه ومنها ايذاؤه بالضرب وما يولم منه بدنه و
منها ان يمنعه حقه من صلة رحم او قضاء دين او رد مظلمة وكل ذلك حرام وا قل
درجاته ان يحترز من هذه الافات ولكن يستثقله بالباطن ولا ينتهي قلبه
عن بغضه حتى يمتنع عما كان يتطوع به من البشاشة والرفق والعناية والقيام
بحاجاته والمجالسة معه على ذكر الله والمعاونة على المنفعة له او يترك الدعاء
له والثناء عليه والتحريض على بره ومواساته فهذا كله مما ينقص درجته في
الدين ويحول بينه وبين فضل عظيم والاولى ان يبقى على ما كان فان امكنه
ان يزيد في الاحسان مجاهدة للنفس وارغاما للشيطان فذلك مقام الصديقين
قال رسول الله صلعم الا اخبركم بخير خلائق الدنيا والاخرة العفو عمن ظلمك وتصل
من قطعك والاحسان الى من اساء اليك واعطاء من حرمك وقال صلعم عليكم
بالعفو فان العفو لا يزيد العبد الا عزا فتعافوا يعزكم الله وقال الباقر ع الندامة
على العفو افضل وايسر من الندامة على العقوبة وعن النبي صلعم ان الرفق لم يوضع
على شيء الا زانه ولا نزع من شيء الا شانه وقال الباقر ع ان لكل شيء قفلا وقفل الايمان
الرفق وقال ص ان الله رفيق يحب الرفق ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف وقال
الصادق ع من كان رفيقا في امره نال ما يريد من الناس وقال الكاظم ع الرفق نصف العيش
فصل واعلم ان الحسد من نتائج الحقد كما ان الحقد من نتائج الغضب ثم الحسد من الفروع الذ
ملا يكاد يحصى قال الله تعالى في معرض الانكار ام يحسدون الناس على ما اتاهم الله من
فضله وقال ود كثير من اهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا
من عند انفسهم وقال ان تمسسكم حسنة تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها وذكر الله
حسد اخوة يوسف وعبر عما في قلوبهم وما ادى اليه من الرضا بقتله ثم ما اصابهم من
ذلك وقال رسول الله صلعم الحسد ياكل الحسنات كما ياكل النار الحطب وقال ص قال الله

تعالى لموسى بن عمران لا تحسدن الناس على ما آتيتهم من فضلي ولا تمدن عينيك الى ذلك
ولا تتبعه نفسك فان الحاسد ساخط لنعمي صاد لقسمي الذي قسمت بين
عبادي ومن يك كذلك فلست منه وليس مني وقال صلى الله عليه وآله استعينوا على قضاء الحوائج
بالكتمان فان كل ذي نعمة محسود وقال صلى الله عليه وآله ثلث لا ينجو منهن احد وفي رواية قل
من ينجو منهن الظن والطيرة والحسد وسأحدثكم بالمخرج من ذلك اذا ظننت فلا
تحقق واذا تطيرت فامض واذا حسدت فلا تبغ وقال الصادق عليه السلام آفة الدين
الحسد والعجب والفخر وفي مصباح الشريعة قال الصادق عليه السلام الحاسد مضر بنفسه
قبل ان يضر بالمحسود كابليس اورث بحسده لنفسه اللعنة ولآدم الاجتباء
والهدى والرفع الى محل حقايق العهد والاصطفاء فكن محسودا ولا تكن حاسدا
فان ميزان الحاسد ابدا خفيف بثقل ميزان المحسود والرزق مقسوم فماذا ينفع
الحسد الحاسد وما يضر المحسود الحسد والحسد اصله من عمى القلب
وجحود فضل الله وهما جناحان للكفر وبالحسد وقع ابن آدم في حسرة الابد
وهلك مهلكا لا ينجو منه ابدا ولا توبة للحاسد لانه مصر عليه معتقد
به مطبوع فيه يبدو بلا معارض به ولا سبب والطبع لا يتغير عن الاصل
وان عولج **فصل** معنى الحسد كراهة النعمة على المحسود وحب
زوالها منه فان لم يحب زوالها ولا يكره دوامها عليه ولكن يشتهي
لنفسه مثلها يسمى غبطة وقد يسمى منافسة قال الله تعالى وفي ذلك
فليتنافس المتنافسون والغبطة ان كان في الدنيا فمباح وان كانت في
الدين فمندوب اليها قال النبي صلى الله عليه وآله المؤمن يغبط والمنافق يحسد وقال
لا حسد الا في اثنين رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته في الحق
ورجل آتاه الله علما فهو يعمل به ويعلمه الناس سمى الغبطة حسدا وهذا

كما

ابن

چنین گرفتاری ما دید رحم فرمود که دیگر دلم نیابند قفس نفروشند

كما يسمى الحسد منافسة فان اصاب النعمة كافر او فاجر وهو يستعين بها على تهييج
الفتنة وافساد ذات البين وايذاء الخلق فلا يضر كراهتها عليه وحب زوالها
منه من حيث انها آلة للفساد لا من حيث انها نعمة واسباب الحسد المذموم
العداوة والتعزز والكبر والتعجب والخوف من فوت المقاصد المحبوبة
وحب الرياسة وخبث النفس وبخلها فانه انما يكره النعمة عليه اما لانه عدوه
فلا يريد له الخير واما ان يكون من حيث يعلم انه يستكبر بالنعمة عليه وهو لا
يطيق احتمال كبره وتفاخره لعزة نفسه وهو المراد بالتعزز واما ان يكون
في طبعه ان يتكبر على المحسود ويمتنع ذلك عليه بنعمته وهو المراد بالتكبر واما ان
يكون النعمة عظيمة والمنصب كبيرا فيتعجب من فوز مثله بمثل تلك النعمة وهو
المراد بالتعجب واما ان يخاف من فوات مقاصده بسبب نعمته بان يتوصل بها
الى مزاحمته في اغراضه واما ان يكون يحب الرياسة التي تبتني على الاختصاص
بنعمة لا يساوى فيها واما ان لا يكون بسبب من هذه الاسباب بل لخبث النفس و
شحها بالخير لعباد الله وان كان النعمة لا ينتقل اليه وقد يجتمع هذه الاسباب
او اكثرها في شخص واحد فيعظم الحسد لذلك ويقوى قوة لا يقدر معها على
الاخفاء والمجاملة فيهتك حجاب المجاملة ويظهر العداوة بالمكاشفة
فصل هذه الاسباب انما تكثر بين اقوام تجمعهم روابط يجتمعون
بسببها في مجالس المخاطبات ويتواردون على الاغراض فاذا خالف واحد
صاحبه في غرض من اغراضه نفر طبعه وابغضه وثبت الحقد في قلبه فعند
ذلك يريد ان يستحقره ويتكبر عليه ويكافيه على مخالفته لغرضه ويكره
تمكنه من النعمة التي توصله الى اغراضه واذا لم تكن رابطة بين شخصين في
بلدتين متباينتين فلا يكون بينهما محاسدة نعم اذا تجاورا في مسكن او سوق

او مسجد او مدرسة تواردوا على مقاصد تتناقض فيها اغراضهم فيثور بينهم التناقض
التنافر والتباغض ومنه تثور بقية الاسباب فلذلك ترى العالم يحسد
العالم دون العابد والعابد يحسد العابد دون العالم والتاجر يحسد التاجر
دون غيره الا بسبب اخر سوى الاجتماع في الحرفة ويحسد الرجل اخاه وابن عمه
اكثر مما يحسد الاجانب والمرأة تحسد ضرتها وسرية زوجها اكثر مما تحسد
ام الزوج وابنته وكذلك التزاحم على المقاصد نعم من اشتد حرصه على الجاه
وحب الصيت في جميع اطراف العالم بما هو فيه فانه يحسد كل من هو
في العالم ممن يساهمه في الخصلة التي يتفاخر بها ومنشأ كل ذلك حب الدنيا
فان الدنيا هي التي تضيق على المتزاحمين اما الاخرة فلا ضيق فيها وانما مثال
الاخرة نعمة علم الاخرة فلا جرم من يحب معرفة الله تعالى ومعرفة صفاته و
ملائكته وانبيائه وملكوت ارضه وسمائه لم يحسد غيره اذا عرف ذلك ايضا
لان المعرفة لا تضيق على العارفين بل المعلوم الواحد يعرفه الف الف عالم
ويفرح بمعرفته ويلتذ ولا ينقص لذة واحد بسبب غيره بل يحصل بكثرة
العارفين زيادة الانس وثمرة الافادة والاستفادة اذ معرفة الله بحر
واسع لا ضيق فيه والمنزلة عند الله ايضا لا ضيق فيه لان اجل ما عند الله
في النعيم لذة لقائه وليس فيها ممانعة ولا مزاحمة بل يزيد الانس بكثرتهم
نعم اذا قصد العلماء بالعلم المال والجاه تحاسدوا لان المال هو اعيان واجسام
اذا وقعت في يد واحد خلت عنها يد الاخرين ومعنى الجاه ملك القلوب ومهما
امتلأ قلب شخص بتعظيم عالم انصرف عن تعظيم الاخر او نقص عنه لا محالة
فيكون ذلك سببا للمحاسدة **فصل** اعلم ان الحسد من الامراض العظيمة
للقلوب ولا تداوى امراض القلب الا بالعلم والعمل والعلم النافع لمرض الحسد ان

تعرف

علاج

تعرف تحقيقا ان الحسد ضرر عليك في الدنيا والدين وانه لا ضرر به على المحسود
في الدين ولا في الدنيا بل ينتفع به فيهما ومهما عرفت هذا عن بصيرة ولم تكن
عدو نفسك وصديق عدوك فارقت الحسد لا محالة اما كونه ضررا عليك في
الدين فهو انك بالحسد سخطت قضاء الله تعالى وكرهت نعمته التي قسمها لعباده
وعدله الذي اقامه في ملكه بخفي حكمته واستنكرت ذلك واستبشعته
وهذه جناية على حدقة التوحيد وقذى في عين الايمان وناهيك بها جناية
على الدين وقد انضاف اليه انك غششت رجلا من المؤمنين وتركت نصيحته
وفارقت اولياء الله وانبياءه في حبهم الخير لعباد الله وشاركت ابليس وسائر
الكفار في محبتهم للمؤمنين البلايا وزوال النعم وهذه خبائث في القلب تاكل
حسنات القلب كما تاكل النار الحطب وتمحوها كما يمحو الليل النهار واما كونه
ضررا في الدنيا عليك فهو انك تتألم بحسدك وتتعذب به ولا تزال في كمد و
غم اذ اعداؤك لا يخليهم الله عن نعم يفيضها عليهم فلا تزال تتعذب بكل
نعمة تراها وتتألم بكل بلية تنصرف عنهم فتبقى مغموما محزونا متشعب القلب
ضيق النفس كما تشتهيه لاعدائك وكما تشتهي اعداؤك لك فقد كنت تريد
المحنة لعدوك فتنجزت في الحال محنتك نقدا ولا تزول النعمة على المحسود
بحسدك اذ لو كانت النعم تزول بالحسد لم يبق لله عليك نعمة ولا على الخلق
ولا نعمة الايمان ايضا لان الكفار يحسدون المؤمنين على الايمان قال الله تعالى
ودت طائفة من اهل الكتاب لو يضلونكم وما يضلون الا انفسهم وما
يشعرون بل ما قدره الله من اقبال ونعمة فلا بد ان يدوم الى اجل قدره الله تعالى
ولا حيلة في دفعه بل كل شيء عنده بمقدار ولكل اجل كتاب ومهما لم تزل
النعمة بالحسد لم يكن على المحسود ضرر في الدنيا ولا في الدين فواضح اما منفعته

ولا يكون عليه اثم في الاخرة ولا ضرر في الدين
بل ينتفع في الدين والدنيا معا

فى الدين فهو انت مظلوم من جهتك لاسيما اذا اخرجك الحسد الى القول او الفعل
بالغيبة والقدح فيه وهتك ستره وذكر مساويه فهذه هدايا تهديها اليه بانتقال
حسناتك الى ديوانه حتى تلقاه مفلسا محروما عن النعمة كما حرمت فى الدنيا عن
النعمة فاضفت له نعمة الى نعمة واضفت لنفسك شقاوة الى شقاوتك واما
منفعته فى الدنيا فهو ان اهم اغراض الخلق مساءة الاعداء وغمهم وشقاوتهم
كونهم معذبين مغمومين ولا عذاب اعظم مما انت فيه من الم الحسد وقد فعلت
بنفسك ما هو مرادهم فالحاسد ينبغى ان يحكم الحسد فكلما يتقاضاه من
قول وفعل فينبغى ان يكلف نفسه نقيضه فان بعثه الحسد على القدح
فيه كلف لسانه المدح له والثناء عليه وان حمله على التكبر الزم نفسه التواضع
له والاعتذار اليه وان بعثه على كف الانعام عنه الزم نفسه الزيادة فى
الانعام فمهما فعل ذلك عن تكلف وعرفه المحسود طاب قلبه واحبه ومهما
احبه عاد الحاسد واحبه وتولد بينهما الموافقة التى تقطع مادة الحسد فهذه
ما تكلفه اولا طبعا اخرا ولا اصل فى العلاج قمع اسباب الحسد من الكبر وعزة
النفس وشدة الحرص على ما لا يغنى كما يأتى بيانه **الباب الرابع** فى الرياء
والكبر والعجب اعلم ان الرياء بالعبادة حرام وصاحبه ممقوت عند الله
قال الله تعالى ويل للمصلين الذين هم عن صلواتهم ساهون الذين هم يراؤن و
يمنعون الماعون وقال عز وجل يراؤن الناس ولا يذكرون الله الا قليلا وقال كالذى
ينفق ماله رياء الناس وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى من عمل عملا اشرك فيه غيرى
فهو له كله وانا منه برئ وانا اغنى الاغنياء عن الشرك وقال صلى الله عليه وسلم ان ادنى الرياء
شرك وقال عيسى عليه السلام يأتى زمان تخبث فيه سرايرهم وتحسن فيه علانيتهم طمعا فى
الدنيا لا يريدون به ما عند ربهم يكون دينهم رياء لا يخالطهم خوف فيعمهم الله

بعقاب

بعقاب فيدعونه دعاء الغريق فلا يستجيب لهم وقال صلى الله عليه وسلم ان الملك يصعد بعمل العبد
مبتهجا به فاذا صعد بحسناته يقول الله تعالى اجعلوها فى سجين انه ليس ايّاى
اراد بها وقال امير المؤمنين رضى الله عنه اخشوا الله خشية ليست بتعذير واعملوا لله فى غير
رياء وسمعة فانه من عمل لغير الله وكله الله الى عمله وقال عليه السلام ثلاث علامات
للمرائى ينشط اذا رأى الناس ويكسل اذا كان وحده ويحب ان يحمد فى كل اموره
وعن الباقر رضى الله عنه الابقاء على العمل اشد من العمل قيل وما الابقاء على العمل قال يصل
الرجل بصلة وينفق نفقة لله وحده لا شريك له فكتبت له سرا ثم يذكرها فتمحى
فتكتب له علانية ثم يذكرها فتمحى وتكتب له رياء وقال الصادق عليه السلام قال الله تعالى
انا خير شريك من اشرك معى فى عمله لم اقبله الا ما كان لى خالصا وقال كل رياء
شرك انه من عمل للناس كان ثوابه على الناس ومن عمل لله كان ثوابه على الله
وقال عليه السلام فى قول الله عز وجل فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا
يشرك بعبادة ربه احدا قال الرجل يعمل شيئا من الثواب لا يطلب به وجه الله
انما يطلب تزكية الناس يشتهى ان يسمع به الناس فهذا الذى اشرك بعبادة
ربه ثم قال ما من عبد اسر خيرا فذهبت الايام ابدا حتى يظهر الله له خيرا
وما من عبد يسر شرا فذهبت الايام حتى يظهر الله له شرا وقال عليه السلام ما يصنع
احدكم ان يظهر حسنا ويستر سيئا أليس يرجع الى نفسه فيعلم ان ذلك ليس كذلك
والله تعالى يقول بل الانسان على نفسه بصيرة ان السريرة اذا صحت
قويت العلانية وقال من اراد الله بالقليل من عمله اظهر الله له اكثر مما اراد
ومن اراد الناس بالكثير من عمله فى تعب من بدنه وسهر من ليله ابى الله الا
ان يقلله فى عين من سمعه ولا بأس بالسرور اذا كان قصده اخفاء الطاعة
والاخلاص لله لكن لما اطلع عليه الخلق علم ان الله اطلعهم عليه واظهر

الجميل من حاله فيستدل به على حسن صنيع الله به ونظره له والطافه فانه ستر
الطاعة والمعصية ثم ان الله يستر عليه المعصية ويظهر الطاعة فيكون فرحه
بجميل نظر الله له لا بحمد الناس وقيام المنزلة في قلوبهم وقد قال الله تعالى قل
بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا وكذا اذا استدل باظهار الله الجميل وستر
القبيح عليه في الدنيا انه كذلك يفعل به في الآخرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ستر الله
على عبد في الدنيا الا ستر عليه في الآخرة فيكون الاول فرحا بالقبول في الحال
وهذا الالتفات الى المستقبل وكذا اذا ظن رغبة المطلعين على الاقتداء به في الطاعة
فيتضاعف بذلك اجره فيكون له اجر العلانية بما اظهر آخرا واجر السر بما قصده اولا ومن
اقتدى به في طاعة فله اجر اعمال المقتدين من غير ان ينقص من اجورهم شيء وكذا اذا فرح
بطاعتهم لله في صحبتهم وبحبهم للمطيع وبميل قلوبهم الى الطاعة روي ان رجلا قال
لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا رسول الله اسر العمل لا احب ان يطلع عليه احد فيطلع عليه فيسرني
قال لك اجران اجر السر واجر العلانية وعن الباقر عليه السلام انه سئل عن الرجل يعمل الشيء
من الخير فيراه انسان فيسره ذلك فقال لا بأس ما من احد الا وهو يحب ان يظهر الله له في
الناس الخير اذا لم يكن صنع ذلك لذلك وكذا الكلام في كتمان المعاصي لا لان يعتقد
فيه الورع بل للتجافي عن الهتك او لان الستر مامور به ويعرف بكراهة ظهورها
من الغير او لانه يتألم بالذم من حيث هو فهو مباح لكونه جبليا او لان الناس شهداء الله كما ورد
او لان الذام يصير عاصيا ويعرف بالتسوية بين ذمه وذم غيره او للخوف فان يقصد بسوء
او للحياء فهو كرم الطبع كما ورد الحياء كله خير الحياء شعبة من الايمان او لان
يقتدى به الغير او حب محبة الناس له ليعلم محبة الله له فانه جعله محبوبا في قلوب
الناس **فصل** اعلم ان الرياء بالعبادة انما ينشأ من حب لذة الحمد والفرار
من الم الذم والطمع لما في ايدي الناس فمهما عرف العبد مضرة الرياء وما يفوته

من صلاح قلبه وما يحرم عنه في الحال من التوفيق وفي الآخرة من المنزلة عند الله
وما يتعرض له من العقاب والمقت الشديد والخزي وقابل ما يحصل له من العباد والتزين لهم
في الدنيا بما يفوته من الآخرة وما يحبط عليه من ثواب الاعمال لترك الريا لا محالة
مع ان العمل الواحد ربما كان يترجح به ميزان حسناته لو خلص فاذا فسد بالريا حول
الى كفة السيئات فيترجح به ويهوي الى النار هذا مع ما يتعرض له في الدنيا من تشتت
الهم بسبب ملاحظة قلوب الخلق فان رضا الناس غاية لا تدرك وكل ما يرضى به
فريق يسخط به فريق ورضا بعضهم في سخط البعض ومن طلب رضاهم في سخط
الله سخط الله عليه واسخطهم ايضا عليه ثم اي غرض له في مدحهم وايثار
ذم الله لاجل حمدهم ولا يزيده حمدهم رزقا ولا اجلا ولا ينفعه يوم فقره وفاقته
وهو يوم القيمة واما الطمع فيما في ايديهم فبان يعلم ان الله تعالى هو المسخر للقلوب
بالمنع والاعطاء وان الخلق مضطرون فيه ولا رازق الا الله ومن طمع في الخلق
لم يخل من الذل والخيبة وان وصل الى المراد لم يخل عن المنة والمهانة فاذا قرر
في قلبه آفة هذه الاسباب وضررها فترت رغبته واقبل على الله قلبه ويكفيه
ان الناس لو علموا ما في باطنه من قصد الرياء واظهار الاخلاص لمقتوه وسيكشف
الله عن سره حتى يبغضه الى الناس فلو اخلص لله لكشف الله لهم اخلاصه
وحببه اليهم وسخرهم له واطلق السنتهم بحمده والثناء عليه مع انه لا كمال
في مدحهم ولا نقصان في ذمهم ثم ينبغي ان يعود نفسه اخفاء العبادات واغلاق
الابواب دونها كما تغلق الابواب دون الفواحش حتى يقنع قلبه بعلم الله و
اطلاعه على عبادته ولا تنازعه النفس الى طلب علم غير الله به وذلك وان شق عليه
في بداية المجاهدة ولكن اذا صبر عليه مدة بالتكلف سقط عنه ثقله وهان عليه
بتواصل الطاف الله وما يمد به عباده من حسن التوفيق والتأييد ولكن الله

لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم فمن العبد المجاهدة ومن الله الهداية والله مع
المحسنين وفي مصباح الشريعة قال الصادق عم اكثر ما يقع الرياء في النظر والاكل والكلام
والمشي والمجالسة واللباس والضحك وفي الصلوة والحج والجهاد وقراءة القرآن وساير
العبادات الظاهرة ومن اخلص دينه باطنه وخشع له بقلبه ورأى نفسه مقصرا بعد بذل
المجهود وجد الشكر عليه حاصلا ويكون ممن يرجى له الخلاص من الرياء والنفاق
اذا استقام على ذلك في كل حال **فصل** واما الرياء بغير العبادات فقد يكون
مستحبا وقد يكون واجبا الذي يجب على المؤمن صيانة عرضه وان لا يفعل ما يعاب عليه
فلا يليق بذوي المروات ان يرتكبوا الامور الخسيسة بانفسهم عند مشاهدة الناس
وان جاز لهم في الخلوة الا ان ذلك يختلف باختلاف الازمنة والبلاد والاشخاص
من العباد فلا بد من مراعاة ذلك فعن الصادق عم انه نظر اليه رجل من اهل المدينة
قد اشترى لعياله شيئا وهو يحمله فلما رآه الرجل استحيى منه فقال عم اشتريته
لعيالك وحملته اليهم اما والله لولا اهل المدينة لاحببت ان اشتري لعيالي الشيء
ثم احمله اليهم لئلا تخافوا ان يعيبوني على ذلك مع ان جده امير المؤمنين عم
كان يفعل امثال ذلك الا انه كان في زمان لا يعاب عليه بمثل ما يجاز له
ان يرتكبه وكان منقبة له وتعليما وروي ان رسول الله صلعم اراد يوما ان يخرج
على اصحابه فكان ينظر في حب من الماء ويسوي عمامته وشعره فقيل له او تفعل
ذلك يا رسول الله فقال نعم ان الله يحب من العبد ان يتزين لاخوانه اذا خرج
اليهم وقال امير المؤمنين ليتزين احدكم لاخيه المسلم كما يتزين للغريب الذي
يحب ان يراه في احسن الهيئة وقال الصادق عم الثوب النقي يكبت العدو وكل
ذلك رياء محبوب **فصل** واما الكبر فانه من نتايج العجب و
التكبر ينشا من الحقد او الحسد او الرياء وقد ذم الله التكبر في مواضع من كتابه

قال

قال الله تعالى ساصرف عن اياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق وقال كذلك
يطبع الله على كل قلب متكبر جبار وقال رسول الله صلعم لا يدخل الجنة من كان في
قلبه مثقال حبة من خردل من كبر وقال من تعظم في نفسه واختال في مشيته
لقي الله وهو عليه غضبان وقال الباقر عم الكبر رداء الله والمتكبر ينازع الله
رداءه وقال الصادق عم الكبر ان تغمص الناس وتسفه الحق وفسر عليه السلم
في رواية اخرى سفه الحق بان يجهل الحق ويطعن على اهله والغمص
بتحقير الناس والتجبر عليهم وعلم ما من احد تكبر او تجبر الا لذلة وجدها
في نفسه وقال ان في جهنم لواديا للمتكبرين يقال له سقر شكى الى الله شدة
حره وسأله ان يأذن له ان يتنفس فتنفس فاحرق جهنم وقال ان المتكبرين
يجعلون في صور الذر يتوطاهم الناس حتى يفرغ الله من الحساب وقال
ان في السماء ملكين موكلين بالعباد فمن تواضع رفعاه ومن تكبر وضعاه
وعن النبي صلعم ما تواضع احد لله الا رفعه الله وعنه صلعم انه ليعجبني ان يحمل
الرجل الشيء في يده فيكون مهنة لاهله يدفع به الكبر عن نفسه وعنه صلعم
انه قال لاصحابه مالي لا ارى عليكم حلاوة العبادة قالوا وما حلاوة العبادة
قال التواضع وعنه صلعم قال اذا رايتم المتواضعين من امتي فتواضعوا لهم واذا
رايتم المتكبرين فتكبروا عليهم فان ذلك لهم مذلة وصغار وعن السجاد
انه مر على المجذومين وهو راكب حماره وهم يتغدون فدعوه الى الغداء
فقال اما اني لولا اني صائم لفعلت فلما صار الى منزله امر بطعام فصنع
وامر ان يتنوقوا فيه ثم دعاهم فتغدوا عنده وتغدى معهم وعن الكاظم عم
قال التواضع ان تعطي الناس ما تحب ان تعطاه وفي مصباح الشريعة قال
الصادق عم التواضع اصل كل شرف نفيس ومرتبة رفيعة ولو كان للتواضع

لغة يفهمها الخلق لنطق عن حقائق ما في مخفيات العواقب والتواضع يكون
لله وفي الله وما سواه مكر ومن تواضع لله شرفه الله على كثير من عباده و
لاهل التواضع علامات يعرفها اهل السموات من الملائكة واهل الارض من العارفين
قال الله عز وجل وعلى الاعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم واصل التواضع من اجلال الله
وهيبته وعظمته وليس لله عز وجل عبادة يرضاها ويقبلها الا وبابها التواضع ولا
يعرف ما في حقيقة التواضع الا المقربون من عباده المتصلين بوحدانيته قال الله عز وجل
وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما
وقد امر الله عز وجل اعز خلقه وسيد بريته محمدا صلى الله عليه وآله بالتواضع فقال
عز وجل واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين والتواضع مزرعة الخشوع و
الخضوع والخشية والحياء وانهن لا ياتين الا منها ولا يسلم الشرف التام الحقيقي الا
للمتواضع في ذات الله **فصل** التكبر قد يكون على الله كما كان لنمرود وفرعون
وقد يكون على رسله كما كان لمن كان يقول اهؤلاء من الله عليهم من بيننا وقد
يكون على ساير الناس بان يستعظم نفسه ويستحقر غيره فاذا سمع الحق من عبد من
عباد الله استنكف من قبوله واشمأز بجحده كما يكون لاكثر المناظرين في العلوم الغلبة
والافحام ثم قد يكون بالعلم وقد يكون بالعبادة والورع وقد يكون بالحسب والنسب
والجمال والمال والقوة وكثرة الانصار والاتباع والتكبر بالعلم له سببان احدهما ان
يكون اشتغاله بما يسمى علما وليس بعلم حقيقي والثاني ان يخوض في العلم وهو خبيث
النفس دني الاخلاق لم يهذب نفسه اولا ولم يزكها بالمجاهدات ولم يرض نفسه
في عبادة ربه فيبقى خبيث الجوهر فاذا خاض في العلم اي علم كان صادف العلم
من قلبه منزلا خبيثا فلم يطب ثمره ولم يظهر في الخير اثره وعلاجه ان يعلم
ان الكبر لا يليق الا بالله عز وجل وحده وانه اذا تكبر صار ممقوتا عند الله بغيضا فقد

احب الله عنه ان يتواضع فلا بد ان يكلف نفسه ما يحب مولاه وان يعلم ان
حجة الله على اهل العلم اوكد وانه يحتمل من الجاهل ما لا يحتمل عشره من العالم وان من عصى الله
عن معرفته وعلم فجنايته افحش اذ لم يقض حق نعمة الله عليه في العلم ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه
يؤتى بالعالم يوم القيمة فيلقى في النار فتندلق اقتابه فيدور بها كما يدور الحمار بالرحى
فيطيف به اهل النار فيقولون ما لك فيقول كنت آمر بالخير ولا آتيه وانهى عن الشر
وآتيه وقد مثل الله علماء اليهود بالحمار وبلعم بن باعورا بالكلب وقال عيسى عليه السلام
ويل للعلماء السوء كيف تلظى عليهم النار وقال الصادق ع يغفر للجاهل سبعون
ذنبا قبل ان يغفر للعالم ذنب واحد وعلى العابد الورع ان يعلم ان من يتقدم عليه
بالعلم لا ينبغي ان يتكبر عليه لما عرف من فضيلة العلم وكما ان العلم يمكن ان يكون
حجة على العالم يمكن ان يكون وسيلة له وكفارة لذنوبه ان الحسنات يذهبن السيئات
وامر غير العالم في حقه مستور وانما المدار على الخاتمة فعليه ان راى من هو شر منه
ان يقول لعل هذا ينجو واهلك انا فلا يراه شرا منه خائفا من العاقبة ويقول لعل
لهذا باطن فذلك خير له ولا ادري لعل فيه خلق كريم بينه وبين الله فرحمه الله
ويتوب عليه ويختم له باحسن الاعمال ويرى ظاهر فذلك شر لي لا امن فيما اظهر من
الطاعة ان يكون دخلها الآفات فاحبطتها وبالجملة من جوز ان يكون عند الله شقيا
وقد سبق القضاء الازلي بشقوته فما له سبيل الى ان يتكبر بحال من الاحوال نعم اذا
غلب الخوف راى كل احد خيرا من نفسه وذلك هو الفضيلة قال الله تعالى والذين يؤتون
ما آتوا وقلوبهم وجلة اي يؤتون الطاعات وهم على وجل عظيم من قبولها ومن
يعتريه الكبر من جهة النسب فليداو قلبه بمعرفة امرين احدهما ان هذا جهل من
حيث تعزز بكمال غيره ولذلك قيل **شعر** لئن فخرت بآباء ذوي شرف
لقد صدقت ولكن بئس ما ولدوا فالتكبر بالنسب كان ضيا في صفات ذاته

فمن اين يجبر خسته كمال غيره بل لو كان الذي ينتسب اليه حيا لكان له ان يقول الفضل لي
ومن انت انما انت دودة خلقت من فضلتي والثاني ان يعرف نسبه الحقيقي
فيعرف اباه وجده فان اباه القريب نطفة قذرة وجده البعيد تراب ذليل وقد عرّفه
الله نسبه فقال الذي احسن كل شي خلقه وبدا خلق الانسان من طين ثم جعل
نسله من سلالة من ماء مهين واما الكبر بالجمال فدواؤه ان ينظر الى باطنه نظر
العقلاء ليرى من فضايح ما يكدر عليه تعززه بجماله فانه وكل به الاقذار في
جميع اجزائه الرجيع في امعائه والبول في مثانته والمخاط في انفه والبصاق في فيه
والوسخ في اذنه والدم في عروقه والصديد تحت بشرته والصنان تحت ابطه يغسل
الغايط كل يوم دفعة او دفعتين بيده يتردد الى الخلا كل يوم مرة او مرتين
ليخرج من باطنه ما لو رآه بعينه لاستقذره فضلا عن ان يمسه او يشمه فاول
امره خلق من الاقذار الشنيعة الصور من النطفة ودم الحيض وخرج من مجرى البول
الى الرحم مغيض دم الحيض ثم مجرى القذر ولو ترك نفسه في حياته يوما لم يتعهده
بالتنظيف والغسل لثارت منه الانتان والاقذار وسيموت فيصير جيفة
اقذر من ساير الاقذار واما التكبر بالقوة فيمنعه من ذلك ان يعلم ما سلط عليه
من العلل والامراض وانه لو توجع عرق واحد من بدنه لصار اعجز من كل عاجز واذل
من كل ذليل وانه لو سلبه الذباب شيا لم يستنقذه منه وان بقة لو دخلت في
انفه او نملة دخلت في اذنه لقتلته وان شوكة لو دخلت رجله لاعجزته وان
حمى يوم تحلل من قوته ما لا ينجبر في مدة ثم ان اقوى انسان لا يكون اقوى من حمار
او فيل او جمل او بقر واي افتخار في صفة تسبقه البهايم واما التكبر بالغنى وكثرة
المال والاتباع فذلك تكبر بمعنى خارج من ذات الانسان لا كالجمال والقوة
والعلم وهذا اقبح انواع التكبر فلو تشرف يسبقه اليهود وان تشرف باخذه

السارق

السارق والمتكبر بتمكن السلطان بناء امره على قلب هو اشد غليانا من القدر
فان تغير عليه كان اذل الخلق وكل متكبر بامر خارج من ذاته فهو ظاهر الجهل

فصل

اعلم انه لا يتم الشفا من الكبر الا باستيصال اصله من سنخه وقلع شجرته من مغرسها
في القلب وذلك بان يعرف ربه وانه لا يليق العظمة والكبرياء الا به وان يعرف
نفسه حق المعرفة ليعلم انه بذاته اذل من كل ذليل واقل من كل قليل ولا يليق به
التواضع والذلة والمهانة ويكفيه اية واحدة من كتاب الله عز وجل ان فتح بصيرته
قال الله تعالى قتل الانسان ما اكفره من اي شي خلقه من نطفة خلقه فقدره ثم
السبيل يسره ثم اماته فاقبره ثم اذا شاء انشره نعم لو اكمله وفوض اليه امره
وادام له الوجود باختياره لجاز ان يطغى وينسى المبدا والمنتهى ولكنه سلط عليه
في دوام وجوده الامراض الهايلة والاسقام العظيمة والافات المختلفة والطبايع
المتضادة من المرة والبلغم والريح والدم ليهدم البعض من اجزائه البعض شاء
ام ابى رضي ام سخط فيجوع كرها ويعطش كرها ويمرض كرها ويموت كرها لا يملك
لنفسه نفعا ولا ضرا ولا خيرا ولا شرا يريد ان يعلم الشي فيجهله ويريد ان يذكر الشي
فينساه ويريد ان ينسى الشي فيغفل عنه فلا يغفل ويريد ان يصرف قلبه الى ما
يهمه فيجول في اودية الوساوس والافكار بالاضطرار فلا يملك قلبه قلبه ولا نفسه نفسه
يشتهي الشي وربما يكون هلاكه فيه ويكره الشي ويكون حياته فيه يستلذ
الاطعمة فتهلكه وترديه ويستبشع الادوية وهي تنفعه وتحييه لا يامن في
لحظة من ليله ونهاره ان يسلب سمعه وبصره وعلمه وقدرته وتفلج اعضاؤه
ويختلس عقله ويختطف روحه ويسلب جميع ما يهواه في دنياه وهو مضطر
ذليل ان ترك بقي وان اختطف فني عبد مملوك لا يقدر على شي من نفسه ولا من
غيره فاي شي اذل منه لو عرف نفسه وانى يليق الكبر به لولا جهله فهذا اوسط

احواله فليتامله واما آخره ومورده فهو الموت المشار اليه بقوله تعم ثم اماته فاقبره فيصير
جيفة ميتة قذرة ثم تبلى اعضاؤه وصورته وتفتت اجزاؤه وتنخر عظامه فيصير
رميما ورفاتا ثم يصير روثا في اجواف الديدان ان يهرب منه الحيوان ويستقذره
كل انسان واحسن احواله ان يعود الى ما كان فيصير ترابا يعمل منه الكيزان
ويعمر به البنيان فما احسنه لو ترك ترابا بل يحيى بعد طول البلى ليقاسي
شدايد البلاء فيخرج من قبره بعد جمع اجزائه المتفرقة ويخرج الى اهوال القيمة
فينظر الى قيمة قائمة وسماء ممزقة مشققة وارض مبدلة وجبال مسيرة ونجوم
منكدرة وشمس منكسفة واحوال مظلمة وملائكة غلاظ شداد وجهنم تزفر
وجنة ينظر اليها فيتحسر ويرى صحائف منشورة كتب فيها ما نطق به وعمل من
قليل وكثير ونقير وقطمير وهو معنى قوله عز وجل ثم اذا شاء انشره فما لمن هذا
حاله والتكبر بل ما له وللفرح في لحظة فضلا عن البطر والتجبر واما العلاج
العملي فهو التواضع بالفعل لله تعم ولساير الخلق بالمواظبة على اخلاق المتواضعين
فقد ورد ان رسول الله صلعم كان ياكل على الارض ويقول انما انا عبد آكل كما ياكل
العبد وقيل لسلمان لم لا تلبس جيدا فقال انما انا عبد فاذا اعتقت يوما لبست اشار
به الى العتق في الآخرة وللمتواضع امتحانات يعرف بها تواضعه فلا بد ان يمتحن
نفسه بها حتى يطمئن بانه متواضع فانه قد يضمر التواضع ويدعي البراءة من الكبر
فاذا وقعت الواقعة عادت النفس الى طبعها ونسيت وعدها ثم المحمود ان يتواضع
في غير مذلة ومن غير تخاسس فان كلا طرفي الامور ذميم واحب الامور الى الله
اوسطها وهو ان يعطي كل ذي حق حقه وهو العدل فصل واما العجب فهو اعظام
النعمة والركون اليها مع نسيان اضافتها الى المنعم فان كان خائفا
على زوالها مشفقا على تكدرها او يكون فرحه بها من حيث انها من الله

من دون

من دون اضافتها الى نفسه فليس بمعجب فان انضاف الى ذلك ان غلب على نفسه ان
له عند الله حقا وانه منه بمكان واستبعد ان يجري عليه مكروه سمي ادلالا بالعمل
فكانه يرى لنفسه على الله دالة وكذلك قد يعطي غيره شيا فيستعظمه ويمن عليه
فيكون معجبا فان استخدمه او اقترح عليه الاقتراحات او استبعد تخلفه
عن قضاء حقوقه كان مدلا عليه قال الله تعم في معرض الانكار ويوم حنين
اذ اعجبتكم كثرتكم وقال وظنوا انهم مانعتهم حصونهم من الله فاتاهم الله من
حيث لم يحتسبوا وقال وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا وهذا ايضا يرجع
الى العجب بالعمل وقد يعجب الانسان بعمل هو مخطي فيه كما يعجب بعمل هو مصيب
فيه قال الله تعم افمن زين له سوء عمله فرآه حسنا وقال النبي صلعم ثلث مهلكات
شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه وقال صلعم اذا رايت شحا مطاعا وهوى
متبعا واعجاب كل ذي راي برايه فعليك بخاصة نفسك وقال صلعم لو لم تذنبوا لخشيت
عليكم ما هو اكبر من ذلك العجب العجب وقال الصادق عم ان الله تعم علم ان الذنب خير
للمؤمن من العجب ولولا ذلك ما ابتلي مؤمنا بذنب ابدا وقال ان الرجل ليذنب
الذنب فيندم عليه ويعمل العمل فيسره ذلك فيتراخى عن حاله تلك فلان يكون
على حاله تلك خير له مما دخل فيه وعنه عم قال اتى عالم عابدا فقال له كيف صلوتك فقال
مثلي يسال عن صلوته وانا عبد الله منذ كذا وكذا قال فكيف بكاؤك قال ابكي
حتى تجري دموعي فقال له العالم ان ضحكك وانت خائف افضل من بكائك
وانت مدل ان المدل لا يصعد من عمله شيء وعن الباقر عم قال دخل رجلان المسجد
احدهما عابد والآخر فاسق فخرجا من المسجد والفاسق صديق والعابد فاسق و
ذلك انه دخل العابد المسجد مدلا بعبادته يدل بها فتكون فكرته في ذلك
وتكون فكرة الفاسق في التندم على فسقه ويستغفر الله مما صنع من الذنوب وقال النبي صلعم

قال موسى لابليس اخبرني بالذنب الذي اذا اذنبه ابن ادم استحوذت عليه فقال
اذا اعجبته نفسه واستكثر عمله وصغر في عينه ذنبه وقال قال الله تعالى لداود يا داود بشر
المذنبين وانذر الصديقين قال داود كيف ابشر المذنبين وانذر الصديقين
قال يا داود بشر المذنبين اني اقبل التوبة واعفو عن الذنب وانذر الصديقين
ان لا يعجبوا باعمالهم فانه ليس عبد انصبه للحساب الا هلك وعن الكاظم ع انه
سئل عن العجب الذي يفسد العمل فقال العجب درجات منها ان يزين للعبد
سوء عمله فيراه حسنا فيعجبه ويحسب انه يحسن صنعا ومنها ان يؤمن العبد بربه فيمن
على الله ولله عليه فيه المن وفي مصباح الشريعة قال الصادق ع العجب كل
العجب ممن يعجب بعمله وهو لا يدري بما يختم له فمن اعجب بنفسه وفعله فقد ضل عن
نهج الرشاد وادعى ما ليس له والمدعي من غير حق كاذب وان اخفى دعواه و
طال دهره فان اول ما يفعل بالمعجب نزع ما اعجب به ليعلم انه عاجز فقير ويشهد
على نفسه ليكون الحجة عليه اوكد كما فعل بابليس والعجب نبات حبها الكفر
وارضها النفاق وماؤها البغي واغصانها الجهل وورقها الضلالة وثمرها
اللعنة والخلود في النار فمن اختار العجب فقد بذر الكفر وزرع النفاق ولا بد
من ان يثمر فصل اعلم ان افات العجب كثيرة منها انه يدعو الى الكبر لانه احد
اسبابه كما اشرنا اليه ومنها انه يدعو الى نسيان الذنوب فما يتذكر
منها فيستصغرها ولا يستعظمها فلا يجتهد في تداركها وتلافيها بل يظن
انها تغفر له واما العبادات فيستعظمها ويتبجح بها ويمن على الله بفعلها
وينسى نعمة الله عليه بالتوفيق والتمكين منها ثم اذا اعجب بها عمي عن افاتها ومن
لم يتفقد افات الاعمال كان اكثر سعيه ضايعا فان الاعمال الظاهرة اذا لم
تكن خالصة نقية عن الشوائب قلما تنفع وانما يتفقد من يغلب عليه

الاشفاق

الاشفاق والخوف دون العجب والمعجب يغتر بنفسه وبربه ويامن مكر الله وعذابه
ويظن انه عند الله بمكان وان له عند الله منة وحقا باعماله التي هي نعمة من نعمه
وعطية من عطاياه ويخرجه العجب الى ان يثني على نفسه ويحمدها ويزكيها فان اعجب
برايه وعقله وعلمه منعه ذلك من الاستفادة ومن الاستشارة والسؤال فيستبد ويستقل
بنفسه وبرايه ويستنكف عن سؤال من هو اعلم منه وربما يعجب بالراي الخطاء
الذي خطر له فيفرح بكونه من خواطره ولا يفرح بخاطر غيره فيصر عليه ولا يسمع نصح ناصح
ولا وعظ واعظ بل ينظر الى غيره بعين الاستجهال ولو اتهم نفسه ولم يثق برايه
واستضاء بنور القران واستعان بعلماء الدين وواظب على مدارسة العلم وسؤال
اهل البصيرة لكان ذلك يوصله الى الحق فهذا وامثاله من افات العجب ولذلك كان
من المهلكات ومن اعظم افاته انه يفتر في السعي لظنه انه قد فاز واستغنى وهو
الهلاك الصريح الذي لا شبهة فيه فصل اعلم ان الانسان قد يعجب بالاسباب
التي بها يتكبر وعلاجه فيما ذكرناه في الكبر وقد يعجب بما لا يتكبر به كعجبه بالراي
الخطاء الذي يزين له بجهله وقد اخبر رسول الله ص ان ذلك يغلب على اخر
هذه الامة وبذلك هلكت الامم اذ افترقت فرقا وكل معجب برايه وكل حزب
بما لديهم فرحون وجميع اهل البدع والضلال انما اصروا عليها لعجبهم بارائهم
وما يسوق اليه الهوى والشهوة مع ظن كونه حقا وعلاج هذا العجب اشد
من غيره لان صاحب الراي الخطاء جاهل بخطائه ولو عرفه لتركه ولا يعالج
الداء الذي لا يعرف والعارف يقدر على ان يبين للجاهل جهله ويزيله عنه الا اذا كان
معجبا برايه وجهله فانه لا يصغى الى العارف ويتهمه فقد سلط الله عليه بلية
تهلكه وهو يظنها نعمة وكيف يمكن الهرب مما هو سبب سعادته في اعتقاده وانما
علاجه في الجملة ان يكون متهما لرايه ابدا لا يغتر به الا ان يشهد له قاطع من كتاب

الله او سنة نبيه او دليل عقلي صحيح جامع لشروط الادلة ولن يعرف الانسان
ادلة الشرع والعقل وشروطها ومكان الغلط فيها الا بقريحة تامة وعقل ثابت وجد
وتشمير في الطلب وممارسة الكتاب والسنة ومجالسة لاهل العلم طول العمر
ومدارسة للعلوم ومع ذلك فلا يؤمن عليه الغلط في بعض الامور و
الصواب لمن لم يتفرغ لاستغراق عمره في العلم ان لا يخوض في المذاهب ولا
يصغي اليها ولا يسمعها ولكن يعتقد ان الله واحد لا شريك له وانه ليس كمثله
شيء وهو السميع البصير وان رسوله صادق فيما اخبر به ويتبع ائمة الهدى من اهل
البيت النبي صلعم ويؤمن بجملة ما جاء به الكتاب والسنة من غير بحث وتفتيش و
يشتغل بالتقوى واجتناب المعاصي والشفقة على المسلمين وساير الاعمال
المرضية فصل ولما كان علاج كل علة بمقابلة سببها بضده وعلة العجب الجهل
المحض فعلاجه المعرفة المضادة لذلك الجهل فقط فلنفرض العجب بالعمل الذي هو فعل
داخل تحت اختيار العبد كالعبادات فان العجب بهذا اغلب من العجب
بالجمال والقوة والنسب مما لا يدخل تحت اختياره ولا يراه من نفسه فنقول
الورع والتقوى والعبادة والعمل الذي به يعجب اما ان يكون يعجب به من حيث
انه فيه وهو محله ومجراه او من حيث انه منه وبسببه وقدرته وقوته فان كان
الاول فهو جهل لان المحل مسخر وانما يجري فيه وعليه من جهة غيره لا مدخل له في
الايجاد والتحصيل فكيف يعجب بما ليس اليه وان كان الثاني فينبغي ان يتامل
في قدرته وارادته واعضائه وساير الاسباب التي بها تم عمله انها من اين كانت
له فان كان علم ان جميع ذلك نعمة من الله اليه من غير حق سبق له ومن غير وسيلة
يدلي بها فينبغي ان يكون اعجابه بجود الله تعالى وكرمه وفضله
اذ افاض عليه ما لا يستحقه واثره به على غيره من غير سابقة و

وسيلة

وسيلة فان قال وفقني للعبادة بحبي له فيقال ومن خلق الحب في قلبك فسيقول
هو فيقال فالحب والعبادة كلاهما نعمتان من عنده ابتداك بهما من غير
استحقاق من جهتك اذ لا وسيلة لك ولا علاقة فيكون الاعجاب بجوده اذ
انعم بوجودك وبوجود صفاتك وبوجود اعمالك واسباب اعمالك فاذن لا معنى
لعجب العابد بعبادته وعجب العالم بعلمه وعجب الجميل بجماله وعجب الغني بغناه لان
كل ذلك من فضل الله وانما هو محل الفيضان فضل الله وجوده والمحل ايضا من فضله
وجوده فانه هو الذي خلقك وخلق اعضائك وخلق فيها القوة والقدرة و
الصحة وخلق لك العقل والعلم والارادة ولو اردت ان تنفي شيا من ذلك
عن نفسك لم تقدر عليه ثم خلق الحركات في اعضائك مستبدا بالاختراع من
غير مشاركة له من جهتك معه في الاختراع الا انه خلقها على ترتيب فلم يخلق الحركة
ما لم يخلق في العضو قوة وفي القلب ارادة ولم يخلق ارادة ما لم يخلق علما بالمراد
ولم يخلق العلم ما لم يخلق القلب الذي هو محل العلم فتدريجه في الخلق
شيئا بعد شيء هو الذي خيل اليك انك اوجدت عملك وقد غلطت
فان تحريك البواعث وصرف العوايق وتهيئة الاسباب كلها من
الله تعالى ليس شيء منها اليك فمن العجايب ان تعجب بنفسك ولا تعجب بمن
اليه الامر كله ولا تعجب بجوده وفضله وكرمه في ايثاره اياك على الفساق من عباده
اذ مكنهم من اسباب الشهوات واللذات وزواها عنك وصرف عنهم بواعث الخير
ودواعيه وسلطها عليك حتى تيسر لك الخير وتيسر لهم الشر فعل ذلك كله
بك وبهم من غير وسيلة سابقة منك ولا جريمة سابقة منهم روي ان ايوب
على نبينا و(ع) قال الهي انك ابتليتني بهذا البلاء وما ورد علي امر الا اثرت هواك
على هواي فنودي من غمامة بعشرة الاف صوت يا ايوب انى لك ذلك قال

فاخذ داود فوضعه على راسه وقال منك يا رب فرجع عن نسيانه واضاف ذلك
الى الله تع ولهذا قال الله تع ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من احد
ابدا وقال النبي صلعم ما منكم من احد ينجيه عمله قالوا ولا انت يا رسول الله قال ولا
انا الا ان يتغمدني الله برحمته فاذن هذا هو العلاج القاطع لمادة العجب من
القلب ومهما غلب ذلك على القلب شغله خوف سلب هذه النعمة عن الاعجاب
بها **المقالة الثانية** في ذم الدنيا والاغترار بها وفيها خمسة ابواب
الباب الاول في معرفة الدنيا والاخرة فنقول دنياك واخرتك عبارتان
عن حالتين من احوال قلبك والقريب الداني منهما يسمى دنيا وهي كل ما قبل
الموت والمتراخي المتاخر يسمى اخرة وهي ما بعد الموت فكل ما لك فيه حظ ونصيب
وغرض وشهوة ولذة في عاجل الحال قبل الوفاة فهي الدنيا في حقك الا ان جميع
ما لك اليه ميل وفيه نصيب وحظ فليس بمذموم وذلك لان ما يصحبك في الدنيا
ويبقى معك ثمرته بعد الموت وهو العلم النافع والعمل الصالح فهو من الاخرة في
الحقيقة وانما يسمى بالدنيا باعتبار دنوه فان العالم قد يانس بالعلم حتى
يصير ذلك الذ الاشياء عنده فيهجر النوم والمنكح والمطعم في لذته لانه اشهى عنده
من جميعها فقد صار حظا عاجلا في الدنيا ولكنا اذا ذكرنا الدنيا المذمومة لم نعد
هذا من الدنيا اصلا بل قلنا انه من الاخرة وكذلك العابد قد يانس بعبادته
ويستلذها بحيث لو منع عنها لكان ذلك اعظم العقوبات عليه حتى قال بعضهم
ما اخاف من الموت الا من حيث انه يحول بيني وبين قيام الليل بل نقول ان من جملة
العمل الصالح الذي هو من الاخرة التعرض للرزق قال النبي صلعم العبادة
سبعون جزءا افضلها طلب الحلال وقال صلعم ملعون من القى
كله على الناس وقال امير المؤمنين ع اوحى الله عز وجل الى داود انك

نعم

نعم العبد لولا انك تاكل من بيت المال ولا تعمل بيدك شيئا قال فبكى داود ع
اربعين صباحا فاوحى الله عز وجل الى الحديد ان لن لعبدي داود فالان الله
له الحديد وكان يعمل كل يوم درعا فيبيعها بالف درهم فعمل ثلثمائة وستين درعا
فباعها بثلثمائة وستين الفا واستغنى عن بيت المال وقال الصادق ع الدنيا
دنياان دنيا بلاغ ودنيا ملعونة وقال الباقر ع من طلب الرزق في الدنيا
استعفافا عن الناس وسعيا على اهله وتعطفا على جاره لقي الله عز وجل ووجهه
مثل القمر ليلة البدر وقال الصادق ع الكاد على عياله كالمجاهد في سبيل الله
قال ع في رجل قال لاقعدن في بيتي ولاصلين ولاصومن ولاعبدن ربي فاما
رزقي فسياتيني قال هذا احد الثلثة الذين لا يستجاب لهم وقال ع ان الله ليحب
الاغتراب في طلب الرزق وقال له رجل والله انا لنطلب الدنيا ونحب ان نؤتاها
فقال تحب ان تصنع بها ماذا قال اعود بها على نفسي وعيالي واصل بها واتصدق
بها واحج واعتمر فقال ع ليس هذا طلب الدنيا هذا طلب الاخرة وقال ليس منا
من ترك دنياه لاخرته ولا اخرته لدنياه وقال لا تكسلوا في طلب معايشكم
فان اباءنا كانوا يركضون فيها ويطلبونها وعن علي ابن ابي حمزة قال رايت
ابا الحسن ع يعمل في ارض قد استنقعت قدماه في العرق فقلت جعلت
فداك اين الرجال فقال يا علي قد عمل باليد من هو خير مني في ارضه ومن ابي
فقلت ومن هو فقال رسول الله صلعم وامير المؤمنين واباءي عليهم السلم كلهم كانوا
قد عملوا بايديهم وهو من عمل النبيين والمرسلين والاوصياء والصالحين
فصل اعلم انه لا يبقى مع العبد عند الموت الا ثلث صفات صفاء
القلب اعني طهارته من ادناس الدنيا وانسه بذكر الله وحبه لله وصفاء
القلب وطهارته لا يحصل الا بالكف عن شهوات الدنيا

والانس لا يحصل الا بكثرة ذكر الله والمواظبة عليه والحب لا يحصل الا بالمعرفة
ولا يحصل المعرفة الا بدوام الفكر وهذه الصفات الثلث هي المنجيات المسعدات
بعد الموت وهي الباقيات الصالحات وقد ورد في الخبر ان اعمال العبد من حسناته
تناضل عنه فاذا جاء العذاب من قبل رجليه جاء قيام الليل يدفع عنه واذا
جاء من قبل رجليه يديه جاءت الصدقة تدفع عنه الحديث واما الانس والحب
فهما يوصلان العبد الى لذة اللقاء والمشاهدة وهذه السعادة تتعجل عقيب
الموت الى ان يدخل الجنة فيصير القبر روضة من رياض الجنة وكيف لا يكون القبر
عليه روضة ولم يكن له الا محبوب واحد وكانت العوائق تعوقه عن الانس
بدوام ذكره ومطالعة جماله فارتفعت العوائق وافلت من السجن وخلي
بينه وبين محبوبه فقدم عليه مسرورا سالما من الموانع امنا من الفراق
وكيف لا يكون محب الدنيا عند الموت معذبا ولم يكن له محبوب الا الدنيا وقد
غصبت منه وحيل بينه وبينه وسدت عليه طرق الحيلة في الرجوع اليه وليس الموت
عدما انما هو فراق لمحاب الدنيا وقدوم على الله تعالى فاذن سالك طريق الاخرة
هو المواظب على اسباب هذه الصفات الثلث وهي الذكر والفكر والعمل الذي
يفطمه عن شهوات الدنيا ويبغض اليه ملاذها ويقطعه عنها وكل ذلك
لا يمكن الا بصحة البدن وصحة البدن لا تنال الا بالقوت والملبس والمسكن
ويحتاج كل واحد الى اسباب فالقدر الذي لا بد منه من هذه الثلثة اذا اخذه
العبد من الدنيا للاخرة لم يكن من ابناء الدنيا وكانت الدنيا في حقه مزرعة الاخرة
وان اخذ ذلك على قصد التنعم وحظ النفس صار من ابناء الدنيا والراغبين
في حظوظها الا ان الرغبة في حظوظ الدنيا تنقسم الى ما يعرض صاحبه لعذاب الله
في الاخرة ويسمى ذلك حراما والى ما يحول بينه وبين الدرجات العلى ويعرضه

لطول

لطول الحساب ويسمى ذلك حلالا والبصير يعلم ان طول الموقف في عرصات
القيمة لاجل المحاسبة ايضا عذاب فمن نوقش في الحساب عذب فلذلك قال
رسول الله صلعم حلالها حساب وحرامها عقاب بل لو لم يكن الحساب لكان
ما يفوت من الدرجات العلى في الجنة وما يرد على القلب من التحسر على تفويتها
لحظوظ حقيرة خسيسة لا بقاء لها هو ايضا عذاب فقس بحالك في الدنيا اذا
نظرت الى اقرانك وقد سبقوك بسعادات دنيوية كيف يتقطع قلبك
عليها حسرات مع علمك بانها سعادات منصرمة لا بقاء لها ومنغصة
بكدورات لا صفاء لها فما حالك في فوات سعادات لا يحيط الوصف بعظمها
وينقطع الازمان والدهور دون غايتها وكل من كانت معرفته اقوى واتقن
كان حذره من نعيم الدنيا اشد حتى ان عيسى على نبينا وعليه السلم وضع راسه على
حجر لما نام ثم رمى به اذ تمثل له ابليس وقال رغبت في الدنيا وحتى ان سليمن على
نبينا وعم في ملكه كان يطعم الناس من لذايذ الاطعمة وهو يأكل خبز الشعير
فجعل الملك على نفسه بهذا الطريق امتحانا وشدة فان الصبر عن لذيذ
الاطعمة مع وجودها اشد ولهذا زوى الله تعالى الدنيا عن نبينا فكان يطوي
اياما ولهذا سلط الله البلايا والمحن على الانبياء والاولياء ثم الامثل فالامثل
كل ذلك نظرا لهم وامتنانا عليهم ليتوفر من الاخرة حظهم كما يمنع الوالد
الشفيق ولده لذيذ الفواكه ويلزمه الفصد والحجامة شفقة عليه وحبا له
لا بخلا به عليه وقد عرفت بهذا ان كل ما ليس لله فهو من الدنيا وما هو لله
فليس من الدنيا **فصل** وقد ظهر مما ذكرنا ان الدنيا حظ نفسك العاجل
الذي لا حاجة اليه لامر الاخرة ويعبر عنه بالهوى واليه اشار بقوله تعالى
ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي الماوى ومجامع الهوى



خمسة امور وهي ما جمعه الله عز وجل في قوله انما الحيوة الدنيا لعب ولهو
وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد والاعيان التي منها
تحصل هذه الامور الخمسة سبعة يجمعها قوله تع زين للناس حب الشهوات
من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل
المسومة والانعام والحرث ذلك متاع الحيوة الدنيا والله عنده حسن
الماب فهذه هي اعيان الدنيا الا ان لها مع العبد علاقتين علاقة مع
القلب وهو حبه لها وحظه منها وانصراف همه اليها حتى يصير قلبه كالعبد او المحب
المستهتر ويدخل في هذه العلاقة جميع صفات القلب المتعلقة بالدنيا
كالكبر والغل والحسد والريا والسمعة وسوء الظن والمداهنة وحب الثناء
وحب التكاثر والتفاخر فهذه هي الدنيا الباطنة واما الظاهرة فهي الاعيان
المذكورة والعلاقة الثانية مع البدن وهو اشتغاله باصلاح هذه الاعيان
لتصلح لحظوظه وحظ غيره وهي جملة الصناعات والحرف التي الخلق مشغولون بها
بحيث نسوا انفسهم ومآلهم ومنقلبهم ولو عرفوا سبب الحاجة اليها واقتصروا
عليها لم تستغرقهم اشغال الدنيا وانما استغرقتهم لجهلهم بالدنيا وحكمتها
وحظوظهم منها وتتابعت الاشغال واتصلت بعضها ببعض وتداعت الى غير
نهاية محدودة فتاهوا في كثرة الاشغال ونسوا مقصودها وكل ما ورد في ذم
الدنيا يرجع الى هذا **الباب الثاني** في ما ورد في ذم الدنيا **اعلم** ان
الدنيا عدوة لله وعدوة لاولياء الله وعدوة لاعداء الله **اما** عداوتها
لله فانها قطعت الطريق على عباد الله ولذلك لم ينظر الله اليها منذ خلقها
واما عداوتها لاولياء الله فانها تزينت بزينتها وعمتهم بزهرتها ونضارتها
حتى تجرعوا مرارة الصبر في مقاطعتها **واما** عداوتها لاعداء الله

فانها

فانها استدرجتهم بمكرها ومكيدتها واقتنصتهم بشباكها حتى وثقوا بها و
عولوا عليها فخذلتهم احوج ما كانوا اليها فاجتنوا منها حسرة تتقطع دونها
الاكباد ثم حرمتهم من السعادة ابد الاباد فهم على فراقها يتحسرون ومن
مكايدها يستغيثون ولا يغاثون بل يقال اخسئوا فيها ولا تكلمون اولئك الذين
اشتروا الحيوة الدنيا بالاخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون والايات
الواردة في ذم الدنيا كثيرة واكثر القران مشتمل على ذم الدنيا وصرف الخلق عنها
ودعوتهم الى الاخرة بل هو مقصود بعث الانبياء ولم يبعثوا الا لذلك فلا حاجة
الى الاستشهاد بايات القران لظهورها وانما نورد بعض الاخبار الواردة
فيه لتكون انموذجا لغيرها مما لا يحصى نقل عن الصادق ع قال خرج النبي ص وهو
محزون فاتاه ملك ومعه مفاتيح خزاين الارض فقال يا محمد ص هذه مفاتيح
خزاين الارض يقول لك ربك افتح وخذ منها ما شئت من غير ان تنقص شيئا عنده
فقال رسول الله ص الدنيا دار من لا دار له ولها يجمع من لا عقل له فقال
الملك والذي بعثك بالحق نبيا لقد سمعت هذا الكلام من ملك يقوله
في السماء الرابعة حين اعطيت المفاتيح وعنه ع قال مر رسول الله ص
بجدي اسك ملقى في مزبلة ميتا فقال لاصحابه كم يساوي هذا فقالوا
لعله لو كان حيا لم يساو درهما فقال النبي ص والذي نفسي بيده الدنيا
اهون على الله من هذا الجدي على اهله وعنه ع قال قال رسول الله ص ان
في طلب الدنيا اضرارا بالاخرة وفي طلب الاخرة اضرارا بالدنيا فاضروا بالدنيا
فانها احق بالاضرار وعنه ع قال قال رسول الله ص مالي وللدنيا انما مثلي ومثلها
كمثل راكب رفعت له شجرة في يوم صايف فقال تحتها ثم راح وتركها وعنه ع قال كتب
امير المؤمنين ع الى بعض اصحابه يعظه اوصيك ونفسي بتقوى الله من لا يحل

معصيته ولا يرجو غيره ولا الغنى الا به فان من اتقى الله تعالى عز وجل قوى وشبع وروى
ورفع عقله عن اهل الدنيا فبدنه مع اهل الدنيا وقلبه وعقله معاين الاخرة
فاطفاء بضوء قلبه وعقله ما ابصرت عيناه من حب الدنيا فقذر حرامها وجانب
شبهاتها واضر والله بالحلال الصافي الا ما لا بد له من كسرة يشد بها صلبه وثوب يوارى
عورته من اغلظ ما يجد واخشنه ولم يكن له فيما لا بد منه ثقة ولا رجاء فوقعت ثقته
ورجاؤه على خالق الاشياء فجد واجتهد واتعب بدنه حتى بدت الاضلاع وغارت
العينان فابدل الله له من ذلك قوة في بدنه وشدة في عقله وما ذخر له في الاخرة
اكثر فارفض الدنيا فان حب الدنيا يعمي ويصم ويبكم ويذل الرقاب فتدارك ما بقي
من عمرك ولا تقل غدا او بعد غد فانما هلك من كان قبلك باقامتهم على الاماني
والتسويف حتى اتاهم امر الله بغتة وهم غافلون فنقلوا على اعوادهم الى قبورهم المظلمة
الضيقة وقد اسلمهم الاولاد والاهلون فانقطع الى الله بقلب منيب من رفض الدنيا
وعزم ليس فيه انكسار ولا انخزال اعاننا الله واياك على طاعته ووفقنا واياك
لمرضاته وقال امير المؤمنين ع في صفة الدنيا ما اصف من دار اولها عناء واخرها
فناء في حلالها حساب وفي حرامها عقاب من استغنى فيها فتن ومن افتقر فيها
حزن ومن ساعاها فاتته ومن قعد عنها اتته ومن ابصر بها بصرته ومن ابصر اليها
اعمته وعن الباقر ع قال قال علي بن الحسين ع ان الدنيا قد ارتحلت مدبرة
والاخرة قد ارتحلت مقبلة ولكل واحد منهما بنون فكونوا من ابناء الاخرة ولا تكونوا
من ابناء الدنيا الا وكونوا من الزاهدين في الدنيا الراغبين في الاخرة الا ان الزاهدين
في الدنيا اتخذوا الارض بساطا والتراب فراشا والماء طيبا وقرضوا من الدنيا
تقريضا الا ومن اشتاق الى الجنة سلا عن الشهوات ومن اشفق من النار
رجع عن المحرمات ومن زهد في الدنيا هانت عليه المصائب الا ان لله عبادا

كمن راى



كمن راى اهل الجنة في الجنة مخلدين وكمن راى اهل النار في النار معذبين
شرورهم مأمونة وقلوبهم محزونة وانفسهم عفيفة وحوائجهم خفيفة صبروا
اياما قليلة فصاروا بعقبى راحة طويلة اما الليل فصافون اقدامهم تجري دموعهم
على خدودهم وهم يجأرون الى ربهم يسعون في فكاك رقابهم واما النهار فحلماء
علماء بررة اتقياء كانهم القداح قد براهم الخوف من العبادة ينظر اليهم الناظر
فيقول مرضى وما بالقوم من مرض ام خولطوا فقد خالط القوم امر عظيم
من ذكر النار وما فيها وعن علي بن الحسين ع انه سئل اي الاعمال افضل عند
الله تعالى فقال ما من عمل بعد معرفة الله تعالى ومعرفة رسوله افضل من بغض الدنيا
وان لذلك لشعبا كثيرة وللمعاصي شعبا فاول ما عصي الله به الكبر وهي معصية
ابليس حين ابى واستكبر وكان من الكافرين والحرص وهي معصية ادم وحواء
حين قال الله لهما كلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين
فاخذا ما لا حاجة بهما اليه فدخل ذلك على ذريتهما الى يوم القيمة وذلك ان
اكثر ما يطلب ابن ادم ما لا حاجة به اليه ثم الحسد وهي معصية ابن ادم حيث حسد
اخاه فقتله فتشعب من ذلك حب النساء وحب الدنيا وحب الرياسة وحب
الراحة وحب الكلام وحب العلو والثروة فصرن سبع خصال فاجتمعن
كلهن في حب الدنيا فقال الانبياء والعلماء بعد معرفة ذلك حب الدنيا راس
كل خطيئة والدنيا دنيا ان دنيا بلاغ ودنيا ملعونة وعن الباقر ع
انه قال لجابر يا جابر من دخل قلبه صافي خالص دين الله شغل قلبه عما
سواه يا جابر ما الدنيا وما عسى ان تكون الدنيا هل هي الا طعام اكلته
او ثوب لبسته او امرأة اصبتها يا جابر ان المومنين لم يطمئنوا الى الدنيا
ببقائهم فيها ولم يأمنوا قدومهم الاخرة يا جابر الاخرة دار قرار والدنيا



دار فناء وزوال ولكن اهل الدنيا اهل غفلة وكان المؤمنين هم
الفقهاء اهل فكرة وعبرة لم يصمهم عن ذكر الله نعم ما سمعوا باذانهم ولم
يعمهم عن ذكر الله ما راوا من الزينة باعينهم ففازوا بثواب الاخرة كما
فازوا بذلك العلم الحديث وعن الصادق ع قال اذا اراد الله بعبد خيرا
زهده في الدنيا وفقهه في الدين وبصره عيوبها ومن اوتيهن فقد اوتي
خير الدنيا والاخرة وقال ع انه حرام عليكم ان تجدوا طعم الايمان حتى
تزهدوا في الدنيا وقال اذا تخلى المؤمن من الدنيا سما ووجد حلاوة حب الله
وكان عند اهل الدنيا كانه قد خولط وانما خالط القوم حلاوة حب الله
فلم يشتغلوا بغيره وقال ان القلب اذا صفا ضاقت به الارض حتى يسمو وقال ع جعل
الخير كله في بيت وجعل مفتاحه الزهد في الدنيا ثم قال قال رسول الله ص لا يجد الرجل
حلاوة الايمان في قلبه حتى لا يبالي من اكل الدنيا وعنه ع من زهد في الدنيا اثبت الله
الحكمة في قلبه وانطق بها لسانه وبصره عيوب الدنيا داءها ودواءها واخرجه من الدنيا
سالما الى دار السلام وعن الكاظم ع قال قال ابو ذر ره جزى الله الدنيا عني
مذمة بعد رغيفين من الشعير اتغدى باحدهما واتعشى بالاخر وبعد شملتي
الصوف اتزر باحدهما وارتدي بالاخرى وعن الرضا ع قال قال عيسى بن مريم
للحواريين يا بني اسرائيل لا تاسوا على ما فاتكم من الدنيا كما لا ياسى اهل الدنيا على
ما فاتهم من دينهم اذا اصابوا دنياهم **فصل** وعن النبي ص لو كانت الدنيا تعدل
عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء وقال ص الدنيا سجن المؤمن
وجنة الكافر وقال ص الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الا ما كان لله منها وقال ص يا عجبا
كل العجب للمصدق بدار الخلود وهو يسعى لدار الغرور وقال ص الهاكم التكاثر
يقول ابن ادم مالي مالي وهل لك من مالك الا ما تصدقت فامضيت او اكلت

فافنيت

فافنيت او لبست فابليت وقال ص من اصبح والدنيا اكبر همه فليس من الله في شيء
والزم الله قلبه اربع خصال هما لا ينقطع عنه ابدا وشغلا لا يتفرغ منه ابدا وفقرا
لا ينال غناه ابدا واملا لا يبلغ منتهاه ابدا وقال ص لياتينكم بعدي دنيا تاكل ايمانكم كما تاكل
النار الحطب وقال ع لا تشغلوا قلوبكم بذكر الدنيا واوحى الله تعالى الى موسى ع لا تركنن
الى حب الدنيا فلن تاتيني بكبيرة هي اشد عليك منها وقال عيسى على نبينا وع ويل لصاحب
الدنيا كيف يموت ويتركها ويامنها وتغره ويثق بها وتخذله وويل للمغترين كيف ارتهم
ما يكرهون وفارقهم ما يحبون وجاءهم ما يوعدون وويل لمن اصبح والدنيا همه
والخطايا عمله كيف يفتضح غدا بعمله وقال لقمن لابنه يا بني بع دنياك باخرتك تربحهما
جميعا ولا تبع اخرتك بدنياك تخسرهما جميعا وقيل لحكيم الدنيا لمن هي قال لمن تركها
فقيل والاخرة لمن هي قال لمن طلبها وقال حكيم الدنيا دار خراب واخرب منها قلب من
يعمرها والجنة دار عمران واعمر منها قلب من يطلبها **فصل** ولنذكر بعض الامثلة
التي وردت في صفة الدنيا قال الله تعالى انما مثل الحيوة الدنيا كماء انزلناه من السماء فاختلط
به نبات الارض فاصبح هشيما تذروه الرياح وقال النبي ص الدنيا حلوة واهلها
عليها مجازون ومعاقبون وقال ص في قلة ما بقي من الدنيا بالاضافة الى ما سبق
مثل هذه الدنيا مثل ثوب شق من اوله الى اخره فبقي متعلقا بخيط في اخره فيوشك
ذلك الخيط ان ينقطع وقال ص ما الدنيا في الاخرة الا كمثل ما يجعل احدكم اصبعه
في اليم فلينظر بم يرجع اليه من الاصل وكتب امير المومنين ع الى سلمان رض
مثلها فقال مثل الدنيا مثل الحية لين مسها ويقتل سمها فاعرض عما يعجبك
منها لقلة ما يصحبك منها وضع عنك همومها لما ايقنت من فراقها وكن اسر
ما تكون منها احذر ما تكون منها فان صاحبها كلما اطمأن منها الى
سرور اشخصته عنه مكروه والسلام وكان الحسن بن علي ع يتمثل بهذا

البيت يا اهل لذات الدنيا لا بقاء لها ان اغترارا بظل زائل حمق وعن الباقر
في حديث جابر نزل الدنيا كمنزل نزلته ثم ارتحلت عنه او كمال وجدته
في منامك فاستيقظت وليس معك منه شيء قال انما ضرب لك
هذا مثلا لانها عند اهل اللب والعلم بالله كفيء الظلال وعنه ع قال مثل
الحريص على الدنيا كمثل دودة القز كلما ازدادت على نفسها لفا كان ابعد لها
من الخروج حتى تموت غما وعن الصادق ع مثل الدنيا كمثل ماء البحر كلما شرب منه
العطشان ازداد عطشا حتى يقتله وروي ان عيسى على نبينا وعم كوشف في الدنيا
فرآها في صورة عجوز هتماء عليها من كل زينة فقال لها كم تزوجت قالت
لا احصيهم قال فكلهم مات عنك او كلهم طلقك قالت بل كلهم قتلت فقال
عيسى بؤسا لازواجك الباقين كيف لا يعتبرون بالماضين كيف تهلكينهم
واحدا واحدا ولا يكونون منك على حذر وقال عيسى ع الدنيا قنطرة
فاعبروها ولا تعمروها وقال بعض الحكماء ما اشبه حال الانسان واغتراره بالدنيا
وغفلته عن الموت وما بعده من الاهوال وانهماكه في اللذات العاجلة
الفانية الممتزجة بالكدورات بشخص مدلى في بئر مشدود وسطه بحبل
وفي اسفل ذلك البئر ثعبان عظيم متوجه اليه منتظر سقوطه فاتح فاه لالتقامه
وفي اعلى ذلك البئر جرذان ابيض واسود لا يزالان يقرضان ذلك الحبل شيئا
فشيئا ولا يفتران عن قرضه آنا من الآنات وذلك الشخص مع انه يرى ذلك
الثعبان ويشاهد انقراض الحبل آنا فآنا قد اقبل على قليل عسل قد لطخ به جدار
ذلك البئر وامتزج بترابه واجتمع عليه زنابير كثيرة وهو مشغول بلطعه
منهمك فيه ملتذ بما اصاب منه مخاصم لتلك الزنابير عليه قد صرف
باله بجميعه الى ذلك وغير ملتفت الى ما فوقه والى ما تحته فالبئر هو الدنيا والحبل

هو

هو العمر والثعبان الفاتح فاه هو الموت والجرذان الليل والنهار القارضان للاعمار
والعسل المختلط بالتراب هو لذات الدنيا الممتزجة بالكدورات والآلام والزنابير
هم ابناء الدنيا المتزاحمون عليها وما اشد انطباق هذا المثال على الممثل له نسأل
الله الهداية والبصيرة ونعوذ به من الغفلة والغواية

الباب الثالث

في ذم حب الدنيا والمال اعلم ان فتن الدنيا كثيرة الشعب والاطراف واسعة الارجاء
كالكنان ولكن الاموال اعظم فتنها واطم محنها واعظم فتنة فيها انه لا غنى
عنها ثم اذا وجدت فلا سلامة منها فان فقد حصل منه الفقر الذي يكاد ان
يكون كفرا وان وجد حصل منه الطغيان الذي لا يكون عاقبة امره الا خسرا
وبالجملة فهي لا تخلو من الفوائد والآفات وفوائدها من المنجيات وآفاتها من المهلكات
وتمييز خيرها من شرها من المعوصات التي لا يقوى عليها الا ذوو البصائر في الدين
من العلماء الراسخين ثم للفاقد حالتان القناعة والحرص وللحريص حالتان طمع
فيما في ايدي الناس وتشمر للحرف والصناعات مع اليأس عن الخلق وللواجد
حالتان امساك وانفاق وللمنفق حالتان تبذير واقتصاد وهذه امور مشتبهة
وكشف الغطاء عن الغموض فيها مهم قال الله تعالى انما اموالكم واولادكم فتنة
وقال عز وجل لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك
فاولئك هم الخاسرون وقال النبي ص حب المال والشرف ينبتان النفاق كما
ينبت الماء البقل وقال ص ما ذئبان ضاريان ارسلا في زريبة غنم باكثر
فسادا من حب المال والجاه في دين الرجل المسلم وقال ص يقول ابن آدم مالي
مالي وهل لك من مالك الا ما تصدقت فامضيت او اكلت فافنيت او لبست
فابليت وقال رجل يا رسول الله ما لي لا احب الموت فقال هل معك من مال
قال نعم يا رسول الله ص قال قدم مالك امامك فان قلب المؤمن مع ماله

ان قدمه احب ان يلحقه وان خلفه احب ان يتخلف معه **فصل** واعلم
ان الله سبحانه قد سمى المال خيرا في مواضع فقال ان ترك خيرا الوصية الاية وقال
رسول الله صلعم نعم المال الصالح للرجل الصالح وكل ما جاء في ثواب الصدقة
والحج والانفاق فهو ثناء على المال اذ لا يمكن الوصول اليها الا به وتحقيق القول
فيه ان المال قد يكون وسيلة الى مقصود صحيح وقد يكون وسيلة الى مقاصد
صحيحة فاسدة وهي المقاصد الصادة عن سعادة الابد وتسد سبيل العلم والعمل فهو
اذن محمود ومذموم محمود بالاضافة الى المقصود المحمود ومذموم بالاضافة الى المقصود
المذموم ولما كانت الطبايع مايلة الى اتباع الشهوات القاطعة لسبيل الله وكان
المال مسهلا لها والة اليها عظم الخطر فيما يزيد على قدر الكفاية فاستعاذ الانبيا
من شره حتى قال نبينا صلعم اللهم اجعل قوت ال محمد كفافا فلم يطلب من الدنيا ما لم
يتمحض خيره وقال اللهم احيني مسكينا وامتني مسكينا **فصل** اعلم ان مثل
المال مثل حية فيها سم وترياق ففوايده ترياقه وغوايله سمومه فمن عرف
غوايلها وفوايدها امكنه ان يحترز من شرها ويستدر منها خيرها **اما** الفوايد
فتنقسم الى دنيوية ودينية اما الدنيوية فلا حاجة الى ذكرها فان معرفتها مشتركة بين
اصناف الخلق ولولا ذلك لما تهالكوا على طلبها واما الدينية فهي ثلثة انواع **الاول**
ان ينفقه على نفسه اما في عبادة او في استعانة على عبادة **والثاني** ما
يصرفه الى الناس وهي اربعة اقسام الصدقة والمروة ووقاية العرض واجرة
الاستخدام **اما** الصدقة فلا يخفى ثوابها وانها لتطفي غضب الرب **واما**
المروة فنعني بها صرف المال الى الاغنياء والاشراف في ضيافة وهدية واعانة
وما يجري مجراها مما يكتسب به العبد الاخوان والاصدقاء ويكتسب به صفة السخاء
فانه لا يتصف بالجود الا من يصطنع المعروف ويسلك سبيل الفتوة والمروة

وهذا

وهذا ايضا مما يعظم الثواب فيه فقد وردت اخبار كثيرة في الهدايا والضيافات
واطعام الطعام من غير اشتراط الفقر والفاقة في مصارفها **واما** وقاية العرض
فنعني بها بذل المال لدفع هجو الشعراء وثلب السفهاء وقطع السنتهم ودفع شرهم وهذا
ايضا مع تنجز فايدته في العاجلة من الحظوظ الدينية قال رسول الله صلعم ما وقى
المرء به عرضه فهو له صدقة **واما** الاستخدام فهو ان الاعمال التي يحتاج اليها
الانسان لتهيئة اسبابه كثيرة ولو تولاها بنفسه لضاعت اوقاته وتعذر عليه
سبيل الاخرة بالفكر والذكر الذين هما اعلى مقامات السالكين **النوع الثالث**
ما لا يصرفه الانسان الى انسان معين ولكن يحصل به خير عام كبناء المساجد
والقناطر والرباطات ودار المرضى ونصب الجباب في الطريق وغير ذلك من الاوقاف
المرصدة للخيرات المؤبدة الدارة بعد الموت المستجلبة بركة ادعية الصالحين
الى اوقات متمادية فهذه جملة فوايد المال في الدين سوى ما يتعلق بالحظوظ
العاجلة من الخلاص من ذل السؤال وحقارة الفقر والوصول الى العز والمجد بين
الخلق وكثرة الاخوان والاعوان والاصدقاء والوقار والكرامة في القلوب **واما** الافات
فدينية ودنيوية اما الدينية فثلثة انواع **الاول** انه يجر الى المعاصي فان الشهوات
متقاضية والعجز قد يحول بين المرء والمعصية ومن العصمة ان لا يقدر ومهما
كان الانسان ايسا من نوع المعصية لم يتحرك داعيته اليها فاذا استشعر
القدرة عليه انبعثت الداعية والمال نوع من القدرة يحرك
داعية المعاصي وارتكاب الفجور فان اقتحم ما اشتهاه هلك وان صبر
وقع في شدة اذ الصبر مع القدرة اشد وفتنة السراء اعظم من فتنة
الضراء **الثاني** انه يجر الى التنعم في المباحات وهذا اول الدرجات فمتى يقدر
صاحب المال على ان يتناول خبز الشعير ويلبس الثوب الخشن ويترك اللذايذ

الاطعمة كما كان يقدر عليه سليمان عم في مملكته فاحسن احواله ان يتنعم بالدنيا
ويمرن عليه نفسه فيصير التنعم مالوفا عنده ومحبوبا لا يصبر عنه ويجره البعض
منه الى البعض واذا اشتد انسه به ربما لا يقدر على التوصل اليه
بالكسب الحلال فيقتحم الشبهات ويخوض في المراياة والمداهنة والكذب
والنفاق وساير الاخلاق الرديه لينتظم له امر دنياه ويتيسر له تنعمه فان
من كثر ماله كثرت حاجته الى الناس ومن احتاج الى الناس فلا بد ان ينافقهم
ويعصى الله في طلب رضاهم فان سلم من الافة الاولى وهي مباشرة المحظورات (شوم يعود)
فلا يسلم عن هذه اصلا ومن الحاجة الى الخلق تثور العداوة والصداقة ويلتقي
عليه الحسد والحقد والريا والكبر والكذب والغيبة والنميمة وساير المعاصي
التي تخص القلب واللسان ولا يخلو عن التعدى ايضا الى ساير الجوارح وكل
ذلك يلزمه من شوم المال والحاجة الى حفظه واصلاحه الثالث وهو
الذي لا ينفك عنه احد وهو انه يلهيه اصلاح ماله عن ذكر الله تعالى وكل ما يشغل
العبد عن الله فهو خسران ولذلك قال عيسى على نبينا وعم في المال ثلث افات ان
ياخذه من غير حله فقيل ان اخذه من حله قال يضعه في غير حقه فقيل ان وضعه
في حقه قال يشغله اصلاحه عن الله وهذا هو الداء العضال فان اصل العبادات
مخها وسرها ذكر الله تعالى والفكر في جلال الله وذلك يستدعى قلبا فارغا وصاحب
الضيعة يمسي ويصبح متفكرا في خصومة الفلاح ومحاسبته وخيانته وخصومة الشركاء (الضيعة)
ومنازعتهم في الماء والحدود وخصومة اعوان السلطان في الخراج وخصومة
الاجراء في التقصير في العمارة وصاحب التجارة يكون متفكرا في خيانة
شريكه وانفراده بالربح وتقصيره في العمل وتضييعه المال
وكذا صاحب المواشي وهكذا ساير اصناف الاموال وابعدها عن كثرة
الشغل

الشغل النقد المكنوزة تحت الارض ولا يزال الفكر مترددا فيما يصرف اليه وفي
كيفية حفظه وفي الخوف من يعثر عليه وفي دفع اطماع الناس عنه واودية
افكار اهل الدنيا لا نهاية لها والذي معه قوت يومه او سنته في
سلامة عن جميع ذلك فهذه جملة الافات الدينية سوى ما يقاسيه ارباب
الاموال من الخوف والحزن والغم والهم والتعب في دفع الحساد وحفظ الاموال
وكسبها فاذن ترياق المال اخذ القوت وصرف الباقي الى الخيرات
وما عداه سموم وافات **فصل** اعلم ان الفقر محمود ولكن ينبغي
ان يكون الفقير قانعا منقطع الطمع عن الخلق غير ملتفت الى ما في ايديهم
ولا حريصا على اكتساب المال كيف كان ولا يمكنه ذلك الا
بان يقنع بقدر الكفاف ويقصر الامل فان تشوق الى الكثرة وطول
الامل فاته عز القناعة وتدنس لا محالة بالطمع وذل الحرص وقلة
القناعة وجره الحرص والطمع الى مساوي الاخلاق وارتكاب المنكرات
الخارقة للمروات وقد جبل الادمي على الحرص والطمع وقلة القناعة
قال رسول الله صلعم لو كان لابن ادم واديان من ذهب لابتغى لهما
ثالثا ولا يملا جوف ابن ادم الا التراب ويتوب الله على من تاب وقال صلعم
منهومان لا يشبعان منهوم العلم ومنهوم المال وقال صلعم يشيب ابن
ادم ويشب فيه خصلتان الحرص وطول الامل ولما كانت هذه جبلة
للادمي مضلة وغريزة مهلكة اثنى الله تعالى ورسوله على القناعة
وقال صلعم طوبى لمن هدي للاسلام وكان عيشه كفافا وقنع به
وقال صلعم ما من احد غني ولا فقير الا ود يوم القيمة انه كان اوتي قوتا (قوته)
في الدنيا وقال يا معشر الفقراء اعطوا الله الرضا من قلوبكم تظفروا بثواب

نفركم ولا اولاد وقال ليس الغنى عن كثرة العرض انما الغنى غنى النفس
وقال ان روح القدس نفث في روعي ان نفسا لن تموت حتى تستكمل رزقها
فاتقوا الله واجملوا في الطلب وقال امير المومنين ع ابن ادم ان كنت
تريد من الدنيا ما يكفيك فان ايسر ما فيها يكفيك وقال الباقر ع وان كنت
تريد ما لا يكفيك فان كل ما فيها لا يكفيك وقال الباقر ع اياك ان تطمح بصرك الى
من هو فوقك فكفى بما قال الله لنبيه ولا تعجبك اموالهم ولا اولادهم وقال
ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم زهرة الحيوة الدنيا فان دخلك
منها شيء فاذكر عيش رسول الله ص فانما كان قوته الشعير وحلواه التمر ووقوده
السعف اذا وجد وقال الصادق ع ان الله يقول يحزن عبدي المؤمن ان قترت
عليه وذلك اقرب له مني ويفرح عبدي المؤمن ان وسعت عليه وذلك
ابعد له مني وقال الصادق ع كلما ازداد العبد ايمانا ازداد ضيقا في
معيشته وقال في مناجاة موسى يا موسى اذا رايت الفقر مقبلا فقل
مرحبا بشعار الصالحين واذا رايت الغنى مقبلا فقل ذنب عجلت عقوبته
فصل النجاة من غائلة المال الا بالمحافظة على امور الاول ان يعرف مقصود
المال وانه لماذا خلق وانه لم يحتاج اليه حتى لا يكتسب ولا يحفظ الا قدر حاجته
والثاني انه يراعي جهة دخل المال فيجتنب الحرام المحض وما الغالب عليه الحرام
ويجتنب الجهات المكروهة القادحة في المروة والثالث ان يراعي جهة الخرج
ويقتصد في الانفاق غير مبذر ولا مقتر قال الله تعالى والذين اذا انفقوا
لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما وفي الحديث النبوي ص ما عال من اقتصد
والرابع ان يضع ما اكتسبه من حله في حقه ولا يضعه في غير حقه فان الاثم
في الاخذ من غير حقه سواء والخامس ان يصلح نيته في

في الاخذ

الاخذ والترك والانفاق والامساك فيأخذ ما يأخذ ليستعين به على
العبادة ويترك ما يترك زهدا فيه واستحقارا له ولذا فضل العظا بعض
وجود المال قال امير المومنين ع لو ان رجلا اخذ جميع ما في الارض واراد به
وجه الله فهو زاهد ولو انه ترك الجميع ولم يرد وجه الله فليس بزاهد فان
قيل ايهما افضل الغنى بنية الاستعانة على العبادة ام الفقر بنية التفرغ
لها قلنا الافضل منهما ما لا يشغل العبد عن الله فان كان الفقر يشغله
عن الله فالغنى افضل منه وان كان الغنى يشغله عن الله فالفقر افضل منه
وذلك لان فضل الفقر والغنى بحسب عدم تعلق القلب بالمال وفقده فان
تساويا فيه تساوت درجتهما الا ان هذا مزلة الاقدام وموضع الغرور فان
الغني ربما يظن انه منقطع القلب عن المال ويكون حبه دفينا في باطنه وهو لا
يشعر به وانما يشعر به اذا فقده فليجرب نفسه وهذا حال كل الاغنياء
الا الانبياء والاولياء واذا كان ذلك محالا او بعيدا فلنطلق القول بان
الفقر اصلح لكافة الخلق وافضل لان علاقة الفقير وانسه بالدنيا اضعف
غالبا وبقدر ضعف علاقته يتضاعف ثواب تسبيحاته وعباداته فان
حركات اللسان والابدان ليست مرادة لاعيانها بل ليتاكد بها الانس
بالمذكور ولا يكون تاثيرها في اثارة الانس في قلب فارغ عن غير المذكور
كتاثيرها في قلب مشغول ولهذا ورد في فضل الفقراء على الاغنياء على الاطلاق
ما ورد ثم ليس معنى الفقر ان لا يملك شيئا البتة قال الصادق ع في كلام له
مع الصوفية ثم علم الله نبيه كيف ينفق وذلك انه كانت عنده
اوقية من الذهب فكره ان يبيت عنده فتصدق بها فاصبح وليس
عنده شيء وجاءه من يسأله فلم يكن عنده ما يعطيه فلامه السائل

واعتم هو حيث لم يكن عنده ما يعطيه وكان حيمار فيقام فادب الله
عز وجل نبيه بامر فقال ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها
كل البسط فتقعد ملوما محسورا يقول ان الناس قد يسألونك فلا
يعذرونك فاذا اعطيت جميع ما عندك من المال كنت قد حسرت من
المال غم من علم تعده في فضله وزهده سلمان الفارسي رض وابوذر
فاما سلمان فكان اذا اخذ عطاءه رفع منه قوت سنة حتى يحضر عطاؤه
من قابل فقيل له يا ابا عبد الله انت في زهدك تصنع هذا وانت لا
لا تدري لعلك تموت اليوم او غدا فكان جوابه ان قال ما لكم لا ترجون
لي البقاء كما خفتم علي الفناء اما علمتم يا جهلة ان النفس قد تلتاث على
صاحبها اذا لم يكن لها من العيش ما تعتمد عليه فاذا هي احرزت معيشتها
اطمانت واما ابو ذر فكانت له نويقات وشويهات يحلبها ويذبحها
منها اذا اشتهى اهله اللحم او نزل به ضيف او راى باهل الماء الذين معه
خصاصة نحر لهم الجزور او من الشاة على قدر ما يذهب عنهم قرم اللحم
فيقسمه بينهم ويأخذ هو كنصيب واحد منهم لا يتفضل عليهم ومن ازهد من
هؤلاء وقد قال فيهم رسول الله صلعم ما قال ولم يبلغ من امرهما ان صارا
لا يملكان شيئا البتة كما يأمرون الناس بالقاء امتعتهم وشيئهم ويؤثرون
به على انفسهم وعيالاتهم واعلموا ايها النفر اني سمعت ابي يروي عن ابائه
ان رسول الله صلعم قال يوما ما عجبت من شيء كعجبي من المؤمن انه
ان قرض جسده في دار الدنيا بالمقاريض كان خيرا له وان ملك ما بين
مشارق الارض ومغاربها كان خيرا له وكلما يصنع الله به فهو خير له
فصل قد ظهر مما ذكرنا انه لا خلاص من تبعة الدنيا وغوائلها الا

قاخ

الاختلاط بالاثقات لا الالتباط والقوة ق

بالزهد

بالزهد فيها وهو ان لا يريدها بقلبه الا بقدر ضرورة بدنه وهو مقام عال
قال الله تعالى فخرج على قومه في زينته الى قوله وقال الذين اوتوا العلم ويلكم ثواب
الله خير نسب الزهد الى العلماء ووصف اهله بالعلم وهو غاية الثناء وقال
عز وجل من كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الاخرة من نصيب وقال
النبي صلعم من اصبح وهمه الدنيا شتت الله عليه امره وفرق ضيعته وجعل
فقره بين عينيه ولم يأته من الدنيا الا ما كتب له ومن اصبح وهمه الاخرة
جمع الله له همه وحفظ عليه ضيعته وجعل غناه في قلبه واتته الدنيا
وهي راغمة وقال اذا رايتم العبد قد اعطي صمتا وزهدا في الدنيا فاقتربوا
منه فانه يلقى الحكمة وقال ازهد في الدنيا يحبك الله وازهد فيما
ايدي الناس يحبك الناس وقال من اراد ان يؤتيه الله علما بغير
تعلم وهدى بغير هداية فليزهد في الدنيا وللزهد ثلث درجات السفلى ان
يكون المرغوب فيه النجاة من النار وسائر عذاب الاخرة وهذا زهد الخائفين
والثانية ان يزهد رغبة في ثواب الله ونعيم الجنة وهذا زهد الراجين
والثالثة وهي العليا ان لا يكون له رغبة الا في الله وفي لقائه وهذا زهد
العارفين والزهد باعتبار احكامه ينقسم الى زهد فرض ونفل وسلامة فالفرض
هو الزهد في الحرام والنفل هو الزهد في الحلال والسلامة هو الزهد في الشبهات
وفي مصباح الشريعة قال الصادق ع الزهد مفتاح باب الاخرة والبراءة
من النار وهو تركك كل شيء يشغلك عن الله من غير تاسف على فوتها
ولا اعجاب في تركها ولا انتظار فرج منها ولا طلب محمدة عليها ولا عوض
لها بل ترى فوتها راحة وكونها آفة وتكون ابدا هاربا من الآفة معتصما
بالراحة والزهد الذي يختار الاخرة على الدنيا والذل على العز والجهد على

الراحة والجوع على الشبع وعافية الآجل على محبة العاجل والذكر على الغفلة
ويكون نفسه في الدنيا وقلبه في الآخرة وسئل الصادق ع عن الزاهد
في الدنيا فقال الذي يترك حلالها مخافة حسابه ويترك حرامها مخافة
عذابه وقال ليس الزهد في الدنيا باضاعة المال ولا تحريم الحلال بل الزهد
في الدنيا ان لا يكون بما في يدك اوثق منك بما عند الله وقال
امير المومنين ع الزهد في الدنيا قصر الامل وشكر كل نعمة والورع
عن كل ما حرم الله عز وجل وقال ع الزهد كله بين كلمتين من القرآن
قال الله سبحانه لكيلا تاسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم ومن
لم ياس على الماضي ولم يفرح بالآتي فقد اخذ الزهد بطرفيه ولعمري
انه تمام في معناه **فصل** اعلم ان من ثمرة الزهد السخا ومن ثمرة حب
الدنيا البخل فالمال ان كان مفقودا ينبغي ان يكون حال العبد القناعة
وان كان موجودا ينبغي ان يكون حاله السخاء واصطناع المعروف فان السخاء
اخلاق الانبياء وهو اصل من اصول النجاة وعنه عبر النبي ص حيث قال
السخا شجرة من شجر الجنة اغصانها متدلية على الارض فمن اخذ منها غصنا قاده
ذلك الغصن الى الجنة وقال قال جبرئيل ع قال الله تعالى ان هذا دين
ارتضيته لنفسي ولن يصلحه الا السخاء وحسن الخلق فاكرموه بهما ما استطعتم
وقال ما جبل الله اولياءه الا على السخا وحسن الخلق وقال ان
من موجبات المغفرة بذل الطعام وافشاء السلام وحسن الكلام وقال
تجافوا عن ذنب السخي فان الله آخذ بيده كلما عثر وقال طعام الجواد شفاء
وطعام البخيل داء وقال ان السخي قريب من الله قريب من الناس قريب
من الجنة بعيد من النار والبخيل بعيد من الله بعيد من الناس بعيد

من

من الجنة قريب من النار وجاهل سخي احب الى الله من عابد بخيل
وادوء الداء البخل وارفع درجات السخاء الايثار وهو ان يجود بالمال مع الحاجة اليه
قال الله تعالى في معرض الثناء ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة و
قال النبي ص ايما امرء اشتهى شهوة فرد شهوته واثر على نفسه غفر له و
ينبغي للفقير ان لا يمنع بذل قليل ما يفضل عنه فان ذلك جهد المقل وفضله
اكثر من اموال كثيرة تبذل عن ظهر غنى قال النبي ص درهم من الصدقة افضل
عند الله من مائة الف درهم قيل وكيف ذلك يا رسول الله ص قال
اخرج رجل من عرض ماله مائة الف درهم يتصدق بها واخرج رجل درهما
من درهمين لا يملك غيرهما طيبة بها نفسه فصار صاحب الدرهم
افضل من صاحب مائة الف درهم واعلم ان الامساك حيث يجب
البذل بخل والبذل حيث يجب الامساك تبذير وبينهما وسط وهو
المحمود وينبغي ان يكون السخا والجود عبارة عنه اذ لم يؤمر رسول
الله ص الا بالسخاء وقيل له ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا
تبسطها كل البسط وقال الله تعالى والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم
يقتروا وكان بين ذلك قواما فالجود وسط بين الاقتار والاسراف
وبين البسط والقبض وهو ان يقدر بذله وامساكه بقدر الواجب
ولا يكفي ان يفعل ذلك بجوارحه ما لم يكن قلبه طيبا به غير منازع
له فيه بل ينبغي ان لا يكون لقلبه علاقة مع المال الا من حيث يراد
المال له وهو صرفه الى ما يجب صرفه اليه شرعا او مروة وعادة
وواجب المروة والعادة يختلف في الاحوال والاشخاص فيستقبح
من الغني المضايقة ما لا يستقبح من الفقير ومع الاهل والاقارب

ما لا يستقبح مع الاجانب ومع الجار ما لا يستقبح مع البعيد وفي
الضيافة ما لا يستقبح اقل منه في المبايعة والمعاملة الى غير ذلك و
بالجملة حد البخل هو امساك المال عن غرض ذلك الغرض هو اهم من حفظ
المال وفي مقابلة السخاء والجود

الباب الرابع في ذم حب الجاه

اعلم ان اصل الجاه هو انتشار الصيت والاشتهار وهو آفة عظيمة وحبه
مذموم بل المحمود هو الخمول الا من شهره الله لنشر دينه من غير
تكلف طلب للشهرة منه قال الله تعالى تلك الدار الآخرة نجعلها للذين
لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا وقال النبي ع حب المال والجاه
ينبتان النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل وقال ما ذئبان
ضاريان ارسلا في زريبة غنم باكثر فسادا من حب الجاه والمال
في دين الرجل المسلم وقال انما هلك الناس باتباع الهوى وحب
الثناء وعنه ع حسب امرء من الشر الا من عصمه الله ان يشير الناس اليه بالاصابع
في دينه ودنياه وعن امير المؤمنين ع تبذل ولا تشهر ولا ترفع شخصك لتذكر
بعلم واكتم واصمت تسلم تسر الابرار وتغيظ الفجار وقال الصادق ع اياكم
وهؤلاء الرؤساء الذين يترأسون فوالله ما خفقت النعال خلف رجل الا
هلك واهلك وقال ع ملعون من ترأس ملعون من هم بها ملعون من
حدث بها نفسه وعن النبي ع رب ذي طمرين لا يؤبه به لو اقسم على الله لابره
لو قال اللهم اني اسألك الجنة لاعطاه الجنة ولم يعطه من الدنيا شيئا وقال ع
ان اليسير من الرياء شرك وان الله يحب الاتقياء الاخفياء الذين اذا غابوا
لم يفتقدوا واذا حضروا لم يعرفوا قلوبهم مصابيح الهدى ينجون من كل غبراء
مظلمة واعلم ان الجاه والمال هما ركنا الدنيا ومعنى المال ملك الاعيان

المتنفع بها في التوصل الى الاغراض والمقاصد وقضاء الشهوات ومعنى الجاه
ملك القلوب المطلوب تعظيمها وطاعتها ليتوصل باستعمال اربابها
في الاغراض والمقاصد وكما انه يكتسب الاموال بانواع من الحرف والصناعات
فكذلك يكتسب القلوب بانواع من المعاملات ولا يصير القلوب مسخرة الا
بالمعارف والاعتقادات وكل من اعتقد القلب فيه وصفا من اوصاف
الكمال انقاد له وتسخر له بحسب قوة اعتقاده وبحسب درجة ذلك
الكمال عنده وليس يشترط ان يكون الوصف كمالا في نفسه بل يكفي ان
يكون كمالا عنده وفي اعتقاده وقد يعتقد ما ليس كمالا كمالا ويذعن
قلبه للموصوف به انقيادا ضروريا بحسب اعتقاده فان انقياد القلب
حال للقلب واحوال القلب تابعة لاعتقادات القلوب وعلومها و
تخيلاتها وكما ان محب المال يطلب ملك الارقاء والعبيد فطالب
الجاه يطلب ان يسترق الاحرار ويستعبدهم ويملك رقابهم بملك
قلوبهم بل الرق الذي يطلبه صاحب الجاه اعظم لان مالك العبد
يملكه قهرا والعبد متأب بطبعه ولو خلي ورأيه انسل عن الطاعة
طوعا وينبغي ان يكون الاحرار له عبيدا بالطبع والطوع مع الفرح
بالعبودية والطاعة له فبقدر ما يعتقدون من كماله تذعن له
قلوبهم وبقدر اذعان القلب يكون قدرته على ارباب القلوب و
بقدر قدرته يكون فرحه وحبه للجاه وللجاه ثمرات كالمدح والاطراء
فان المعتقد للكمال لا يسكت عن ذكر ما يعتقده فيثني عليه وكالخدمة
والاعانة فانه لا يبخل ببذل نفسه في طاعته بقدر اعتقاده و
كالايثار وترك المنازعة والتعظيم والتوقير بالمفاتحة بالسلام

وتسليم الصدر في المحافل والتقديم في جميع المقاصد ولملك القلوب
ترجيح على ملك المال من وجوه الاول ان التوصل بالجاه الى المال
ايسر من التوصل بالمال الى الجاه فالعالم او الزاهد الذي تقرر له جاه
في القلوب لو قصد اكتساب المال تيسر له فان اموال ارباب القلوب
مسخرة للقلوب ومبذولة لمن اعتقد فيه الكمال واما الرجل الخسيس الذي
لا يتصف بصفة كمال اذا وجد كنزا ولم يكن له جاه يحفظ ماله واراد ان يتوصل
بالمال الى الجاه لم يتيسر له والثاني ان المال معرض للتوى والتلف لانه
يسرق ويغصب ويطمع فيه الملوك والظلمة ويحتاج فيه الى الحفظة والحراس
ويتطرق اليه اخطار كثيرة واما القلوب اذا ملكت لم تتعرض لهذه الآفات
فان ذا الجاه في امن وامان من الغصب والسرقة فيها نعم انما تغصب القلوب
بالتخريب وتقبيح الحال وتغيير الاعتقاد فيما صدق به من اوصاف
الكمال وذلك مما يهون دفعه والثالث ان ملك القلوب يسري
وينمو ويتزايد من غير حاجة الى تعب ومقاساة لان القلوب اذا
اذعنت لشخص واعتقدت كماله بعلم او عمل وغيرهما افصحت
الالسنة لا محالة بما فيها فتصف ما يعتقده لغيره واستطار في
الاقطار فاقتضت القلوب ودعتها الى الاذعان والتعظيم فلا يزال
يسري من واحد الى واحد ويتزايد وليس له مرد معين واما المال
فمن ملك منه شيئا فهو مالكه فقط ولا يقدر على استنمائه الا بتعب
ومقاساة واما حب جمع المال وكنز الكنوز وادخار الذخاير واستكثار الخزاين
وراء جميع الحاجات وحب اتساع الجاه وانتشار الصيت الى اقاصي البلاد
التي يعلم قطعا انه قط لم يطاها ولا يشاهد اصحابها ليعظموه

اويعينوه

اويعينوه على غرض من اغراضه فله سببان احدهما جلي والآخر خفي
يدق عن افهام الاذكياء فضلا عن الاغبياء وذلك لاستمداده
من عرق خفي في النفس وطبيعة مستكنة في الطبع لا يكاد يقف عليه
الا الغواصون اما الجلي فهو دفع الم الخوف لان الشفيق بسوء الظن
مولع والانسان وان كان مكتفيا في الحال فانه طويل الامل ويخطر بباله
ان المال الذي فيه كفايته ربما يتلف فيحتاج الى غيره فاذا خطر ذلك
بباله هاج الخوف من قلبه ولا يدفع الم الخوف الا الامن الحاصل بوجود
مال اخر يفزع اليه اذا اصابت هذا المال جائحة فهو ابدا لشفقته على
نفسه وحبه للحيوة يقدر طول الحيوة ويقدر هجوم الحاجات ويقدر امكان
تطرق الآفات الى الاموال ويستشعر الخوف من ذلك فيطلب ما يدفع
الخوف وهو كثرة المال حتى ان اصيب بطائفة من ماله استغنى بالا
لاخرى وهذا خوف لا موقف له عند مقدار مخصوص من المال فلذلك
لم يكن لمثله موقف الى ان يملك جميع ما في الدنيا ولذلك ورد منهومان
لا يشبعان منهوم العلم ومنهوم المال ومثل هذه العلة تطرد
في حب قيام المنزلة والجاه في قلوب الاباعد عن وطنه وبلده فانه لا يخلو
عن تقدير سبب يزعجه عن الوطن او يزعج اولئك عن اوطانهم الى وطنه
ويحتاج الى الاستعانة بهم واما السبب الخفي وهو الاقوى ان الروح امر
رباني يحب الربوبية بالطبع ومعنى الربوبية التوحد بالكمال والعبودية
قهر على النفس ولكن لما عجزت النفس عن درك منتهى الكمال لم يسقط
شوقها للكمال فهي محبة للكمال ومشتهية له وملتذة به لذاته لا لمعنى
آخر وراء الكمال فكل موجود فهو محب لذاته ولكمال ذاته ومبغض

للهلاك الذي هو عدم ذاته او عدم صفاته للكمال من ذاته فصار الاستيلاء
على الاموال والقلوب محبوبا بالطبع وان كان لا يحتاج اليها في ملبسه
ومطعمه وفي شهوات نفسه ولذلك طلب استرقاق العبيد واستعباد
اشخاص الاحرار ولو بالقهر والغلبة **فصل** اعلم ان الكمال الحقيقي الذي
يقرب من يتصف به من الله تعالى ويبقى كمالا للنفس بعد الموت ليس الا العلم
بالله وبصفاته وافعاله وحكمته في ملكوت السماء والارض وترتيب الدنيا
والاخرة وما يتعلق به ثم الحرية اعني الخلاص من اسر الشهوات وهموم الدنيا
والاستيلاء عليها بالقهر تشبها بالملائكة الذين لا يستفزهم الشهوة ولا
يستهويهم الغضب واما ما له منفعة في الاعانة على معرفة الله كمعرفة
لغة العرب وتفسير القران والفقه والاخبار ومعرفة طريقة تزكية النفس
لقبول الهداية الى معرفة الله كما قال الله تعالى قد افلح من زكيها وقال والذين
جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا فهو من حيث انه وسيلة الى معرفة الله
والى تحصيل الحرية فمما لا بد منه بالعرض واما القدرة فليس فيها كمال
حقيقي للعبد اذ ليس له قدرة حقيقية وانما القدرة الحقيقية لله تعالى وما
يحدث من الاشياء عقيب ارادة العبد وقدرته وحركته فهو حادثة
باحداث الله تعالى كما حقق في موضعه نعم له كمال من جهة القدرة بالاضافة
الى الحال وهي وسيلة الى كمال العلم كسلامة اطرافه وقوة يده للبطش
ورجله للمشي وحواسه للادراك فان هذه القوى آلة للوصول به الى حقيقة
كمال العلم وقد يحتاج في استبقاء هذه القوى الى القدرة بالمال والجاه
للتوصل به الى المطعم والملبس وذلك الى قدر معلوم فان لم يستعمله للوصول
الى معرفة الله فلا خير فيه البتة الا من حيث اللذة الحالية التي ينقضي على

القرب ولا طريق للعبد الى اكتساب كمال القدرة الباقية بعد الموت اذ
قدرته على اعيان الاموال وعلى استسخار القلوب والابدان ينقطع بالموت
ومن ظن ذلك كمالا فقد جهل والخلق كلهم في غمرة هذا الجهل فانهم يظنون
ان القدرة على الاجساد بقهر الحشمة وعلى اعيان الاموال بسعة
الغنى وعلى تعظيم القلوب بسعة الجاه والمال كمال فلما اعتقدوا الكمال
ذلك احبوه ولما احبوه طلبوه ولما طلبوه شغلوا به وتهالكوا عليه
فنسوا الكمال الحقيقي الذي يوجب القرب من الله ومن ملائكته وهو العلم
والحرية وهؤلاء هم الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالاخرة فلا يخفف عنهم
العذاب ولا هم ينصرون وهم الذين لم يفقهوا قوله تعالى المال والبنون زينة
الحيوة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك فالعلم والحرية هي
الباقيات الصالحات التي تبقى كمالا للنفس والمال والجاه هو الذي ينقضي
على القرب وهو كما مثله الله تعالى حيث قال انما مثل الحيوة الدنيا كماء انزلناه
من السماء فاختلط به نبات الارض الاية وكل ما تذروه الرياح بالموت فهو
زهرة الحيوة الدنيا وكل ما لا يقطعه الموت فهو من الباقيات الصالحات
فقد عرفت بهذا ان كمال القدرة بالمال والجاه كمال وهمي لا اصل له
وان من قصر الوقت على طلبه وظنه مقصودا فهو جاهل الا قدر
البلغة منها الى كمال الحقيقي **فصل** اعلم انه كما لا بد من ادنى مال
لضرورة المطعم والملبس فلا بد من ادنى جاه لضرورة المعيشة مع
الخلق والانسان كما لا يستغني عن طعام يتناوله فيجوز ان يحب الطعام
والمال الذي يبتاع به الطعام فكذلك لا يخلو عن الحاجة الى خادم يخدمه ورفيق
يعينه وسلطان يحرسه ويدفع عنه ظلم الاشرار فحبه لان يكون

له في قلب خادمه من المحل ما يدعوه الى الخدمة ليس بمذموم وكذا حبه لان يكون
له في قلب رفيقه من المحل ما يحسن به مرافقته ومعاونته وكذا حبه لان يكون
له في قلب استاده من المحل ما يحسن به ارشاده وتعليمه والعناية به وكذا حبه ان
يكون له من المحل في قلب سلطان ما يحسنه ذلك على دفع الشر عنه فان الجاه
وسيلة الى الاغراض كالمال فلا فرق بينهما الا ان التحقيق في هذا يفضي الى ان لا
يكون المال والجاه في اعيانهما محبوبين بل ينزل ذلك منزلة حب الانسان ان
يكون في داره بيت ماء لانه يضطر اليه لقضاء حاجته ويود لو استغنى عن قضاء
الحاجة حتى يستغني عن بيت الماء الا انه لا يوصف محبتهما بالعشق والعصيان
ما لم يحمله الحب على مباشرة معصيته وما لم يتوصل الى اكتسابه بكذب
وخداع وارتكاب محظور وما لم يتوصل الى اكتسابه بعبادة فان التوصل الى
المال والجاه بالعبادة جناية على الدين وهو حرام واليه يرجع معنى الرياء
المحظور فاما ان يطلبهما باخفاء عيب من عيوبه ومعصية من معاصيه
حتى لا يعلمه فلا يزول به منزلته فهو مباح ايضا لان حفظ الستر على القبائح
جائز بل لا يجوز هتك الستر واظهار القبيح وهذا ليس فيه تلبيس بل هو سد
لطريق العلم بما لا فائدة في العلم به كالذي يخفي عن السلطان انه يشرب الخمر ولا
يلقي اليه انه ورع فان قوله انه ورع تلبيس وعدم اقراره بالشرب لا يوجب
اعتقاد الورع بل يمنع العلم بالشرب **فصل** وانما حب المدح والثناء فله
اسباب الاول وهو الاقوى شعور النفس بالكمال فان النفس مهما شعرت بكمالها
ارتاحت واهتزت وتلذذت والمدح يشعر نفس الممدوح بكمالها وتعظم
اللذة بهذه العلة مهما صدر الثناء من بصير خبير لا يجازف في القول وبهذه
العلة يبغض الذم ايضا ويكره لانه يشعر بنقصان في نفسه والسبب الثاني

ان المدح يدل على ان قلب المادح ملك الممدوح وانه مريد له ومعتقد
فيه ومسخر تحت مشيته وملك القلوب محبوب والشعور بحصوله لذيذ و
بهذه العلة تعظم اللذة مهما صدر ممن يتسع قدرته وينتفع باقتناص قلبه
كالملوك والاكابر وهذه العلة ايضا يكره الذم ويتالم به القلب والسبب الثالث
ان ثناء المثني ومدح المادح سبب لاصطياد قلب كل من يسمعه لا سيما
اذا كان ممن يلتفت الى قوله ويعتد بثنائه وهذا يختص بثناء يقع على الملا والسبب
الرابع ان المدح يدل على حشمة الممدوح واضطرار المادح الى اطلاق اللسان
بالثناء عليه اما عن طوع واما عن قهر فان الحشمة ايضا لذيذة لما فيها من القهر
والقدرة وهذه الاسباب قد يجتمع في مدح مادح واحد فيعظم به الالتذاذ ويندفع
استشعار الكمال بان يعلم الممدوح انه غير صادق في مدحه فان كان يعلم ان المادح
ليس يعتقد ما يقوله بطلت اللذة الثانية وهو استيلاؤه على قلبه وبقيت
لذة الاستيلاء بالحشمة على اضطرار لسانه الى النطق بالثناء **فصل** اعلم ان من
غلب على قلبه حب الجاه صار مقصور الهم على مراعاة الخلق مشغوفا بالتودد اليهم
والمرايات لاجلهم ولا يزال في اقواله وافعاله ملتفتا الى ما يعظم منزلته عندهم
وذلك بذر النفاق واصل الفساد ويجر ذلك لا محالة الى التساهل في العبادات
والمرايات بها والى اقتحام المحظورات للتوصل بها الى اقتناص القلوب ولذلك
شبه رسول الله صلعم حب الشرف والمال وافسادهما للدين بذئبين ضاريين
وقال انه ينبت النفاق كما ينبت الماء البقل اذ النفاق هو مخالفة الظاهر
للباطن بالقول والفعل وكل من طلب المنزلة في قلوب الناس فيضطر
الى النفاق معهم والى التظاهر بخصال حميدة وهو خال عنها وذلك
عين النفاق وعلاج العلم ان يعلم ان السبب الذي لاجله احب الجاه

وهو كمال القدرة على اشخاص الناس وعلى قلوبهم ان صفى وسلم فاخره
الموت فليست من الباقيات الصالحات بل لو سجد له كل من على وجه
الارض والى خمسين سنة لا يبقى الساجد ولا المسجود له ويكون حاله
كحال من مات قبله من ذوى الجاه مع المتواضعين له فهذا لا ينبغى
ان يترك به الدين الذى هو الحيوة الابدية التى لا انقطاع لها ومن فهم
الكمال الحقيقى والكمال الوهمى كما سبق صغر الجاه فى عينه الا ان ذلك
انما يصغر فى عين من ينظر الى الاخرة كانه يشاهدها ويستحقر العاجلة
ويكون الموت كالحاصل عنده وابصار اكثر الخلق ضعيفة مقصورة
على العاجلة ولا يمتد نورها الى مشاهدة العواقب كما قال الله تعالى بل تؤثرون
الحيوة الدنيا والاخرة خير وابقى وقال عز وجل كلا بل تحبون العاجلة وتذرون الاخرة
الى غيرها من الايات فمن هذا حده فينبغى ان يعالج قلبه فى حب الجاه بالعلم
بالافات العاجلة وهو ان يتفكر فى الاخطار التى يستهدف لها ارباب
الجاه فى الدنيا فان كل ذى جاه محسود مقصود بالايذاء وخائف على
الدوام على جاهه ومحترز من ان يتغير منزلته فى القلوب والقلوب
اشد تغيرا من القدر فى غليانه وهى مرددة بين الاقبال والاعراض
فكل ما يبنى على قلوب الخلق يضاهى ما يبنى على امواج البحر فانه لا ثبات
له والاشتغال بمراعات القلوب وحفظ الجاه ودفع كيد الحساد
ومنع اذى الاعداء اشتغال عن الله وتعرض لمقته فى العاجل و
الاجل كل ذلك غموم عاجلة مكدرة للذة الجاه فلا يفى فى الدنيا
ايضا مرجوها بمخوفها فضلا عما يفوت فى الاخرة فبهذا ينبغى ان
يعالج البصيرة الضعيفة واما من نفذت بصيرته وقوى ايمانه

فلم

فلم يلتفت الى الدنيا فهذا هو العلاج من حيث العلم واما من حيث
العمل فاسقاط الجاه عن قلوب الخلق بالانس بالخمول والقناعة بالقبول
من الخالق والاعتزال عن الناس والهجرة الى مواضع الخمول فان المعتزل
فى بيته فى البلدة التى هو بها مشهور لا يخلو عن حب المنزلة التى
ترسخ له فى القلوب بسبب عزلته فربما يظن انه ليس محبا لذلك الجاه
وهو مغرور وانما سكنت نفسه لانها ظفرت بمقصودها ولو تغير
الناس عما اعتقدوا فيه وذموه او نسبوه الى امر غير لائق به جزعت نفسه
وتالمت وربما توصلت الى الاعتذار من ذلك واماطة ذلك الغبار
عن قلوبهم وربما يحتاج فى ازالة ذلك عن قلوبهم الى الكذب وتلبيس ولا
يبالى به وبه يتبين انه بعد محب للجاه والمنزلة ولا يمكنه انه لا يحب
المنزلة فى قلوب الناس ما دام يطمع فى الناس ولا ينقطع الطمع عن الناس
الا بالقناعة فمن قنع استغنى عن الناس واذا استغنى لم يشغل قلبه بالناس ومن استغنى به
ولم يكن لقيام منزلته بالقلوب عنده وزن ويستعين على جميع ذلك بالاخبار
الواردة فى ذم الجاه ومدح الخمول مثل قولهم المؤمن لا يخلو من ذلة او علة
او قلة الى غير ذلك وحب المدح كحب الجاه حرمة واباحة ونفعا وضررا و
علاجه علاج حب الجاه وعلته بان الصفة الممدوح بها ان فقدت
فاستهزاء وان وجدت فالدنيوية كمال وهمى والدينية موقوفة على
الخاتمة وعلاج كراهة الذم العلم بان الصفة المذموم بها ان وجدت
فتبصير للعيوب وفيه الفرح والشغل بالازالة وان فقدت فكفارة للذنوب
وفيه الشكر لله تعالى والترحم عليه حيث اهلك نفسه كما قال النبى صلى الله عليه وسلم
اللهم اهد قومى فانهم لا يعلمون لما ان كسروا رباعيته والانسان

يفرح بمن يذم عدوه وهو شخص عدوه نفسه فينبغي ان يفرح اذا سمع ذمها ويشكر الذام عليها ويعتقد فطنته وذكاه لما وقف على عيوبها فيكون ذلك كالتشفي له من نفسه ويكون غنيمة عنده اذا صار بالمذمة اوضع في اعين الناس حتى لا يبتلي بفتنة الجاه واذا سيقت اليه حسنات لم ينصب فيها فعساه يكون جبر العيوب التي هو عاجز عن اماطتها ولو جاهد نفسه طول عمره في هذه الخصلة الواحدة وهي ان يستوي عنده ذامه ومادحه لكان له شغل شاغل فيه لا يتفرغ معه لغيره وبينه وبين السعادة عقبات كثيرة هذه احدى تلك العقبات ولا يقطع شيء منها الا بالمجاهدة الشديدة في العمر الطويل **الباب الخامس** في ذم الغرور وهو سكون النفس الى ما يوافق الهوى ويميل اليه الطبع عن شبهة وخدعة من الشيطان فمن اعتقد انه على خير اما في العاجل او في الاجل عن شبهة فاسدة فهو مغرور وقال الله تعالى لا تغرنكم الحيوة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور وقال عز وجل ولكنكم فتنتم انفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الاماني حتى جاء امر الله وغركم بالله الغرور وقال النبي ﷺ حبذا نوم الاكياس وفطرهم كيف يغبنون سهر الحمقى واجتهادهم ولمثقال ذرة من صاحب تقوى ويقين افضل من ملاء الارض من المغترين وقال ﷺ الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والاحمق من اتبع نفسه هواه وتمنى على الله الاماني ولنمثل للغرور مثالا للايضاح اما الغرور بالحيوة الدنيا فمثاله ما قال بعض الكفار والعصاة النقد خير من النسية والدنيا نقد والاخرة نسية فاذن هي خير فلا بد من ايثارها وقالوا اليقين خير من الشك ولذات الدنيا يقين ولذات الاخرة شك فلا يترك

اليقين بالشك فهذه اقيسة فاسدة تشبه قياس ابليس حيث قال انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين والى هؤلاء الاشارة بقوله تعالى اولئك الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالاخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون وعلاج هذا الغرور اما بتصديق الايمان بان يصدق قول الله تعالى في قوله ما عندكم ينفد وما عند الله باق وقوله والاخرة خير وابقى وقوله تعالى وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور واما بالبرهان وهو ان يعرف وجه فساد هذا القياس الذي نظمه في قلوبهم الشيطان فان فيه اصلين احدهما ان الدنيا نقد والاخرة نسية وهذا صحيح والاخر ان النقد خير من النسية وهذا محل التلبيس فليس الامر كذلك بل ان كان النقد مثل النسية في المقدار والمقصود فهو خير وان كان اقل منه فالنسية خير فان هذا المغرور يبذل في تجارته درهما ليأخذ عشرة نسية ولا يقول النقد خير من النسية فلا اتركه واذا حذره الطبيب الفواكه ولذائذ الاطعمة تركها في الحال خوفا من الم المرض في المستقبل وقد ترك النقد ورضي بالنسية والتجار كلهم يركبون البحار ويتعبون في الاسفار نقدا لاجل الراحة والربح نسية فان كان عشرة في ثاني الحال خيرا من واحد في الحال فانسب لذة الدنيا من حيث مدتها الى مدة الاخرة واما قولهم ان اليقين خير من الشك والدنيا يقين والاخرة شك فهو اكثر فسادا من الاول لان كلا اصليه باطل اذ اليقين خير من الشك اذا كان مثله والا فالتاجر في سعيه على يقين وفي ربحه على شك والمتفقه في اجتهاده على يقين وفي ادراكه رتبة العلم على شك والمريض من مرارة الدواء على يقين ومن الشفاء على شك والصياد في تردده في المقتنص على يقين وفي اقتناصه الظفر بالصيد على شك وكذا الحزم حزام العقلاء فمن

شك فى الاخرة فيجب عليه بحكم الحزم ان يقول الصبر ايامًا قلايل وهو
منتهى العمر قليل بالاضافة الى ما يقال من امر الاخرة فان كان ما قيل
فيه كذبا فما يفوتنى الا التنعم ايام حيوتى وان كان صدقا فابقى فى النار
ابدا الاباد وهذا لا يطاق واما الاصل الثانى وهو ان الاخرة شك فهو
ايضا خطا بل ذلك يقين عند المومنين وليقينه مدركان احدهما الايمان
والتصديق للانبياء والعلماء والثانى الوحى والالهام للانبياء و
الاولياء اذ كشف لهم حقيقة الاشياء كما هى عليها وشاهدوها
بالبصيرة الباطنة كما تشاهدات المحسوسات بالبصر الظاهر فيخبرون
عن مشاهدة لا عن سماع وتقليد واما الغرور بالله فمثاله قول
بعضهم فى انفسهم والسنتهم انه ان كان لله معاد فنحن احق به
به من غيرنا ونحن اوفر حظا وفيه اسعد حالا كما اخبر الله من قول
الرجلين المتحاورين اذ قال وما اظن الساعة قائمة ولئن رددت الى
ربى لاجدن خيرا منها منقلبا وهذا قياس من اقيسة ابليس وذلك
لانهم ينظرون مرة الى نعم الله عليهم فى الدنيا فيقيسون عليها
نعمة الاخرى وينظرون الى تاخير الله العذاب عنهم فيقيسون عليه
عذاب الاخرة كما قال الله تعالى ويقولون فى انفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول
ومرة اخرى ينظرون الى المومنين وهم فقراء شعث غبر فيزدرون بهم
ويستحقرونهم فيقولون اهولاء من الله عليهم من بيننا ويقولون لو كان
خيرا ما سبقونا اليه وقياسهم انه قد احسن الله الينا بنعيم الدنيا وكل محسن
فهو محب وكل محب فانه محسن فى المستقبل ايضا والتلبيس تحت ظنه ان
كل محسن محب بل تحت ظنه ان انعامه عليه فى الدنيا احسان فقد اغتر بالله

النعم بدل

اذ يظن

وهو يحمهم

اذ يظن انه كريم عنده بدليل لا يدل على الكرامة بل عند ذوى البصاير يدل
على الهوان فان نعيم الدنيا ولذاتها مهلكات ومبعدات من الله تعالى وان الله
يحمى عبده الدنيا كما يحمى احدكم مريضه الطعام والشراب وهو يحبه كما
ورد فى الخبر وهذا المغرور علاجه معرفة دلايل الكرامة والهوان اما
بالبصيرة واما بالتقليد قال الله تعالى ايحسبون انما نمدهم به من مال وبنين
نسارع لهم فى الخيرات بل لا يشعرون وقال سنستدرجهم من حيث لا يعلمون
وقال فتحنا عليهم ابواب كل شى حتى اذا فرحوا بما اوتوا اخذناهم بغتة فاذا هم
مبلسون ومنشا هذا الغرور الجهل بالله وبصفاته فان من عرفه لا يامن
مكره ولا يغتر به بامثال هذه الخيالات وينظر الى فرعون وقارون والى ملوك
الارض وكيف احسن الله اليهم ابتداء ثم دمرهم تدميرا ومكروا ومكر الله والله
خير الماكرين ولا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون **فصل** اعلم ان فرق
المغترين كثيرة وجهات غرورهم مختلفة فمنهم من راى المنكر معروفا كالذى
يتخذ المساجد ويزخرفها من المال الحرام ومنهم من لم يميز بين ما يسعى فيه
لنفسه وما يسعى فيه لله كالواعظ الذى غرضه القبول والجاه ومنهم من يترك
الاهم ويشتغل بغيره كالذى يترك الفرايض ويشتغل بالنافلة ومنهم من
يترك اللباب ويشتغل بالقشر كالذى يكون همته فى الصلوة مقصورة على
الوسواس فى النية او تصحيح مخارج الحروف حتى تفوته الجماعة وتخرج الصلوة
من الوقت ثم لا يحضر قلبه فى صلوته ويزعم انه اذا اتعب نفسه فى تصحيح النية
او الحروف يتميز عن العامة بهذا الجهد ومنهم من اغتر بقراءة القران فيهذه
هذا وربما يختم فى اليوم والليلة مرة ولسانه يجرى به وقلبه متردد
فى اودية الامانى ومنهم من اغتر بالصوم وربما صام الدهر ولا يحفظ

لسانه عن الغيبة ولا بطنه عن الحرام عند الافطار ثم يظن بنفسه
الخير ومنهم من اغتر بالحج فيخرج الى الحج من غير خروج عن المظالم وقضاء
الديون وطلب الزاد الحلال ويضيع في الطريق الصلوة ويعجز عن طهارة
الثوب والبدن ويتعرض لمسكن الظلمة وذلك بعد سقوط حجة الاسلام
عنه ومنهم من يتقلد امامة مسجد او اذانه ويظن انه على خير ولو ام غيره او اذن
في وقت غيبته قامت عليه القيامة ولو كان اورع منه واعلم ومنهم من يامر
بالخير وينسى نفسه فاذا امر عنف وطلب الرياسة والعز واذا رد عليه
اذا باشر منكرا غضب وقال انا المحتسب فكيف ينكر علي وانما غرضه الرياسة
ومنهم من احكم العلوم الشرعية وتعمق فيها واشتغل بها واهمل تفقد الجوارح
وحفظها عن المعاصي والزامها الطاعات واهمل تفقد قلبه لتمحو عنه الصفات
المذمومة والاخلاق الردية واغتر بعلمه وظن انه عند الله بمكان وانه
قد بلغ من العلم مبلغا لا يعذب الله مثله بل يقبل في الخلق شفاعته وانه
لا يطالبه بذنوبه لكرامته على الله ومنهم من يعجب بنفسه ويظن انه
منفك عن الاخلاق المذمومة وانه ارفع عند الله من ان يبتليه بها
وانما يبتلي بها العوام ثم اذا ظهر عليه مخايل الكبر والرياسة وطلب العلو
والشرف قال ما هذا كبر وانما هذا طلب عز الدين واظهار شرف العلم و
نصرة دين الله وارغام انف المخالفين ومهما اطلق اللسان بالحسد في
اقرانه او من رد عليه شيئا من كلامه لم يظن بنفسه ان ذلك حسد ولكن
قال انما هذا غضب للحق ورد على المبطل في عداوته وظلمه ثم لو طعن في غيره من اهل
العلم لم يكن غضبه مثل غضبه الان بل ربما يفرح به واذا خطر له خاطر الرياء
قال هيهات انما غرضي من اظهار العلم والعمل اقتداء الخلق بي

ليهتدوا

ليهتدوا الى دين الله ويتخلصوا من عقاب الله ولا يتامل المغرور انه ليس
يفرح باقتداء الناس بغيره كما يفرح باقتدائهم به فلو كان غرضه صلاح الخلق
لفرح بصلاحهم على يدي من كان ومع ما يكره هذا فلا يخليه الشيطان ايضا
بل يقول انما ذلك لانهم اذا اهتدوا بي كان الاجر والثواب لي فانما فرحي بثواب الله
لا بقول الخلق هذا ما يظنه بنفسه والله مطلع على سريرته ومنهم من
اشتغل بعلم الكلام والمجادلة في الاهواء والرد على المخالفين واعتقد انه لا
يكون للعبد عمل الا بالايمان ولا يصح ايمان الا بان يتعلم جدلهم وما يسمونه
ادلة عقايدهم وظن انه لا احد اعرف بالله وصفاته منهم وانه لا ايمان
لمن لم يعتقد مذهبهم ولم يتعلم علمهم ودعا كل فرقة منهم الى نفسه وفي الحديث
النبوي ما ضل قوم قط بعد هدى الا اوتوا الجدل وصرفوا العمل ومنهم
من اشتغل بالوعظ واعلاهم رتبة من يتكلم في اخلاق النفس وصفات القلب
من الخوف والرجاء والصبر والشكر ونظايرها ويظن بنفسه انه اذا تكلم بهذه
الصفات ودعا الخلق اليها صار موصوفا بها وهو منفك عنها عند الله
الا عن قدر يسير لا ينفك عنه عوام المسلمين والاكياس يمتحنون انفسهم
في هذه الصفات ويطالبونها بالحقيقة ولا يقنعون منها بالتزويق ومنهم
من ظن ان حكم العبد بينه وبين الله تع يتبع حكمه في مجلس القضاء فوضع
الحيل في دفع الحقوق واساء تاويل الالفاظ واغتر بالظواهر واخطا
فيها وذلك مثل فتواهم بان المراة مهما ابرأت الزوج من الصداق برى
الزوج بينه وبين الله وذلك خطا بل الزوج قد يسيء الى الزوجة بحيث يضيق
عليها الامور بسوء الخلق فتضطر الى طلب الخلاص فتبرئ الزوج لتتخلص منه
وهو ابراء من غير طيبة نفس وقد قال الله تع فان طبن لكم عن شيء منه

نفسا وطيبة النفس غير طيبة القلب فالقلب قد يريد بما لا يطيب به النفس كا
لانسان يريد الحجامة بقلبه ولكن يكرهها بنفسه فانما طيبة النفس ان تسمح بالاعطاء
لا عن ضرورة تقابله وكذلك لو طلب من انسان مالا على ملأ من الناس فاستحيى
من الناس ان لا يعطيه وكان يود ان يكون سؤاله في خلوة حتى لا يعطيه
ولكن خاف مذمة الناس والسؤال في مظنة الحياء والرياء ضرب القلب بالسوط
ولا فرق بين ضرب الباطن وضرب الظاهر عند الله فان الباطن عند الله
ظاهر وكذلك من يعطي اتقاء لشر لسانه او لشر سعايته فهو حرام عليه

فصل

ومن المغترين قوم تسموا باهل الذكر والتصوف يدعون البراءة من التقشف
والتكليف يلبسون خرقا ويجلسون حلقا يخترعون الاذكار ويتغنون بالاشعار
يعلنون بالتهليل وليس لهم الى العلم والمعرفة سبيل ابتدعوا شهيقا ونهيقا
واخترعوا رقصا وتصفيقا قد خاضوا الفتن واخذوا بالبدع دون السنن
رفعوا اصواتهم بالنداء وصاحوا الصيحة الشنعاء ومنهم من يدعي علم المعرفة
ومشاهدة المعبود ومجاوزة المقام المحمود والملازمة في عين الشهود ولا
يعرف من هذه الامور الا الاسماء ولكنه تلقف من الطامات كلمات يرددها
لدى الاغنياء كانه يتكلم عن الوحي ويخبر عن السماء ينظر الى اصناف العباد والعلماء
بعين الازدراء يقول في العباد انهم اجراء متعبون وفي العلماء انهم بالحديث
عن الله محجوبون ويدعي لنفسه من الكرامات ما لا يدعيه نبي مقرب لا علما
احكم ولا عملا هذب يأتي اليه الرعاع الهمج من كل فج اكثر من اتيانهم مكة للحج
عليه الحجج ويأتون اليه الشمع وربما يخرون له سجودا كانهم اتخذوه معبودا
يقبلون يديه ورجليه ويتهافتون على قدميه باذنه لهم في الشهوات ويرخص لهم في
الشبهات ياكل ويأكلون كما تاكل الانعام ولا يبالون من حلال اصابوا ام من

الشهوة

حرام وهو يحللها لهم هاضم لدينه وادیانهم حاطم ليحملوا اوزارهم
كاملة يوم القيمة ومن اوزار الذين يضلونهم بغير علم الا ساء ما يزرون

فصل

واما ارباب الاموال ففرقة منهم يحرصون على بناء المساجد والمدارس
والرباطات والقناطير وما يظهر للناس كافة باموال كسبوها من غير حلها و
يكتبون اسماءهم بالاحجار عليها ليتخلد ذكرهم ويبقى بعد الموت اثرهم ويظنون انهم
قد استحقوا المغفرة بذلك وانهم مخلصون فيه ولو كلف احد منهم ان ينفق
دينارا ولا يكتب اسمه على الموضع الذي انفق عليه لشق عليه ولم تسمح به نفسه
والله مطلع عليه كتب اسمه او لم يكتب فلولا انه يريد وجه الناس لا وجه الله
لما افتقر الى ذلك وربما يكون في جوار محلتهم او في بلده فقير وصرف المال اليهم
من الصرف الى المساجد وزينتها ومنهم من ينفق الاموال في الصدقات و
على الفقراء والمساكين ويطلب المحافل الجامعة والفقراء الذين عادتهم الشكر
والافشاء للمعروف ويكره التصدق في السر ويرى اخفاء الفقير لما اخذ منه
جناية عليه وكفرانا ومنهم من يحفظ ماله ويمسكه بحكم البخل ثم يشتغل بالعبادات
البدنية التي لا يحتاج فيها الى نفقة كصيام النهار وقيام الليل وختم القرآن
وهو يظن انه على خير ومنهم من لا تسمح نفسه الا باداء الزكوة فقط ثم يخرج من
المال الخبيث الرديء الذي يرغب عنه ويطلب من الفقراء من يخدمه ويتردد
في حاجاته ويظن انه اداها لله واصناف المغرورين لا تحصى وفي مصباح الشريعة
قال الصادق ع المغرور في الدنيا مسكين وفي الاخرة مغبون لانه باع الافضل
بالادنى ولا تعجب من نفسك حيث ربما اغتررت بمالك وصحة جسمك ان
لعلك تبقى وربما اغتررت بطول عمرك واولادك واصحابك لعلك تنجو بهم
وربما اغتررت بجمالك ونيتك واصابتك مأمولك وهواك وظننت انك

صادق ومصيب وربما اغتررت بما ترى للخلق من الندم على تقصيرك من في
العبادة ولعل الله تعالى يعلم من قلبك بخلاف ذلك وربما اتقيت نفسك في
العبادة هكلفا والله يريد الاخلاص وربما افتخرت بعلمك ونسبك وانت
غافل عن مضمرات ما في علم الله وربما توهمت انك تدعو الله وانت
تدعو سواه وربما حسبت انك ناصح للخلق وانت تريد بهم لنفسك بان
يميلوا اليك وربما ذممت نفسك وانت تمدحها في الحقيقة واعلم انك
لن تخرج من ظلمات الغرور والتمني الا بصدق الانابة الى الله والاخبات
له ومعرفة عيوب احوالك من حيث لا توافق العقل والعلم والجملة الذي
والشريعة وسنن القدوة وائمة الهدى وان كنت راضيا بما انت فيه فما
احد اشقى بعملك منك واضيع عمرا واورث حسرة يوم القيمة

المقالة الرابعة في مكارم الاخلاق وتحصيلها وفيها
ستة ابواب **الباب الاول** في الصبر وهو ثبات باعث
الدين في مقابلة باعث الهوى فعلى الشاق كالعبادة والمكروه كالمصيبة
صبر مطلقا وضده الجزع والهلع وهو الاسترسال في رفع الصوت وضرب
الخدود وشق الجيوب وعن شهوة البطن والفرج عفة وضده الشره وفي الغنى
ضبط النفس وضده البطر وفي الحرب شجاعة وضده الجبن وفي كظم
الغيظ حلم وضده الغضب وفي النوائب سعة الصدر وضده ضيق الصدر
والضجر والتبرم وفي اخفاء الامر كتمان وضده الاذاعة وفي فضول العيش
زهد وضده الحرص ومدد باعث الدين من الملائكة الناصرين لحزب الله
ومدد باعث الهوى من الشياطين الاعداء لله فان ثبت باعث الدين
بامداد الملائكة حتى قهر باعث الهوى واستمر على مخالفته التحق بالصابرين

وان تخاذل وضعف حتى غلب الهوى ولم يصبر في دفعه التحق باتباع
الشياطين وهذا الثبات انما يكون بقوة المعرفة التي تسمى ايمانا وهو
اليقين بكون الهوى عدوا قاطعا لطريق الله وقد وصف الله سبحانه الصابرين
باوصاف وكرر ذكر الصبر في القران واضاف اكثر الخيرات والدرجات
اليه وجعلها ثمرة له فقال عز من قائل وجعلنا منهم ائمة يهدون بامرنا لما
صبروا وقال وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل بما صبروا وقال
ولنجزين الذين صبروا اجرهم باحسن ما كانوا يعملون وقال اولئك يؤتون
مرتين بما صبروا وقال انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب فما من
قربة الا واجرها بتقدير وحساب الا الصبر ووعد الصابرين بانه معهم
فقال واصبروا ان الله مع الصابرين وعلق النصرة على الصبر فقال بلى ان
تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة الاف من الملائكة
مسومين وجمع للصابرين بين امور لم يجمعها لغيرهم فقال اولئك عليهم
صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون واستقصاء الايات
في مقام الصبر يطول وقال النبي ع الصبر نصف الايمان وقال من اقل ما
اوتيتم اليقين وعزيمة الصبر ومن اعطي حظه منهما لم يبال ما فاته
من قيام الليل وصيام النهار وقال الصبر كنز من كنوز الجنة وسئل
عن الايمان فقال الصبر والسماحة وقال الصبر من الايمان بمنزلة الراس
من الجسد ولا جسد لمن لا راس له ولا ايمان لمن لا صبر له وقال امير المؤ
منين ع بني الايمان على اربع دعائم اليقين والصبر والجهاد والعدل
وقال الباقر ع من لا يعد الصبر لنوائب الدهر يعجز وقال الجنة محفوفة
بالمكاره والصبر فمن صبر على المكاره في الدنيا دخل الجنة وجهنم

محفوفة باللذات والشهوات فمن اعطى نفسه لذتها وشهوتها دخل النار
وقال الصادق ع من ابتلي من المؤمنين ببلاء فصبر عليه كان له مثل اجر
الف شهيد وقال ان الله تعالى انعم على قوم فلم يشكروا فصارت عليهم وبالا
وابتلى قوما بالمصائب فصبروا فصارت عليهم نعمة والاخبار في فضيلة
الصبر اكثر من ان تحصى **فصل** اعلم ان ما يلقى العبد في هذه الحيوة لا يخرج
من نوعين احدهما ما يوافق هواه والآخر ما يكرهه وهو محتاج الى الصبر
في كل واحد منهما فهو اذن لا يستغني قط عن الصبر اما ما يوافق هواه كالصحة
والسلامة والمال والجاه وكثرة العشيرة واتساع الاسباب وكثرة الاتباع
والانصار وجميع ملاذ الدنيا فالصبر عليها اشد لانه ان لم يضبط نفسه
من الاسترسال والركون اليها والانهماك في ملاذها المباحة منها
اخرجه ذلك الى البطر والطغيان فان الانسان ليطغى ان رآه استغنى قال
بعض العارفين البلاء يصبر عليه المؤمن والعوافي لا يصبر عليها الا الصديق
وذلك لانه مقرون بالقدرة ومن العصمة ان لا تقدر والجائع عند غيبة
الطعام اقدر على الصبر منه اذا حضرته الاطعمة الطيبة اللذيذة وقدر
عليها واما ما لا يوافق الهوى والطبع فلا يخلو اما ان يرتبط باختيار العبد كا
الطاعات والمعاصي او لا يرتبط كالمصائب والنوائب او لا يرتبط اوله
باختياره ولكن له اختيار في ازالته كالتشفي من المؤذي بالانتقام منه
فهي ثلثة اقسام الاول ما يرتبط باختياره وهو سائر افعاله التي توصف
بكونها طاعة او معصية اما الطاعة فالصبر عليها شديد لان النفس
بطبعها تنفر عن العبودية وتشتهي الربوبية كما سبق بيانه ثم من العبادات
ما يكره بسبب الكسل كالصلوة ومنها ما يكره بسبب البخل كالزكوة

ومنها ما يكره بسببهما جميعا كالحج والجهاد فالصبر على الطاعة صبر على الشدائد
ويحتاج المطيع الى الصبر عليها في ثلثة احوال الاولى قبل الطاعة وذلك
في تصحيح النية والاخلاص عن شوائب الرياء ودواعي الآفات والثانية حالة
العمل كيلا يغفل عن الله في اثناء عمله ولا يتكاسل عن تحقيق آدابه وسننه
ويدوم على ذلك الى الفراغ والثالثة بعد الفراغ من العمل اذ يحتاج
الى الصبر عن افشائه والتظاهر به للسمعة والرياء وعن النظر اليه بعين
العجب وعن كل ما يبطل عمله ويحبط اجره واما المعاصي فاشد انواع الصبر
عنها الصبر عما كان مألوفا بالعادة فان العادة طبيعة ثانية فاذا انضافت
الى الشهوة تظاهر جندان من جنود الشيطان على جند الله فلا يقوى باعث
الدين على قمعهما ثم ان كان ذلك الفعل مما تيسر فعله كان الصبر عنه اثقل
على النفس كالصبر عن معاصي اللسان من الغيبة والكذب والمراء و
الثناء على النفس تعريضا وتصريحا الى غير ذلك واشد من حركة اللسان
حركة الخواطر باختلاج الوساوس الا بان يغلب على القلب هم آخر
في الدين يستغرقه كمن اصبح وهمومه هم واحد والا فجولان الخاطر انما
يكون في فائت لا تدارك له او في مستقبل لا بد وان يحصل منه ما هو
مقدر وكيف ما كان فهو تضييع زمان وآلة العبد قلبه فاذا غفل
القلب في نفس واحد عن ذكر يستفيد به انسا بالله او فكر يستفيد به معرفة
بالله ويستفيد بالمعرفة محبة لله فهو مغبون القسم الثاني ما لا يرتبط
هجومه باختياره وله اختيار في دفعه كما لو اوذي بفعل او قول او جني
عليه في نفسه او ماله فالصبر على ذلك بترك المكافات قال الله
تعالى ولنصبرن على ما آذيتمونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون وقال تعالى

فاصبر على ما يقولون واهجرهم هجراً جميلاً وقال ولتسمعن من الذين اوتوا
الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا اذى كثيراً وان تصبروا وتتقوا
فان ذلك من عزم الامور وقال النبي صـ صل من قطعك واعط من
حرمك واعف عمن ظلمك القسم الثالث ما لا يدخل تحت اختيار
اوله والحزن كالمصائب مثل موت الاعزة وهلاك الاموال وزوال
الصحة بالمرض ونحو ذلك وهذا صبر مستنده اليقين قال النبي صـ اسألك
من اليقين ما يهون به علي مصائب الدنيا وقال صـ ما من عبد مؤمن
اصيب بمصيبة فقال كما امره الله انا لله وانا اليه راجعون اللهم اجرني
في مصيبتي واعقبني خيراً منها الا فعل الله ذلك وقال النبي ع قال الله عز
وجل اذا وجهت الى عبد من عبيدي مصيبة في بدنه او ماله او ولده ثم استقبل
ذلك بصبر جميل استحييت منه يوم القيمة ان انصب له ميزاناً او انشر
له ديواناً وقال الصبر ثلثة صبر عند المصيبة وصبر على الطاعة وصبر عن
المعصية فمن صبر على المصيبة حتى يردها بحسن عزائها كتب الله له
ثلثمائة درجة ما بين الدرجة الى الدرجة كما بين السماء الى الارض
ومن صبر على الطاعة كتب الله له ستمائة درجة ما بين الدرجة الى
الدرجة كما بين تخوم الارض الى العرش ومن صبر عن المعصية كتب الله
له تسعمائة درجة ما بين الدرجة الى الدرجة كما بين تخوم الارض
الى منتهى العرش وعن الباقر ع الصبر صبران صبر على البلاء حسن جميل
وافضل الصبرين الورع عن محارم الله **فصل** ان قلت فيما ذا تنال
درجة الصبر في المصائب وليس الامر الى اختياره فهو مضطر شاء ام
ابى فان كان المراد به ان لا يكون في نفسه كراهية المصيبة فذلك

غير

غير داخل تحت اختياره فاعلم انه انما يخرج عن مقام الصابرين بالجزع وشق
الجيوب وضرب الخدود والمبالغة في الشكوى واظهار الكآبة وتغيير
العادة في الملبس والمفرش والمطعم ونحوها وهذه الامور داخلة تحت اختياره
فينبغي ان يجتنب جميعها ويظهر الرضا بقضاء الله تعالى ويبقى مستمراً على
عادته ويعتقد ان ذلك كان وديعة فاسترجعت ولا يخرجه عن حد
الصابرين توجع القلب ولا فيضان العين بالدمع فان ذلك مقتضى
البشرية ولا يفارق الانسان الى الموت ولذلك لما مات ابراهيم ولد
النبي ص فاضت عيناه فقيل له ع اما نهيتنا عن هذا فقال ان هذه رحمة
وانما يرحم الله من عباده الرحماء وقال ع العين تدمع والقلب يحزن
ولا نقول ما يسخط الرب بل ذلك ايضاً لا يخرج من مقام الرضا فان
المقدم على الفصد والحجامة راض به وهو متألم بسببه لا محالة نعم من كمال
الصبر كتمان المرض والفقر وساير المصائب وقد قيل من كنوز البر كتمان
المصائب والاوجاع والصدقة وعن الباقر ع قال قال رسول الله ص قال الله
تع من مرض ثلثاً فلم يشك الى عواده ابدلته لحماً خيراً من لحمه ودماً خيراً من دمه
فان عافيته عافيته ولا ذنب له وان قبضته قبضته الى رحمتي وفي
معناه اخبار اخر وفي بعضها فسر التبديل المذكور بان يبدل لحماً ودماً
وبشرة لم يذنب فيها وفسر الشكاية بان يقول ابتليت بما لم يبتل
به احد واصابني ما لم يصب احداً قال وليس الشكوى ان يقول سهرت البارحة
وحممت اليوم ونحو هذا وعن الصادق ع من اشتكى ليلة فقبلها
بقبولها وادى الى الله شكرها كانت كعبادة ستين سنة سئل
ما قبولها قال يصبر عليها ولا يخبر بما كان فيها فاذا اصبح حمد الله على

ما كان وسئل الباقر ع عن الصبر الجميل فقال ذاك صبر ليس فيه شكوى الى الناس وعن النبي ص من اجلال الله تعالى ومعرفة حقه ان لا تشكو وجعك ولا تذكر مصيبتك واما الشكاية الى الله تعالى وسؤال الرفع فحسن قال يعقوب ع انما اشكو بثي وحزني الى الله **فصل** الطريق الى تحصيل الصبر تقوية باعث الدين وتضعيف باعث الهوى بالمجاهدة والرياضة وذكر قلة قدر الشدة وقتها وما اضر الجزع وقبحه وان يكثر فكره فيما ورد في فضل الصبر وفي حسن عواقبه في الدنيا والآخرة وان يعلم ان ثواب الصبر على المصيبة اكثر مما فات وانه بسبب ذلك مغبوط بالمصيبة اذ فاته ما لا يبقى معه الا مدة الحيوة الدنيا وحصل له ما يبقى بعد موته ابد الدهر ومن اسلم خسيسا في نفيس فلا ينبغي ان يحزن لفوات الخسيس في الحال وان يعود هذا الباعث مصارعة باعث الهوى تدريجا حتى يدرك لذة الظفر بها فيستجرئ عليها ويقوى منته في مصارعتها فان الاعتياد والممارسة للاعمال الشاقة تؤكد القوى التي تصدر منها تلك الاعمال ومن عود نفسه مخالفة الهوى غلبها مهما اراد ثم ان كان ذلك بتعب فقوي فصبر وان كان بيسير فصبر وان كان ذا جهد فرضا وان كان بلذة فشكر وهو بالغيبة عن حظوظ النفس والتذاذ مع الله تعالى وعدم التمييز بين الالم واللذة **الباب الثاني** في الرضا والشكر اما الرضا فهو ترك الاعتراض والسخط قال الله تعالى رضي الله عنهم ورضوا عنه وعن النبي ص انه سال طائفة من اصحابه ما انتم فقالوا مؤمنون فقال ما علامة ايمانكم قالوا نصبر عند البلاء ونشكر عند الرخاء ونرضى بمواقع القضاء فقال مؤمنون ورب الكعبة وفي خبر اخر قال حكماء علماء كادوا من فقههم ان يكونوا انبياء وعن السجاد ع الصبر والرضا عن الله راس طاعة الله ومن

صبر ورضي عن الله فيما قضى عليه فيما احب او كره لم يقض الله فيما احب او كره الا ما هو خير له وعن الباقر ع احق خلق الله ان يسلم لما قضى الله من عرف الله ومن رضي بالقضاء اتى عليه القضاء وعظم الله اجره ومن سخط القضاء مضى عليه القضاء واحبط الله اجره وعن الصادق ع ان اعلم الناس بالله ارضاهم بقضاء الله وعنه ع ان فيما اوحى الله تعالى الى موسى بن عمران يا موسى بن عمران ما خلقت خلقا احب الي من عبدي المؤمن واني انما ابتليته لما هو خير له وانزوي عنه لما هو خير له وانا اعلم بما يصلح عليه عبدي فليصبر على بلائي وليشكر نعمائي وليرض بقضائي اكتبه في الصديقين عندي اذا عمل برضائي واطاع امري وعن الكاظم ع ينبغي لمن عقل عن الله ان لا يستبطئه في رزقه ولا يتهمه في قضائه وفائدة الرضا في الحال فراغ القلب للعبادة والراحة من الهموم وفي المآل رضوان الله والنجاة من غضبه فقد قال سبحانه من لم يرض بقضائي ولم يصبر على بلائي فليطلب ربا سوائي والطريق الى تحصيله ان يعلم ان ما قضى الله سبحانه له فهو الاصلح بحاله وان لم يبلغ علمه سره ولا مدخل للهم فيه ولا يتبدل القضاء به فان ما قدر يكون وما لم يقدر لم يكن وحسرة الماضي وتدبير الآتي يذهبان ببركة الوقت بلا فائدة ويبقى تبعة السخط عليه بل ينبغي ان يدهشه الحب عن احساس بالالم كما للعاشق والحريص وان يهون عليه العلم بجزالة الثواب الشدة كما للمريض والتاجر لتحملين شدة الحجامة والسفر فيفوض امره الى الله ان الله بصير بالعباد وقال الصادق ع لم يكن رسول الله ص يقول لشيء مضى لو كان غيره **فصل** اعلم ان من قال ليس فيما يخالف الهوى وانواع البلاء الا الصبر واما الرضا فلا يتصور

فانما اتى من ناحية انكار المحبة فاما اذا ثبت تصور الحب لله تعالى واستغراق
الهم به فلا يخفى ان الحب يورث الرضا بافعال الحبيب ويكون ذلك من
وجهين احدهما ان يبطل الاحساس بالالم حتى يجري عليه المولم ولا يحس
ويصيبه جراحة ولا يدرك المها ومثاله الرجل المحارب فانه في حال
غضبه او حال خوفه قد يصيبه جراحة وهو لا يحس بها فاذا راى الدم
به على الجراحة بل الذي يعدو في شغل قريب قد يصيبه شوكة في قدمه
يحس بالمه لشغل قلبه وذلك لان القلب اذا صار مستغرقا بامر من الا
مور مستوفي به لم يدرك ما عداه وكذلك العاشق المستغرق الهم بمشاهدة
معشوقه او بحبه قد يصيبه ما كان يتألم به او يغتم لولا عشقه ثم لا يدرك
غمه والمه لفرط استيلاء الحب على قلبه هذا اذا اصابه من غير حبيبه فكيف
اذا اصابه من حبيبه وجمال الحضرة الربوبية وجلالها لا يقاس به جمال
فمن ينكشف له شيء منه فقد يبهره بحيث يدهش ويغشى عليه فلا يحس بما
يجري عليه واما الوجه الثاني فهو ان يحس به ويدرك المه ولكن يكون
راضيا به بل راغبا فيه مريدا له بعقله وان كان كارها له بطبعه كالذي يلتمس
من الفصاد الفصد والحجامة فانه يدرك الم ذلك الا انه راض به وراغب فيه
ومحب له ومتقلد منه المنة بفعله فهذا حالة الراضي بما يجري عليه من الالم ومهما
اصابته بلية من الله عز وجل وكان له يقين بان ثوابه الذي اذخر له فوق
ما فاته رضي به ورغب فيه واحبه وشكر الله عليه هذا اذا كان يلاحظ الثواب
الذي يجازى به عليه ويجوز ان يغلب الحب بحيث يكون حظ المحب في مراد محبوبه ورضاه
لا لمعنى اخر وراءه فيكون مراد حبيبه ورضاه محبوبا عنده ومطلوبا وكل ذلك
موجود في المشاهدات في حب الخلق وقد تواصفها المتواصفون في نظمهم

ونثرهم

ونثرهم وقد روينا ان اهل مصر مكثوا اربعة اشهر لم يكن لهم غذاء الا النظر
الى وجه يوسف الصديق عليه السلام كانوا اذا جاعوا نظروا الى وجهه فشغلهم جماله
عن الاحساس بالم الجوع بل في القران ما هو ابلغ من ذلك وهو قطع النسوة
ايديهن لاستهتارهن بملاحظة جماله حتى ما احسسن بذلك ويروى ان
عيسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام مر برجل اعمى ابرص مقعد مضروب الجنبين بفالج
وقد تناثر لحمه من الجذام وهو يقول الحمد لله الذي عافاني مما ابتلى به كثيرا
من خلقه فقال له عيسى يا هذا اي شيء من البلاء تراه مصروفا عنك
فقال يا روح الله انا خير ممن لم يجعل الله في قلبه ما جعل في قلبي من معرفته
فقال صدقت هات يدك فناوله يده فاذا هو احسن الناس وجها وافضلهم
هيئة قد اذهب الله عنه ما كان به فصحب عيسى وتعبد معه

فصل

اعلم ان الدعاء غير مناقض للرضا وكذلك كراهية المعاصي ومقت اهلها وحسم
اسبابها والسعي في ازالتها بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر وقد غلط في
ذلك قوم من البطالين المغترين وزعموا ان المعاصي والفجور والكفر من
قضاء الله وقدره فيجب الرضا به وهذا جهل بالتاويل وغفلة عن اسرار
الشرع فاما الدعاء فقد تعبدنا به وكثرت ادعية الانبياء والائمة عليهم السلام وكانوا
في اعلى مقامات الرضا وقد اثنى الله عز وجل على بعض عباده بقوله يدعوننا
رغبا ورهبا وقال ادعوني استجب لكم واما انكار المعاصي وكراهتها وعدم
تعبد الله عز وجل به عباده وذمهم على الرضا بها فقال ورضوا بالحياة
الدنيا واطمانوا بها وقال رضوا بان يكونوا مع الخوالف وطبع على قلوبهم وفي
الخبر ان من شهد منكرا ورضي به فكانه قد فعله وفي الخبر لو ان
عبدا قتل بالمشرق ورضي بقتله اخر بالمغرب كان شريكه في قتله واما

بغض الكفار والفجار ومقتهم والانكار عليهم فما ورد فيه من شواهد القرآن
والاخبار لا يحصى وقد ورد اوثق عرى الايمان الحب في الله والبغض في الله
فان قلت فقد وردت الايات والاخبار بالرضا بقضاء الله تعالى فان كانت
المعاصي بغير قضاء فهو محال وهو قادح في التوحيد وان كانت بقضاء الله
تعالى فكراهتها ومقتها كراهة لقضاء الله فكيف السبيل الى الجمع بينهما وهو
متناقض على هذا الوجه وكيف الجمع بين الرضا والكراهة في شيء واحد
فاعلم ان هذا الوجه مما يلتبس على الضعفاء القاصرين على الوقوف على
اسرار العلوم وقد التبس على قوم حتى راوا السكوت على المنكرات مقاما
من مقامات الرضا وسموه حسن الخلق وهو جهل محض بل نقول الرضا
والكراهة متضادان اذا اوردا على شيء واحد على وجه واحد وليس
من التضاد في شيء واحد ان يكره من وجه ويرضى به من وجه اذ قد يموت
عدوك الذي هو عدو بعض اعدائك وساع في اهلاكه فتكره موته من حيث
انه مات عدو عدوك وترضاه من حيث انه مات عدوك فكذلك
المعصية لها وجهان وجه الى الله عز وجل من حيث انه فعله واختياره
وارادته فترضى به من هذا الوجه تسليما للملك الى مالك الملك ورضا بما
يفعله فيه ووجه الى العبد من حيث انه كسبه ووصفه وعلامة كونه ممقوتا
عند الله وبغيضا حيث سلط عليه اسباب البعد والمقت وهو من
هذا الوجه منكر ومذموم ويشهد لذلك كل ما يكره من وجه ويرضى به من وجه
ونظاير ذلك لا تحصى فواجب على كل عبد محب لله عز وجل ان يبغض من ابغضه
الله ويمقت من مقته الله وان اضطر بقهره وقدرته الى معاداته
ومخالفته موافقة للمحبوب باظهار الغضب على من اظهر المحبوب الغضب عليه

بابعاده

بابعاده وبهذا يجمع بين ما ورد في الحب في الله والبغض في الله مع الرضا
بقضاء الله وهذا يستمد من سر القدر الذي لا رخصة في افشائه وهو ان
الشر والخير داخلان في المشية والارادة ولكن الشر مراد مكروه والخير
مراد مرضي به وكشف الغطاء عنه غير ماذون فيه فالاولى السكوت عنه
والتادب بادب الشرع فقد ظهر الغرض من غير حاجة الى الكشف لسر فيه
فصل واما الشكر فهو معرفة ان النعمة من المنعم والفرح به والعمل بموجب
الفرح باضمار الخير والتحميد لله واستعمال النعمة في طاعته اما المعرفة
فبان تعرف ان النعم كلها من الله وانه هو المنعم والوسايط مسخرون
من جهته وانما الذي انعم عليك هو الذي سخرهم لك والقى في قلوبهم من
الاعتقادات والارادات ما صاروا به مضطرين الى الايصال اليك فمن عرف
ذلك فكانت معرفته شكرا لله وهذا هو الشكر بالقلب واما الفرح بالمنعم مع
هيئة الخضوع والتواضع فهو ايضا في نفسه شكر على حدة كما ان المعرفة شكر
فان كان فرحك بالمنعم خاصة لا بالنعمة ولا بالانعام ومن حيث انك تقدر بها
على التوصل الى القرب منه والنزول في جواره فهو الرتبة العليا في الشكر وعلامته
ان لا تفرح بالدنيا الا بما هو مزرعة الاخرة ومعينة عليها وتحزن بكل نعمة تلهيك
عن ذكر الله وتصدك عن سبيله وهذا ايضا شكر بالقلب واما العمل بموجب الفرح
الحاصل من معرفة المنعم فهو القيام بما هو مقصود المنعم ومحبوبه ويتعلق بالقلب
واللسان والجوارح اما القلب فقصد الخير واضماره لكافة الخلق واما باللسان
فاظهار الشكر لله بالتحميد الدال عليه واما الجوارح فاستعمال نعم الله في
طاعته والتوقي من الاستعانة بها على معصيته حتى ان من شكر العينين
ان تستر كل عيب تراه بمسلم ومن شكر الاذنين ان تستر كل عيب تسمعه

لمسلم فيدخل هذا وامثاله في جملة شكر نعمة هذه الاعضاء بل نقول ومن كفر
نعمة العين فقد كفر نعمة الشمس ايضا اذ الابصار انما يتم بهما وانما خلقتا ليبصر
بهما ما ينفعه في دينه ودنياه ويتقي بهما ما يضره فيهما بل نقول المراد من
خلق الارض والسماء وخلق الدنيا واسبابها ان يستعين الخلق على الوصول
الى الله ولا وصول اليه الا بمحبته ولا انس في الدنيا والتجافي عن غرور
الدنيا ولا انس الا بدوام الذكر ولا محبة الا بالمعرفة الحاصلة بدوام الفكر
ولا يمكن الدوام على الذكر والفكر الا ببقاء البدن الا بالارض والماء والهواء
ولا يبقى البدن
والنار ولا يتم ذلك الا بخلق الارض والسماء والشمس وساير الاعضاء وكل
ذلك لاجل البدن والبدن مطية النفس والراجع الى الله هي المطمئنة
بطول العبادة والمعرفة فكل من استعمل شيئا في غير طاعة الله فقد كفر نعم
الله في جميع الاسباب التي لا بد منها لاقدامه على تلك المعصية قال الله تعالى
وقليل من عبادي الشكور وقال ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم و
امنتم وعن الصادق ع قال قال رسول الله ص الطاعم الشاكر له من الاجر كاجر
الصايم المحتسب والمعافى الشاكر له من الاجر كاجر المبتلى الصابر والمعطى
الشاكر له من الاجر كاجر المحروم القانع وعنه ع قال من اعطى الشكر اعطى الزيادة
قال الله تعالى لئن شكرتم لازيدنكم وعنه ع قال ما انعم الله على عبد من نعمة
فعرفها بقلبه وحمد الله ظاهرا بلسانه فتم كلامه حتى يؤمر له بالمزيد وعن
الباقر ع قال كان رسول الله ص عند عايشة ليلتها فقالت يا رسول الله
لم تتعب نفسك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر فقال يا عايشة
الا اكون عبدا شكورا قال وكان رسول الله ص يقوم على اصابع رجليه فانزل
سبحانه طه ما انزلنا عليك القران لتشقى وعن الصادق ع شكر النعم اجتناب

المحارم

المحارم وتمام الشكر قول الرجل الحمد لله رب العالمين وسئل هل للشكر حد اذا
فعله العبد كان شاكرا قال نعم قيل ما هو قال يحمد الله على كل نعمة عليه في اهل ومال
وان كان فيما انعم عليه في ماله حق اداه ومنه قوله سبحانه سبحان الذي سخر لنا هذا وما
كنا له مقرنين ومنه قوله رب انزلني منزلا مباركا وانت خير المنزلين وقوله رب
ادخلني مدخل صدق واخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا
وعنه ع قال كان رسول الله ص اذا ورد عليه امر يسره قال الحمد لله على هذه النعمة
واذا ورد عليه امر يغتم به قال الحمد لله على كل حال وعن الباقر ع قال اذا ذكر احدكم
نعمة الله فليضع خده على التراب شكرا لله فان كان راكبا فلينزل وليضع خده
على التراب وان لم يكن يقدر على النزول للشهرة فليضع خده على قربوسه
فان لم يقدر فليضع خده على كفه ثم ليحمد الله على ما انعم عليه **فصل** اعلم انه
لا يبلغ احد حقيقة الشكر الا بان يعلم ان النعم كلها من الله وان الشكر عليها ايضا
نعمة من الله يحتاج الى شكر اخر وهكذا قال الصادق ع اوحى الله عز وجل الى
موسى يا موسى اشكرني حق شكري فقال يا رب وكيف اشكرك حق شكرك وليس
من شكر اشكرك به الا وانت انعمت به علي قال يا موسى الان شكرتني حين علمت
ان ذلك مني وعن السجاد ع انه كان يقول في هذه الاية وان تعدوا نعمة الله
لا تحصوها فقال سبحان من لم يجعل في احد من معرفة نعمه الا المعرفة بالتقصير عن
معرفتها كما لم يجعل في احد من معرفة ادراكه اكثر من العلم بانه لا يدركه فشكر تعالى
معرفة العارفين بالتقصير عن معرفة شكره فجعل معرفتهم بالتقصير
شكرا كما علم علم العالمين بانهم لا يدركونه فجعله ايمانا علما منه انه
قد وسع العباد ولا يتجاوز ذلك فان شيئا من خلقه لا يبلغ مدى
عبادته من لا مدى له ولا كيف تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وعن الصادق ع

قال اذا اصبحت وامسيت فقل عشر مرات اللهم ما اصبحت بي من نعمة
او عافية في دين او دنيا فمنك وحدك لا شريك لك لك الحمد ولك الشكر
بها علي يا رب حتى ترضى وبعد الرضا فانك اذا قلت ذلك كنت
قد اديت شكر ما انعم الله به عليك في ذلك اليوم وفي تلك
الليلة وفي رواية كان نوح يقول ذلك اذا اصبح فسمي بذلك عبدا
شكورا وعنه ع مكتوب في التورية اشكر من انعم عليك وانعم
على من شكرك فانه لا زوال للنعماء اذا شكرت ولا بقاء لها اذا كفرت
الشكر زيادة في النعم وامان من الغير يعني من تغير الحال انتقالها
من الصلاح الى الفساد وعن السجاد عليه السلم قال ان الله يحب
كل قلب حزين ويحب كل عبد شكور يقول الله تبارك وتعالى لعبد
من عبيده يوم القيمة اشكرت فلانا فيقول بل شكرتك يا رب فيقول
لم تشكرني اذ لم تشكره ثم قال اشكركم لله اشكركم للناس **فصل**
اعلم ان النعم اما دنيوية كالخلقة السوية والملاذ الشهية وصرف المفاسد
والمضار واما دينية كالاسلام ومعرفة الائمة المعصومين عليهم السلم
والتوفيق على الطاعة والعصمة عن المعصية والدينية اعظم لايصالها
الى السعادة الابدية والانجاء من الشقاوة السرمدية واشتراك
الكفار في الدنيوية واغتنام الابرار زوال ما لا يهمهم منها قال
الكاظم ع من حمد الله على النعمة فقد شكره والحمد افضل من تلك
النعمة والطريق الى تحصيل الشكر المعرفة والتفكر في صنايعه تعالى
والنظر الى الادنى في الدنيا والى الاعلى في الدين والشكر في المصائب
على ان لا يصيبه اكبر منها وان لا يكون في الدين وان يجعل عقوبته ولا

تجعله للآخرة وانها كانت آتية ففرغ منها وان ثوابها خير له وانها تنقص من
القلب حب الدنيا وفي التحقيق نعم انها تنفع عن تكفير الخطيئة او رياضة
النفس او رفع الدرجة ومع ذلك كله فالعافية خير من البلاء فعن النبي ص
انه كان يستعيذ في دعائه من بلاء الدنيا وبلاء الآخرة وكان يقول
هو والانبياء والاوصياء ع ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة
وكانوا يستعيذون من شماتة الاعداء وقال رسول الله ص سلوا الله
العافية فما اعطي عبد افضل من العافية الا اليقين واشار باليقين الى
عافية القلب من مرض الجهل والشك فان عافية القلب اعلى من
عافية البدن **الباب الثالث** في الرجاء والخوف اما الرجاء فهو ارتياح
القلب لانتظار محبوب فان حصل اكثر اسبابه فالاصدق اسم الرجاء
كتوقع الحصاد ممن القى بذرا جيدا في ارض صالحة يصلها الماء فان فقد
فالغرور والحماقة كالملقي في غير صالحة لا يصلها الماء وان شك فيهما
فالتمني كما اذا صلحت الارض ولا ماء وذلك لان الدنيا مزرعة الآخرة
والقلب كالارض والايمان كالبذر فيه والطاعة جارية مجرى تقليب الارض
وتطهيرها ومجرى حفر الانهار وسياقة الماء اليها والقلب المستهتر بالدنيا
المستغرق بها كالارض السبخة التي لا ينمي فيها البذر ويوم القيمة يوم الحصاد
ولا يحصد احد الا ما زرع ولا ينمي زرع الا من بذر الايمان وقلما ينفع ايمان
مع خبث القلب وسوء اخلاقه كما لا ينمي بذر في ارض سبخة فينبغي ان يقاس
رجاء العبد المغفرة برجاء صاحب الزرع فكل من طلب ارضا طيبة والقى
فيها بذرا جيدا ثم امده بما يحتاج اليه من تنقية الارض مما يمنع نبات البذر
او يفسده وسوق الماء اليه في اوقاته ثم جلس ينتظر من فضل الله دفع

الآفات المفسدة الى ان يتم الزرع ويبلغ غايته سمي انتظاره رجاء وان بث البذر
في ارض سبخة مرتفعة لا ينصب اليها ماء ولم يشتغل بتعهد البذر اصلا ثم انتظر
الحصاد منه سمي انتظاره حمقا وغرورا لا رجاء وان بث البذر في ارض طيبة و
لكن لا ماء لها واخذ ينتظر مياه الامطار حيث لا تغلب الامطار ولا تمتنع ايضا
سمي انتظاره تمنيا لا رجاء فاذن اسم الرجاء انما يصدق على انتظار محبوب
تمهدت جميع اسبابه الداخلة تحت اختيار العبد ولم يبق الا ما ليس
يدخل تحت اختياره وهو فضل الله تعالى بصرف القواطع والمفسدات فالعبد
اذا بث بذر الايمان بماء الطاعات وطهر القلب من شوك الاخلاق
الردية وانتظر من فضل الله تثبيته على ذلك الى الموت وحسن الخاتمة المفضية
الى المغفرة كان انتظاره رجاء حقيقيا محمودا في نفسه باعثا له على المواظبة و
القيام بمقتضى الايمان في اتمام اسباب المغفرة الى الموت وان قطع عن بذر
الايمان تعهده بماء الطاعات او ترك القلب مشحونا برذائل الاخلاق وانهمك
في طلب لذات الدنيا ثم انتظر المغفرة فانتظاره حمق وغرور قال الله
تعالى ان الذين امنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله اولئك
يرجون رحمة الله وقال عز وجل فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب
ياخذون عرض هذا الادنى ويقولون سيغفر لنا وقال النبي صلعم الكيس
من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والاحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى
على الله وقيل للصادق ع ان قوما من مواليك يلمون بالمعاصي ويقولون
نرجو فقال كذبوا ليسوا لنا بموال اولئك قوم ترجحت بهم الاماني من رجا
شيئا طلبه ومن خاف شيئا هرب منه وقد قيل لا يكون المؤمن مؤمنا حتى يكون
خائفا راجيا ولا يكون خائفا راجيا حتى يكون عاملا لما يخاف ويرجو فاذن العبد المحمود

في الطاعات

في الطاعات المجتنب للمعاصي حقيق بان ينتظر من فضل الله تمام النعمة وما
تمام النعمة الا بدخول الجنة واما العاصي فاذا تاب وتدارك جميع ما فرط
من تقصير فحقيق بان يرجو قبول التوبة اذا كان كارها للمعصية تسوءه السيئة
وتسره الحسنة وهو يذم نفسه ويلومها ومن يشتهي التوبة ويشتاق
اليها فحقيق بان يرجو من الله التوفيق للتوبة لان كراهيته للمعصية وحرصه
على الطاعة يجري مجرى السبب الذي قد يفضي الى التوبة واما الرجاء بعد
تاكد الاسباب **فصل** واما الخوف فهو عبارة عن تالم القلب واحتراقه
بسبب توقع مكروه في الاستقبال وبحسب تظاهر اسباب المكروه يكون قوة
الخوف وشدة تالم القلب وبحسب ضعف الاسباب يضعف الخوف والخوف
من الله تارة يكون بمعرفة الله ومعرفة صفاته وتارة يكون بكثرة الجناية من
العبد بمقارفة المعاصي وتارة يكون بهما جميعا وبحسب معرفته بجلال الله تعالى
وتعاليه واستغنائه وبعيوب نفسه وجناياته يكون قوة خوفه فاخوف الناس
لربه اعرفهم بربه وبنفسه ولذلك قال النبي صلى الله عليه واله انا اخوفكم لله
وقال الله سبحانه انما يخشى الله من عباده العلماء ثم بعده كمال المعرفة يفيض
اثر الحرقة من القلب على البدن وعلى الجوارح وعلى الصفات اما في البدن
فبالنحول والصفار والبكاء واما في الجوارح فبكفها عن المعاصي وتقييدها
بالطاعات تداركا لما فرط واستعدادا للمستقبل ولذلك قيل ليس الخائف من
يبكي ويمسح عينيه بل من يترك ما يخاف ان يعاقب عليه وقال الحكيم من خاف شيئا
هرب منه ومن خاف الله هرب اليه واما في الصفات فهو ان يقمع الشهوات
ويكدر اللذات فتصير المعاصي المحبوبة عنده مكروهة كما يصير العسل مكروها
عند من يشتهيه اذا عرف ان فيه سما فتحترق فيه الشهوات بالخوف وتتادب

الجوارح وتحصل في القلب الذبول والخشوع والذلة والاستكانة ونفارته
الكبر والحقد والحسد بل يصير مستوعب الهم بخوفه والنظر في خطر عاقبته
فلا يتفرغ لغيره ولا يكون له شغل الا المراقبة والمحاسبة والمجاهدة والضنة
بالانفاس واللحظات ومواخذة النفس في الخطرات والكلمات فيكون
ظاهره وباطنه مشغولا بما هو خائف منه لا متسع فيه لغيره هذا حال من غلبه
الخوف واستولى عليه واقل درجات الخوف مما يظهر اثره في الاعمال ان يمنع
من المحظورات ويسمى الكف الحاصل من المحظورات ورعا فان زادت قوته كف
عما يتطرق اليه امكان التحريم ويسمى ذلك تقوى وقد يحمله على ان يترك
ما لا باس به مخافة ما به باس وهو الصدق في التقوى فاذا انضم اليه التجرد
للخدمة فصار لا يبني ما لا يسكنه ولا يجمع ما لا ياكله ولا يلتفت الى دنيا يعلم انها
تفارقه ولا يصرف الى غير الله تعالى نفسا من انفاسه فهو الصدق وصاحبه جدير
بان يسمى صديقا ويدخل في الصدق التقوى وفي التقوى الورع وفي الورع
العفة فانها عبارة عن الامتناع عن مقتضى الشهوات خاصة فاذن
الخوف يوثر في الجوارح بالكف والاقدام **فصل** اعلم ان العمل على
الرجاء اعلى منه على الخوف لان اقرب العباد الى الله احبهم اليه والحب يغلب
بالرجاء ولذلك ورد في الرجاء وحسن الظن رغايب لا سيما وقت الموت
قال الله تعالى يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله
يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم فحرم اصل الياس وقال ان ربك لذو مغفرة
للناس على ظلمهم وعير الله قوما فقال وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم ارداكم و
قال ظننتم ظن السوء وكنتم قوما بورا وقال النبي صلعم يقول الله عز وجل انا
عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء وقال لا يموتن احدكم الا وهو يحسن الظن

بالله

بالله ودخل عم على رجل وهو في النزع فقال كيف تجدك قال اجدني اخاف ذنوبي
وارجو رحمة ربي فقال عم ما اجتمعا في قلب عبد في هذا الموطن الا اعطاه الله
ما رجاه وامنه مما يخاف وقال امير المؤمنين عم لرجل اخرجه الخوف الى القنوط
لكثرة ذنوبه يا هذا ياسك من رحمة الله اعظم من ذنوبك وفي اخبار يعقوب
ان الله تعالى اوحى اليه اتدري لم فرقت بينك وبين يوسف لقولك اني اخاف
ان ياكله الذئب وانتم عنه غافلون لم خفت الذئب ولم ترجني ولم نظرت الى
غفلة اخوته ولم تنظر الى حفظي له وعن الباقر عم قال قال رسول الله صلعم قال الله عز وجل
لا يتكل العاملون على اعمالهم التي يعملونها لثوابي فانهم لو اجتهدوا واتعبوا
انفسهم واعمارهم في عبادتي كانوا مقصرين غير بالغين في عبادتهم كنه
عبادتي فيما يطلبون عندي من كرامتي والنعيم في جناتي ورفيع الدرجات
العلى في جواري ولكن برحمتي فليثقوا وفضلي فليرجوا والى حسن الظن بي فليطمئنوا
فان رحمتي عند ذلك تدركهم ومني يبلغهم رضواني ومغفرتي تلبسهم
عفوي فاني انا الله الرحمن الرحيم وبذلك تسميت وعنه عم قال وجدنا في كتاب تسميت
علي عم ان رسول الله صلعم قال وهو على منبره والذي لا اله الا هو ما اعطي
مؤمن قط خير الدنيا والاخرة الا بحسن ظنه بالله ورجائه له وحسن
خلقه والكف عن اغتياب المؤمنين والذي لا اله الا هو لا يعذب الله مؤمنا
بعد التوبة والاستغفار الا بسوء ظنه بالله وتقصيره من رجائه وسوء خلقه
واغتيابه للمؤمنين والذي لا اله الا هو لا يحسن ظن عبد مؤمن بالله الا كان الله
عند ظن عبده المؤمن لان الله كريم بيده الخيرات يستحيي ان يكون عبده
المؤمن قد احسن به الظن ثم يخلف ظنه ورجاءه فاحسنوا بالله الظن
وارغبوا اليه وعن الصادق عم حسن الظن بالله ان لا ترجو الا الله ولا تخاف

الا ذنبك والطريق الى تحصيل الرجا ذكر سوابق فضل الله سبحانه ومن شفيع
وعد من جزيل ثوابه من دون استحقاق وما انعم به في الدارين من دون سؤال
وسعة الرحمة وسبقها الغضب والاخبار الواردة في سعة رحمته سبحانه اكثر
من ان تحصى ولا حاجة بنا الى ذكرها الان المحتاج الى تحصيل الرجاء من غلب عليه
الخوف او الياس وقليل ما هم واما المنهمكون في طغيان الذنوب والمغترون
بما هم فيه من الفساد والعيوب كاكثر ابناء زماننا فلو ازداد سماعهم لما الآن في
طغيانهم تماديا وفي فسادهم فسادا **فصل** اعلم ان الرجاء محمود الى حد
فان جاوز ذلك الى الامن فهو خسران ولا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون وكذا
الخوف محمود الى حد فان جاوز ذلك الى القنوط فهو ضلال ومن يقنط من رحمة ربه الا
الضالون او الياس فهو كفر ولا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون والا
صلح ان يعتدلا كما قال امير المؤمنين عم لبعض ولده يا بني خف الله خوفا ترى انك
لو اتيته بحسنات اهل الارض لم يتقبلها منك وارج الله رجاء كانك لو اتيته
بسيئات اهل الارض غفرها لك وعن الباقر عم ليس من عبد مؤمن الا وفي قلبه
نوران نور خيفة ونور رجاء لو وزن هذا لم يزد على هذا ولو وزن هذا لم يزد
على هذا وقد جمع الله سبحانه بينهما في وصف من اثنى عليهم فقال يدعون ربهم
خوفا وطمعا وقال يدعوننا رغبا ورهبا واما غلبة الرجاء فغالب الناس فيستندها
الاغترار وقلة المعرفة بل الاصلح لهم قبل الاشراف على الموت غلبة الخوف واما
عند الموت فالاصلح لهم غلبة الرجاء وحسن الظن لان الخوف جار مجرى السوط
الباعث على العمل وقد انقضى وقت العمل وهو لا يطيق هناك اسباب الخوف
لانها تقطع نياط قلبه وتعين على تعجيل موته واما روح الرجا فانه يقوي قلبه
ويحبب اليه ربه الذي اليه رجاؤه وينبغي ان لا يفارق احد الدنيا الا محبا لله

يكون

ليكون محبا للقائه فان من احب لقاء الله احب الله لقاءه ومن قدم على محبوبه عظم
سروره بقدر محبته ومن فارق محبوبه اشتدت محنته وعذابه فمهما كان الغالب
على القلب عند الموت حب الاهل والولد والمال والمسكن والعقار والاصحاب كانت
محابه كلها في الدنيا فكانت الدنيا جنته فكان موته خروجا من الجنة وحيلولة
بينه وبين ما يشتهيه فاما اذا لم يكن له محبوب سوى الله وسوى ذكره ومعرفته
والفكر فيه فالدنيا وعلائقها شاغلة له عن المحبوب فالدنيا اذن سجنه وموته
قدوم على محبوبه وخلاص له من السجن فلا تخفى غاية السعادة ان يموت العبد
محبا لله **فصل** اعلم ان الخوف من الله تعالى على مقامين احدهما الخوف
من عذابه وهو خوف عموم الخلق وهو حاصل باصل الايمان بالجنة والنار
وكونهما جزائين على الطاعة والمعصية وضعفه بسبب الغفلة وبسبب ضعف
الايمان وانما يزول الغفلة بالتذكير والوعظ وملازمة الفكر في اهوال القيامة
واصناف العذاب في الاخرة ويزيد ايضا بالنظر الى الخائفين ومجالستهم
ومشاهدة احوالهم فان فاتت المشاهدة فالسماع لا يخلو من تاثير والثاني
وهو الاعلى ان يكون الله هو المخوف اعني ان يخاف البعد والحجاب منه
ويرجو القرب منه وهو للعلماء وارباب القلوب والعارفين من صفاته ما يقتضي
الهيبة والخوف والمطلعين على سر قوله ويحذركم الله نفسه وقوله
واتقوا الله حق تقاته وقال الله سبحانه انما يخشى الله من عباده العلماء
وقال رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه وقال النبي ص راس
الحكمة مخافة الله وفي الدعاء المنسوب الى السجاد ع سبحانك عجبا لمن عرفك
كيف لا يخافك وقال الصادق ع من عرف الله خاف الله ومن خاف الله سخت
نفسه عن الدنيا وقال ان من العبادة شدة الخوف من الله يقول الله تعالى انما

يجعل
يخشى الله من عباده العلماء وقال تعالى فلا تخشوا الناس واخشون وقال من يتق الله
له مخرجا وقال ان حب الشرف والذكر لا يكونان في قلب الخائف الراهب وقال
المؤمن بين مخافتين ذنب قد مضى لا يدري ما صنع الله فيه وعمر قد بقي لا
يدري ما يكتسب فيه من المهالك فهو لا يصبح الا خائفا ولا يصلحه الا الخوف وقال
لا يكون المؤمن مؤمنا حتى يكون خائفا راجيا ولا يكون خائفا راجيا حتى يكون عاملا
لما يخاف ويرجو وقال لاسحق بن عمار يا اسحق خف الله كانك تراه وان
كنت لا تراه فانه يراك وان كنت ترى انه لا يراك فقد كفرت وان كنت تعلم انه
يراك ثم برزت له بالمعصية فقد جعلته من اهون الناظرين اليك وقال
من خاف الله اخاف الله منه كل شيء ومن لم يخف الله اخافه الله من كل شيء
وعن النبي ص ما من مؤمن تخرج من عينيه دمعة وان كانت مثل راس الذباب
من خشية الله ثم يصيب شيئا من حر وجهه الا حرمه الله على النار وقال اذا
اقشعر قلب المؤمن من خشية الله تحاطت عنه خطاياه كما يتحاط من الشجر
ورقها وروى الصدوق في عرض المجالس عن ابي سليم قال سمعت رجلا
من الانصار يقول بينما رسول الله ص مستظل بظل شجرة في يوم شديد الحر اذ جاء
رجل فنزع ثيابه ثم جعل يتمرغ في الرمضاء يكوي ظهره مرة وبطنه مرة وجبهته
مرة ويقول يا نفس ذوقي فما عند الله اعظم مما صنعت بك ورسول الله ص
ينظر اليه ما يصنع ثم ان الرجل لبس ثيابه ثم اقبل فاومى اليه النبي ص بيده
دعاه فقال له يا عبد الله لقد رايتك صنعت شيئا ما رايت احدا من الناس
صنعه فما حملك على ما صنعت فقال الرجل حملني على ذلك مخافة الله وقلت
لنفسي يا نفس ذوقي فما عند الله اعظم مما صنعت بك فقال النبي ص لقد خفت
ربك حق مخافته وان ربك ليباهي بك اهل السماء ثم قال لاصحابه يا معشر من

ح

حضر ادنوا من صاحبكم حتى يدعو لكم فدنوا منه فدعا لهم وقال اللهم اجمع امرنا على
الهدى واجعل التقوى زادنا والجنة مآبنا وحديث بهلول النباش مشهور
وفي الكتاب المذكور مذكور وعن الباقر ع قال صلى امير المؤمنين ع بالناس الصبح
بالعراق فلما انصرف وعظهم فبكى وابكاهم من خوف الله ثم قال اما والله لقد
عهدت اقواما على عهد خليلي رسول الله ص وانهم ليصبحون ويمسون شعثا
غبرا خمصا بين اعينهم كركب المعزى يبيتون لربهم سجدا وقياما يراوحون بين
اقدامهم وجباههم يناجون ربهم في فكاك رقابهم من النار والله لقد
رايتهم مع هذا وهم خائفون مشفقون وفي رواية اخرى كان زفير النار في
آذانهم اذا ذكر الله عندهم مادوا كما يميد الشجر كانما القوم باتوا غافلين قال
ثم قام فما رؤي ضاحكا حتى قبض ع واما خوف الملائكة والانبياء والاولياء
والائمة الهدى كخوف ميكائيل وجبرئيل ونبينا وابراهيم الخليل وداود ويحيى
والسجاد وغيرهم صلوات الله عليهم فقد ذكره المحدثون في كتبهم فليرجع اليها
من اراد فان هذا الكتاب لا يحتمل التطويل بذكره **فصل** اعلم ان الخوف
لا يتحقق الا بانتظار مكروه والمكروه اما ان يكون مكروها في ذاته كالنار واما
ان يكون مكروها لانه يفضي الى المكروه كما تكره المعاصي لادائها الى مكروه في
الآخرة ولا بد لكل خائف من ان يتمثل في نفسه مكروها من احد القسمين ويقوى
انتظاره في قلبه حتى يحترق قلبه بسبب استشعاره ذلك المكروه ومقام الخائفين
يختلف فيما يغلب على قلوبهم من المكروهات المحذورة اما الخائفون مما يغلب على
قلوبهم من المكروه لغيره لا لذاته فمنهم من يغلب عليه خوف الموت قبل التوبة او خوف
نقض التوبة او خوف ضعف القوة عن الوفاء بتمام حقوق الله او خوف زوال رقة
القلب وتبدلها بالقساوة او خوف الميل عن الاستقامة او خوف استيلاء العادة

في اتباع الشهوات المالوفة ان يكله الله الى حسناته التي اتكل عليها وتعزز بها في
عباد الله او خوف البطر بكثرة نعم الله عليه او خوف الاشتغال عن الله بغير الله او خوف
الاستدراج بتواتر النعم او خوف انكشاف غوائل طاعته حتى يبدو له من الله ما
لم يكن يحتسب او خوف تبعات الناس عنده في الغيبة والخيانة والغش واضمار
السوء او خوف ما لا يدري انه يحدث في بقية عمره او خوف تعجيل العقوبة في الدنيا
والافتضاح قبل الموت او خوف الاغترار بزخارف الدنيا او خوف اطلاع الله على
سريرته في حال غفلته عنه او خوف الختم له عند الموت بخاتمة السوء او خوف الشقاوة
التي سبقت له في الازل فهذه كلها مخاوف العارفين ولكل منها فائدة خاصة
وهو سلوك سبيل الحذر عما يفضي الى المخوف فمن يخاف استيلاء العادة عليه
فيواظب على الفطام عن العادة والذي يخاف من اطلاع الله على سريرته يشتغل
بتطهير قلبه من الوساوس وهكذا الى بقية الاقسام واغلب هذه المخاوف على
المتقين خوف الخاتمة فان الامر فيه مخطر واعلى الاقسام وادلها على كمال المعرفة خوف
السابقة لان الخاتمة فرع السابقة تتفرع عنها بعد تخلل اسباب كثيرة فالخاتمة
يظهر ما سبق في القضاء في ام الكتاب واليه الاشارة بما رواه الصادق ع قال
خطب رسول الله ص الناس ثم رفع يده اليمنى قابضا على كفه ثم قال اتدرون
ايها الناس ما في كفي قالوا الله ورسوله اعلم قال اسماء اهل الجنة واسماء
ابائهم وقبائلهم الى يوم القيمة ثم رفع يده الشمال فقال ايها الناس اتدرون ما في
كفي قالوا الله ورسوله اعلم فقال اسماء اهل النار واسماء ابائهم وقبائلهم الى
يوم القيمة ثم قال حكم الله وعدل حكم الله وعدل حكم الله وعدل فريق في الجنة
وفريق في السعير وعنه ع قد يسلك بالسعيد في طريق الاشقياء حتى
يقول الناس ما اشبهه بهم بل هو منهم ثم تتداركه السعادة وقد يسلك

بالشقي طريق السعداء حتى يقول الناس ما اشبهه بهم بل هو منهم ثم تتداركه
الشقاوة ان من كتبه الله سعيدا وان لم يبق من الدنيا الا فواق ناقة ختم له
بالسعادة واما الخائفون مما يغلب على نفوسهم من المكروه لذاته فمنهم من
يغلب عليه الخوف وسكرات الموت وشدته او سؤال منكر ونكير او عذاب
القبر او هول المطلع او هيبة الموقف بين يدي الله والحياء من كشف
الستر والسؤال عن النقير والقطمير او الخوف من الصراط وحدته وكيفية
العبور عليه او الخوف من النار واغلالها واهوالها او الخوف من الحرمان
عن الجنة دار النعيم والملك المقيم ومن نقصان الدرجات او الخوف من
الحجاب عن الله وهو اعلاها رتبة وهو خوف العارفين وما قبله خوف
العابدين والزاهدين وكافة العاملين ولا يخفى ان فضيلة الشيء بقدر اعانته
على السعادة ولا سعادة كسعادة لقاء الله ولا وصول اليها الا بتحصيل
محبته والانس به في الدنيا ولا يحصل المحبة الا بالمعرفة ولا يحصل
المعرفة الا بدوام الفكر ولا يحصل الانس الا بالمحبة ودوام الذكر
ولا يتيسر المواظبة على الذكر والفكر الا بانقلاع حب الدنيا من القلب و
لا ينقلع ذلك الا بترك لذات الدنيا وشهواتها ولا يمكن ترك المشتهيات
الا بقمع الشهوات ولا ينقمع الشهوة بشيء كما ينقمع بنار الخوف فالخوف هو
النار المنقمع للشهوات فاذن فضيلته بقدر ما يحرق من الشهوة و
بقدر ما يكف عن المعاصي ويحث على الطاعات ويختلف باختلاف درجات
الخوف كما بيناه **فصل** اعلم ان لسوء الخاتمة اسبابا مختلفة و
ترجع الى ثلثة اما السبب الاول وهو الاعظم فهو ان يغلب على القلب عند سكرات
الموت وظهور اهواله اما الشك واما الجحود فيقبض الروح في تلك الحالة

فيصير حجابا بينه وبين الله تعالى ابدا وذلك يقتضي البعد الدائم والعذاب المخلد
سبب ذلك ان يعتقد الرجل في ذات الله وصفاته وافعاله خلاف الحق اما برايه
ومعقوله واما بالتقليد فينكشف له عند سكرات الموت بطلان ما اعتقده
جهلا اذ حال الموت حال كشف الغطاء فيكون انكشاف بعض اعتقاداته عن
الجهل سببا لبطلان بقية اعتقاداته او الشك فيها فان اتفق زهوق روحه
في هذه الخطرة قبل ان يثبت الحاصل الايمان فقد ختم له بالسوء وخرجت روحه
على الشرك نعوذ بالله تعالى وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون وقوله تعالى هل ننبئكم
بالاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم في الحيوة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون
صنعا والبله بمعزل عن هذا الخطر اعني الذين امنوا بالله ورسوله واليوم الاخر
ايمانا مجملا ولذلك ورد ان اكثر اهل الجنة البله وورد المنع من البحث والنظر اهلها
والخوض في الكلام والاكتفاء بظواهر الشرع مع اعتقاد نفي التشبيه وذلك
لان الخطر في البحث عن الصفات عظيم وعقباته كؤودة ومسالكه وعرة
والعقول عن درك جلال الله قاصرة وهداية الله بنور اليقين عن القلوب
بما جبلت عليه من حب الدنيا محجوبة وما ذكره الباحثون ببضاعة عقولهم
المزجاة مضطرب ومتعارض والقلوب لما القي اليها في مبدء النشو الفة وبه متعلقة ومتعارض
والتعصبات الثائرة بين الخلق مسامير مؤكدة للعقائد الموروثة او المأخوذة بحسن
الظن من المعلمين في اول الامر ثم الطباع بحب الدنيا مشغوفة وعليها مقبلة
وشهوات الدنيا بمخنقها اخذة وعن تمام الفكر صارفة فاذا فتح باب الكلام في
الله وفي صفاته بالراي والمعقول مع تفاوت الناس في قرائحهم واختلافهم
في طباعهم وحرص كل جاهل منهم على ان يدعي الكمال والاحاطة بكنه الحق انطلقت
السنتهم بما يقع لكل منهم وتعلق ذلك بقلوب المصغين اليهم وتأكد ذلك

بطول الالف فيهم وانسد بالكلية طريق الخلاص عنهم فكانت سلامة الخلق في
ان يشتغلوا بالاعمال الصالحة ولا يتعرضوا لما هو خارج عن حد طاقتهم الا من
فقهه الله في الدين وعلمه التاويل واشرق نور الحكمة في قلبه وذلك هو الكبريت
الاحمر واما السبب الثاني فهو ضعف الايمان في الاصل ثم استيلاء حب
الدنيا على القلب ومهما ضعف الايمان ضعف حب الله وقوي حب الدنيا فتصير
بحيث لا يبقى في القلب موضع لحب الله الا من حيث حديث النفس ولا يظهر له اثر
في مخالفة النفس والعدول عن طريق الشيطان فيورث ذلك الانهماك في اتباع
الشهوات حتى يظلم القلب ويقسو ويسود وتتراكم ظلمة الذنوب على القلب ولا
يزال يطفئ ما فيه من نور الايمان حتى يصير طبعا ورينا فاذا جاءت سكرات الموت
ازداد حب الله ضعفا لما يبدو من استشعار فراق الدنيا وهي المحبوبة الغالبة
على القلب فيتالم القلب باستشعار فراق الدنيا ويرى ذلك من الله فيختلج ضميره
بانكار ما قدر الله من الموت فيخشى ان يثور في باطنه بغض الله بدل الحب فان
اتفق زهوق روحه في تلك اللحظة التي خطر فيها هذه الخطرة فقد ختم له بالسوء
فمن وجد في قلبه حب الله اغلب من حب الدنيا وان كان يحب الدنيا ايضا فهو ابعد
من هذا الخطر ولا يحب الله الا من عرفه ولذلك قال الله تعالى قل ان كان اباؤكم وابناؤكم
واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم واموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها
ومساكن ترضونها احب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى ياتي
الله بامره واما السبب الثالث فكثرة المعاصي وان قوي الايمان وذلك لان
مقارفة المعاصي سببها غلبة الشهوات ورسوخها في القلب بكثرة الالف والعادة
وجميع ما الفه الانسان في عمره يعود ذكره الى قلبه عند موته فان كان ميله الاكثر
الى الطاعات كان اكثر ما يحضره عند الموت طاعة الله وان كان ميله الاكثر الى

المعاصي غلب على قلبه عند الموت ذكر المعاصي فربما يقبض روحه عند غلبة شهوة
من شهوات الدنيا ومعصية من المعاصي فيقيد بها قلبه ويصير محجوبا عن الله فالذي
لا يقارف الذنب الا الفينة بعد الفينة فهو ابعد عن هذا الخطر وذلك لانه كما ان
الانسان يرى في منامه جملة من الاحوال التي عهدها طول عمره والف بها حتى انه
لا يرى الا ما يماثل مشاهداته في اليقظة فكذلك حاله عند سكرات الموت وما يتقدمه
من الغشية فانه شبيه بالنوم قريب منه فيقتضي ذلك تذكر المألوفات وعودها
الى القلب فربما يكون غلبة الالف سببا لان يتمثل صورة فاحشة في قلبه ويميل
نفسه اليها فربما يقبض عليها روحه فيكون ذلك سوء خاتمته وان كان اصل الايمان
باقيا ومن اراد ان يكف خاطره عن الاشتغال الى المعاصي والشهوات فلا طريق
له الا المجاهدة طول العمر في فطام نفسه عنها وفي قمع الشهوات من القلب
فهذا هو القدر الذي يدخل تحت الاختيار ويكون طول المواظبة على الخير وتخلية
الفكر عن الشواغل عدة وذخيرة لحالة سكرات الموت فان المرء يموت على ما عاش
عليه ويحشر على ما مات عليه كما ورد في الخبر ولذلك نقل عن بقال انه كان يلقن
عند الموت كلمتي الشهادة وهو يقول خمسة ستة اربعة وكان مشغول القلب
بالحساب الذي طال الفه له قبل الموت وانما المخوف عند الموت خاطر سوء يخطر
فقط وهو الذي قال رسول الله صلعم ان الرجل ليعمل بعمل اهل الجنة خمسين سنة
حتى لا يبقى بينه وبين الجنة الا فواق ناقة فيختم له بما سبق به الكتاب ولا
يتسع فواق ناقة لاعمال توجب الشقاوة بل هي الخواطر التي تضطرب وتخطر خطور
البرق الخاطف فلهذا عظم خوف العارفين من سوء الخاتمة لانه لو اراد الانسان
ان لا يرى في المنام الا احوال الصالحين واحوال الطاعات والعبادات عسر عليه ذلك
وان كان كثرة الصلاح والمواظبة عليه مما يؤثر فيه ولكن اضطرابات الخيال

لا يدخل

لا يدخل بالكلية تحت الضبط وان كان الغالب مناسبة ما يظهر في النوم لما غلب
في اليقظة وقد عرفت بهذا ان اعمال المرء كلها ضايعة ان لم يسلم في النفس الاخير
الذي عليه خروج الروح وان السلامة مع اضطراب امواج الخواطر مشكل جدا
ومن هنا قيل لا اعجب ممن هلك كيف هلك ولكني اعجب ممن نجا كيف نجا ولاجل
هذا الخطر العظيم كانت الشهادة مغبوطا عليها وموت الفجاة مكروها اما موت
الفجاة فلانه ربما يتفق عند غلبة خاطر سوء واستيلائه على القلب واما الشهادة
فلانها عبارة عن قبض الروح في حالة لم يبق في القلب سوى حب الله وخرج حب
الدنيا والاهل والمال والولد اذ لا يهجم على صف القتال موطنا نفسه على الموت الا محبا
لله وطالبا لمرضاته وبايعا دنياه باخرته وراضيا بالبيع الذي بايعه الله به اذ قال تعالى
ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة الآية **الباب
الرابع** في المحبة والانس اعلم ان المحبة هي الغاية القصوى من المقامات
والذروة العليا من الدرجات فما بعدها مقام الا وهو ثمرة من ثمراتها كالشوق و
الانس والرضا ولا قبلها مقام الا وهو مقدمة من مقدماتها كالصبر والزهد وساير الطا مات ٢
وان عز وجودها فلم تخل القلوب عن الايمان بامكانها فاما محبة الله عز وجل فقد
عز الايمان بها حتى انكر بعض اهل العلم امكانها وقال لا معنى لها الا المواظبة على
طاعة الله عز وجل واما حقيقة المحبة فمحال الا مع الجنس والمثل ولما انكروا
المحبة انكروا الانس والشوق ولذة المناجاة وساير لوازم الحب وتوابعه مع
ان ما في القرآن والحديث وحكايات المحبين ما هو نص على ثبوت حقيقة
المحبة ولوازمها لله عز وجل من غير قبول للتاويل فمن شواهد
القرآن في حب الله عز وجل قوله يحبهم ويحبونه وقوله والذين آمنوا
اشد حبا لله وقوله قل ان كان اباؤكم وابناؤكم واخوانكم الى قوله احب اليكم

من الله ورسوله الآية وقال النبي لا يؤمن احدكم حتى يكون الله ورسوله احب
اليه مما سواهما وقال في دعائه اللهم ارزقني حبك وحب من يحبك وحب
ما يقربني الى حبك واجعل حبك احب الي من الماء البارد وفي الخبر
المشهور ان ابرهيم ع قال لملك الموت اذ جاءه لقبض روحه هل رايت
خليلا يميت خليله فاوحى الله اليه هل رايت محبا يكره لقاء حبيبه فقال
يا ملك الموت الان فاقبض وفي مناجات موسى يا ابن عمران كذب من زعم
انه يحبني فاذا جنه الليل نام عني اليس كل محب يحب خلوة حبيبه ها انا ذا
يا ابن عمران مطلع على احبائي اذا جنهم الليل حولت ابصارهم الى من قلوبهم
ومثلت عقوبتي بين اعينهم يخاطبوني عن المشاهدة ويكلموني عن الحضور
يا ابن عمران هب لي من قلبك الخشوع ومن بدنك الخضوع ومن عينيك الدموع
في ظلم الليل فانك تجدني قريبا وروينا ان عيسى ع مر بثلثة نفر وقد
نحلت ابدانهم وتغيرت الوانهم فقال لهم ما الذي بلغ بكم ما ارى فقالوا
الخوف من النار فقال حق على الله ان يؤمن الخائف ثم جاوزهم الى ثلثة
اخرى فاذا هم اشد نحولا وتغيرا فقال ما الذي بلغ بكم ما ارى قالوا الشوق
الى الجنة قال حق على الله ان يعطيكم ما ترجون ثم جاوزهم الى ثلثة اخرى
فاذا هم اشد نحولا وتغيرا كان على وجوههم المرايا من النور فقال ما الذي
بلغ بكم ما ارى قالوا حب الله عز وجل فقال انتم المقربون وفي علل الشرايع عن
نبينا ان شعيبا ع بكى من حب الله عز وجل حتى عمي فرد الله عليه بصره
ثم بكى حتى عمي فرد الله عليه بصره ثم بكى حتى عمي فرد الله عليه بصره فلما
كان الرابعة اوحى الله اليه يا شعيب الى متى يكون هذا ابدا منك ان يكن
هذا خوفا من النار فقد اجرتك وان يكن شوقا الى الجنة فقد ابحتك فقال الهي

وسيدي انت تعلم اني ما بكيت خوفا من نارك ولا شوقا الى جنتك ولكن عقد
حبك على قلبي فلست اصبر او اراك فاوحى الله جل جلاله اما اذا كان هذا
هكذا فمن اجل هذا ساخدمك كليمي موسى بن عمران وقال امير المؤمنين ع
في بعض ادعيته فهبني يا الهي وسيدي ومولاي وربي صبرت على عذابك
فكيف اصبر على فراقك وعن ابنه الحسين سيد الشهداء في دعائه يوم عرفه
انت الذي ازلت الاغيار عن قلوب احبائك حتى لم يحبوا سواك ولم يلجاوا
الى غيرك وقال يا من اذاق احباءه حلاوة المؤانسة فقاموا بين يديه
متملقين وفي مناجاة الانجيلية المنسوبة الى السجاد ع وعزتك لقد احببتك
محبة استقرت في قلبي حلاوتها وانست نفسي ببشارتها ومحال في عدل
اقضيتك ان تسد اسباب رحمتك عن معتقدي محبتك وفي مناجاة
الاخرى الهي فاجعلنا من الذين ترسخت اشجار الشوق اليك في حدائق
صدورهم واخذت لوعة محبتك بمجامع قلوبهم [illegible] والحقنا بعبادك الذين
هم بالبدار اليك يسارعون وبابك على الدوام يطرقون واياك في الليل
والنهار يعبدون وهم من هيبتك مشفقون الذين صفيت لهم المشارب
وبلغتهم الرغايب [illegible] وملات ضمايرهم من حبك ورويتهم من صافي شراب
ودك فبك الى لذيذ مناجاتك وصلوا ومنك على اقصى مقاصدهم حصلوا
ثم قال فيها انقطعت اليك همتي وانصرفت نحوك رغبتي فانت لا غيرك مرادي
ولك لا لسواك سهري وسهادي ولقاؤك قرة عيني ووصلك منى نفسي
واليك شوقي وفي محبتك ولهي والى هواك صبابتي ورضاك بغيتي و
رؤيتك حاجتي وجوارك طلبتي وقربك غاية سؤلي وفي مناجاتك
روحي وراحتي وعندك دواء علتي وشفاء غلتي وبرد لوعتي وكشف كربتي

ثم قال ولا يقطعني عنك ولا تباعدني منك يا نعيمي وجنتي ويا دنياي واخرتي
وقال بعضهم الهي من ذا الذي ذاق حلاوة محبتك فرام منك بدلا ومن ذا الذي
انس بقربك فابتغى عنك حولا الهي فاجعلني ممن اصطفيته لقربك وولايتك
واخلصته لودك ومحبتك وشوقته الى لقائك وارضيته بقضائك
ومنحته بالنظر الى وجهك وحبوته برضاك واعذته من هجرك وقلاك
ثم قال وهيمت قلبه لارادتك واجتبيته لمشاهدتك واخليت وجهه لك
وفرغت فؤاده لحبك ثم قال اللهم اجعلنا ممن دابهم الارتياح اليك و
الحنين ودهرهم الزفرة والانين وجباههم ساجدة لعظمتك وعيونهم
ساهرة في خدمتك ودموعهم سائلة من خشيتك وقلوبهم معلقة بمحبتك وافئدتهم منخلعة من هيبتك
يا من انوار قدسه لابصار محبيه رائقة وسبحات نور وجهه لقلوب عارفيه
شائقة يا منتهى قلوب المشتاقين ويا غاية امال المحبين اسالك حبك وحب
من يحبك وحب كل عمل يوصل الى قربك وان تجعلك احب الي ممن سواك
وقال بعضهم الهي ما الذ خواطر الالهام بذكرك على القلوب وما احلا المسير
اليك في مسالك الغيوب وما اطيب طعم حبك وما اعذب شرب قربك
وقال وغلتي لا يبردها الا وصلك ولوعتي لا يطفئها الا لقاؤك وشوقي
اليك لا يبله الا النظر الى وجهك وقراري لا يقر دون دنوي منك ولهفتي لا
يردها الا روحك وسقمي لا يشفيه الا طبك وغمي لا يزيله الا قربك وجرحي لا يبرئه
الا صفحك وصدأ قلبي لا يجلوه الا عفوك ووسواس صدري لا يزيحه الا امرك
وامثال هذا في ادعيتهم اكثر من ان تحصى وعن امير المؤمنين ع ان لله تعالى
شرابا لاوليائه اذا شربوا سكروا واذا سكروا طربوا واذا طربوا طابوا واذا طابوا
ذابوا واذا ذابوا خلصوا واذا خلصوا طلبوا واذا طلبوا وجدوا واذا

وجدوا

وجدوا وصلوا واذا وصلوا اتصلوا واذا اتصلوا لا فرق بينهم وبين حبيبهم

فصل اعلم ان الحب عبارة عن الميل الى الشيء الملذ وانما يحصل بعد
المعرفة بذلك الشيء وادراكه اما بالحواس او بالقلب وكلما كان المعرفة به اقوى
واللذة اشد كان الحب اقوى والبصيرة الباطنة اقوى من البصر الظاهر
والقلب اشد ادراكا من العين وجمال المعاني المدركة بالعقل اعظم من جمال
الصور الظاهرة للابصار فيكون لا محالة لذة القلوب بما تدركه من الامور الشريفة
الالهية التي تجل من ان يدركها الحواس اتم وابلغ فيكون ميل الطبع السليم
والعقل الصحيح اليه اقوى فلا ينكر اذن حب الله تعالى الا من قعد به القصور في
درجة البهائم فلم يجاوز ادراكه الحواس وكما ان الانسان يحب نفسه وكمال
نفسه وبقاء نفسه ويحب غيره لاجل نفسه وكمال نفسه وبقاء نفسه فكذلك
قد يحب غيره لذاته لا لحظ ينال منه وراء ذاته بل يكون ذاته عين حظه وهذا
هو الحب الحقيقي البالغ الذي يوثق به وذلك كحب الجمال والحسن فان كل
جمال فهو محبوب عند مدرك الجمال وذلك لعين الجمال لان ادراك الجمال عين
اللذة واللذة محبوبة لذاتها لا لغيرها ولا تظنن ان حب الصور الجميلة لا
يتصور الا لاجل قضاء الشهوة فان قضاء الشهوة لذة اخرى قد يحب الصور
الجميلة لاجلها وادراك نفس الجمال ايضا لذيذ فيجوز ان يكون محبوبا لذاته و
كيف ينكر ذلك والخضرة والماء الجاري محبوبان لا لان يشرب الماء او يوكل الخضرة
او ينال منهما حظ سوى نفس الرؤية وكان رسول الله ص يعجبه الخضرة و
الماء الجاري والانسان والاطيار المليحة الالوان الحسنة النقش المتناسبة الشكل حتى ان الا
لينفرج عنه الغموم بالنظر اليها لا لطلب حظ وراء النظر ثم الحسن والجمال
ليس مقصورا على مدركات البصر ولا على تناسب الخلقة اذ يقال هذا

الثاني الى الطباع السليمة فانه
استيلاء الثاني الى الاول اكثرها

صوت حسن وهذا خلق حسن وهذا علم حسن وهذه سيرة حسنة وليس
شئ من هذه الصفات تدرك بالبصر بل وليس الحسن والجمال مقصورا
على مدركات الحواس بل كثير من خلال الخير مدرك بنور البصيرة الباطنة
واية ذلك ان الطباع السليمة مجبولة على حب الانبياء والائمة ع مع
انهم لم يشاهدوهم حتى ان الرجل قد يجاوز حبه لصاحب مذهبه
حد العشق فيحمله ذلك على ان ينفق جميع امواله في نصرة مذهبه والذب
عنه ويخاطر بروحه في قتال من يطعن في امامه ومتبوعه وجملة خلال
الخلال الخفية ترجع الى العلم والقدرة وهما محبوبان بالطبع وغير مدركين بالحواس بل
لما وصف الناس حاتما بالسخاء وعليا بالشجاعة احبتهما القلوب حبا ضروريا وليس
ذلك من نظر الى صورة محسوسة ولا عن حظ يناله المحب منهما ومن كانت البصيرة
الباطنة اغلب عليه من الحواس الظاهرة كان حبه للمعاني الباطنة اكثر من حبه
للمعاني الظاهرة ثم كل محب اما ان يحب نفسه او يحب غيره ومحبة الغير اما لحسنه
وجماله او لاحسانه وكماله او لمجانسة بينه وبين المحب اما محبة النفس فهي اشد
واقوى لان المحبة انما تكون بقدر الملائمة والمعرفة ولا شئ اشد ملائمة
لاحد من نفسه ولا هو بشئ اقوى معرفة منه بنفسه ولهذا جعل معرفة
نفسه مفتاحا لمعرفة ربه ووجود كل احد فرع لوجود ربه وظل له فمحبة نفسه تتبع
محبة ربه وان لم يشعر المحب به واما محبة الغير لحسنه وجماله او لقربه من الله
وكماله فلذلك لان الجمال محبوب لذاته سواء الجمال الظاهر الصوري او الباطن المعنوي
وكذا الكمال والله هو الجميل لذاته والكامل بذاته وكل مليح فحسنه من جماله وكل
كامل فكماله فرع كماله فما احب احد غير خالقه ولكنه احتجب عنه تحت برقع
الاحباب واستار الاسباب والكلام في محبة الغير لاحسانه فان الاحسان

ايض

ايضا محبوب لذاته سواء كان متعديا الى المحب ام لا ولا احسان الا من الله ولا محسن
سوى الله جل شانه فانه خالق الاحسان وذويه وجاعل اسبابه ودواعيه
وكل محسن فهو حسنة من حسنات قدرته وحسن فعاله وقطرة من بحار كماله و
افضاله واما محبة الغير للمجانسة فذلك لان الجنس يميل الى الجنس سواء
كانت المجانسة لمعنى ظاهر كما ان الصبي يميل الى الصبي لصباه او لمعنى خفي كما يتفق
بين شخصين من غير ملاحظة جمال ولا طمع في جاه او مال فان الارواح جنود
مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف وهذه المحبة فرع محبة
النفس فترجع الى محبة الله كما عرفت فعلى كل وجه ما متعلق المحبة الا الله
الا انه لا يعرف ذلك الا اولياؤه واحباؤه كما اشار اليه سيد الشهداء ع في
دعاء عرفة بقوله وانت الذي ازلت الاغيار عن قلوب احبائك حتى لم يحبوا
سواك ولم يلجأوا الى غيرك فسبحان من احتجب عن ابصار العميان غيرة على جماله
وجلاله ان يطلع عليه الا من سبقت له منه الحسنى الذين هم عن نار الحجاب
مبعدون وترك الخاسرين في ظلمات العمى يتيهون وفي مسارح المحسوسات
وشهوات البهائم يترددون يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا وهم عن الاخرة هم
غافلون الحمد لله بل اكثرهم لا يعلمون **فصل** اعلم ان اجل اللذات واعلاها
معرفة الله تعالى والنظر الى وجهه الكريم وانه لا يتصور ان يؤثر عليها لذة اخرى
الا من حرم هذه اللذة وذلك لان اللذة تابعة للادراكات والانسان جامع
لجملة من القوى والغرائز ولكل قوة وغريزة لذة ولذتها في نيلها مقتضى طبعها
التي خلقت له فغريزة الغضب خلقت للتشفي والانتقام فلا جرم لذتها في الغلبة
والانتقام وغريزة شهوة الطعام خلقت لتحصيل الغذاء الذي به القوام فلا جرم
لذتها في نيل الغذاء وهكذا سائر الغرائز وفي القلب غريزة تسمى بالبصيرة الباطنة

وقد تسمى نور الايمان واليقين يعلم بها حقايق الامور كلها فتقتضى طبعها المعرفة
والعلم والعلم من اخص صفات الربوبية وهو منتهى الكمال ولذلك يرتاح
الطبع اذا اثنى عليه بالذكاء وغزارة العلم لانه يستشعر عند سماع الثناء كمال
ذاته وجمال علمه فيعجب بنفسه ويلتذ به ثم ليس لذة العلم بالحراثة والخياطة
كلذة العلم بسياسة الملك ولا لذة العلم بالنحو والشعر كلذة العلم بالله وصفاته
وملائكته ملكوت السموات والارض بل لذة العلم بقدر شرف العلم وشرف العلم
بقدر شرف المعلوم فان كان في المعلومات ما هو الاجل والاكمل والاشرف
الاعظم فالعلم به الذ العلوم لا محالة واشرفها واطيبها وليت شعري هل في الوجود شيء
اجل واعلى واشرف واكمل من خالق الاشياء كلها ومكملها ومربيها ومبديها
معيدها ومدبرها ومرتبها فينبغي ان يعلم ان لذة المعرفة بالله اقوى من
سائر اللذات المقرونة بالشهوات المختلفة كانها منطوية تحت هذه اللذة
قيل شعر كانت لقلبي اهواء مفرقة فاستجمعت اذ رآتك العين اهوائي فصار
يحسدني من كنت احسده فصرت مولى الورى اذ صرت مولائي تركت للناس
دنياهم ودينهم شغلا بذكرك يا ديني ودنياي فصل اعلم انه لا فرق في الرؤية
بين الدنيا والاخرة فكما انه لا يجوز رؤيته الله سبحانه في الدنيا بالعين والبصر كذلك
لا يجوز رؤيته في الاخرة بالعين والبصر وكما انه يجوز رؤيته في الاخرة بالقلب
والبصيرة لاهل البصائر اعني الانكشاف التام الوضوح بحيث يتادى الى المشاهدة
واللقاء كذلك يجوز رؤيته في الدنيا بهذا المعنى والحجاب بينه وبين خلقه ليس
الا الجهل وقلة المعرفة دون الجسم فان اولياء الله لم يشاهدونه في الدنيا في جميع احوالهم
ومتصرفاتهم ليلهم ونهارهم كما قيل والشهداء منه بقدرهم وقال شهد الله انه لا اله الا هو
والملائكة واولوا العلم وقال الا من شهد بالحق وهم يعلمون فبقائم شهداء المشاهدة من جميع

احوالهم كما ذكر بقوله تعالى وانيما تولوا فثم وجه الله وقال هو الاول والاخر والظاهر
والباطن فوصفه بالظاهر وقال ما يكون من نجوى ثلثة الا هو رابعهم ولا خمسة
الا هو سادسهم ولا ادنى من ذلك ولا اكثر الا هو معهم فلما تحقق اولياء الله
بمعاني هذه الايات شاهدوه باعين قلوبهم سئل امير المؤمنين ع هل رايت ربك حين
عبدته فقال ويلك ما كنت اعبد ربا لم اره قيل وكيف رايته وقال ويلك لا تدركه
العيون في مشاهدة الابصار ولكن راته القلوب بحقايق الايمان وقال الحسين ع في سبيل
الشهداء كيف يستدل عليك بما هو في وجوده مفتقر اليك ايكون لغيرك من الظهور ما
ليس لك حتى يكون المظهر لك متى غبت حتى تحتاج الى دليل يدل عليك ومتى بعدت
حتى يكون الاثار هي التي توصل اليك عميت عين لا تراك ولا تزال عليها رقيبا وخسرت
صفقة عبد لم تجعل له من حبك نصيبا وقال ايضا تعرفت لكل شيء فانت الظاهر
لكل شيء فما جهلك شيء وقال تعرفت الي في كل شيء فرايتك ظاهرا في كل شيء فانت الظاهر
لكل شيء الى غير ذلك مما ورد عنهم ع في هذا المعنى نعم يمكن ان يزيد الانكشاف
في الاخرة بقدر ما زيادة صفاء القلوب وذكائها وتجردها عن العلايق الدنيوية
وروى شيخنا الصدوق طاب ثراه باسناده عن ابي بصير عن الصادق ع قال قلت له
اخبرني عن الله عز وجل هل يراه المؤمنون يوم القيمة قال نعم وقد راوه قبل يوم القيمة
قلت متى قال حين قال لهم الست بربكم قالوا بلى ثم سكت ثم قال ان المؤمنين ليرونه
في الدنيا قبل يوم القيمة الست تراه في وقتك هذا قال ابو بصير فقلت له جعلت فداك
فاحدث بهذا عنك فقال لا فانك اذا حدثت به فانكره منكر جاهل بمعنى ما تقول
ثم قدر ان ذلك تشبيه كفر وليست الرؤية بالقلب كالرؤية بالعين تعالى الله عما
يصفه المشبهون والملحدون اراد بالمشبهين والملحدين اصحاب التميمي و
العدوي فانهم يزعمون ان الله سبحانه يجوز رؤيته بهذه العين في الاخرة وان لم

تحت في الدنيا وان المؤمنين يرونه يوم القيمة بالبصر كما يرون القمر ليلة البدر وقد
سئل الصادق ع عما يروون من الرؤية فقال الشمس جزء من سبعين جزءا من نور
الكرسي والكرسي جزء من سبعين جزءا من نور العرش والعرش جزء من سبعين جزءا
من نور الحجاب والحجاب جزء من سبعين جزءا من نور الستر فان كانوا صادقين فليملأوا
اعينهم من الشمس ليس دونها سحاب **فصل** اعلم ان الطريق الى تحصيل
المحبة وتقويتها ثم استعداد الرؤية واللقاء تحصيل المعرفة وتقويتها وذلك
تطهير القلب من شواغل الدنيا وعلايقها والتبتل الى الله بالذكر والفكر ثم
اخراج حب غير الله منه فان القلب مثل الاناء لا يسع الخل مثلا ما لم يخرج منه
الماء وما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه وكمال الحب ان يحب الله بكل قلبه
وما دام يلتفت الى غيره فزاوية من قلبه مشغولة بغيره فبقدر ما يشتغل بغير الله ينقص
من حب الله الا ان يكون التفاته الى الغير من حيث انه صنع الله وفعل الله ومظهر
من مظاهر اسماء الله والى هذا التفريد والتجريد الاشارة بقوله تعالى قل الله ثم
ذرهم في خوضهم وبقوله ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا بل هو معنى
قولك لا اله الا الله اى لا معبود ولا محبوب سواه وكل محبوب فانه معبود فان
المعبود هو المتعبد له وكل محب فهو عبد لما يحبه ولذلك قال تعالى افرايت
من اتخذ الهه هواه وذلك انما يكون بغلبة الشوق وهو استكمال الوضوح
فيما اتضح اتضاحا ما والتشوق الى ما بقي من المطلوب مما لم يحصل فان الشوق
انما يتعلق بما ادرك من وجه ولم يدرك من وجه وهو انما يكون باحد الامرين
ولا نهاية له لان الانفتاح فيما يحصل لا نهاية لدرجاته وكذا الازدياد فيما بقي
من جماله وجلاله لا ساحل له بل مع حصول اصل الوصال يجد في نفسه شوقا
لذيذا لا يظهر فيه الم فالشوق لا يسكن قط ولا سيما فيما يرى فوقه درجات

كثرة

كثيرة يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم يقولون ربنا اتمم لنا نورنا وفي مصباح الشريعة قال
الصادق ع المشتاق لا يشتهي طعاما ولا يلتذ شرابا ولا يستطيب رقادا
ولا يانس حميما ولا ياوي دارا ولا يسكن عمرانا ولا يلبس لينا ولا يقر قرارا و
يعبد الله ليلا ونهارا راجيا بان يصل الى ما يشتاق اليه ويناجيه بلسان
شوقه معبرا عما في سريرته كما اخبر الله عن موسى بن عمران في ميعاد ربه
بقوله وعجلت اليك رب لترضى وفسر النبي ص عن حاله انه ما اكل ولا شرب
ولا نام ولا اشتهى شيئا من ذلك في ذهابه ومجيئه اربعين يوما شوقا الى ربه
فاذا دخلت ميدان الشوق فكبر على نفسك ومرادك من الدنيا ودع المالوفات
واحرم عن سوى مشوقك ولب بين حياتك وموتك لبيك اللهم لبيك و
اعظم الله تعالى اجرك ومثل المشتاق ومثل الغريق ليس له همة الا خلاصه
وقد نسي كل شي دونه والاخبار الواردة في شوق لقاء الله تعالى اكثر من ان
تحصى وقد مرت الاشارة الى بعضها في ادعية المعصومين **فصل** اعلم
ان الانسان اذا غلب عليه التطلع من وراء حجب الغيب الى منتهى الجمال واستشعر
قصوره عن الاطلاع على كنه الجلال انبعث القلب الى الطلب وانزعج له وهاج
اليه فسميت هذه الحالة في الانزعاج شوقا وهو بالاضافة الى امر غايب واذا
غلب عليه الفرح بالقرب ومشاهدة الحضور بما هو حاصل من الكشف وكان
نظره مقصورا على مطالعة الجمال الحاضر المكشوف غير ملتفت الى ما لم يدركه
بعد استبشر القلب بما يلاحظه فيسمى استبشاره انسا وان كان نظره الى
صفات العز والاستغناء وعدم المبالاة وخطر امكان الزوال والبعد تالم قلبه
بهذا الاستشعار فيسمى تالمه خوفا وهذه الاحوال تابعة لهذه الملاحظات فان
غلب الانس وتجرد عن ملاحظة ما غاب عنه وما يتطرق اليه من خطر الزوال عظم نعيمه

والانه ومن غلب عليه الانس بالله لم يكن شهوته الا في الانفراد والخلوة وذلك لان
الانس بالله يلازمه التوحش من غير الله بل كل ما يعوق من الخلوة يكون اثقل الاشيا
على القلب كما روى ان موسى على نبينا و م لما كلمه ربه مكث دهرا لا يسمع كلام احد من الخلق
الا اخذه الغشيان لان الحب يوجب عذوبة كلام المحبوب وعذوبة ذكره فيخرج من
القلوب عذوبة ما سواه فان خالط الناس كان كمنفرد في جماعة مجتمع في خلوة غريب
في حضر حاضر في سفر شاهد في غيبة وغايب في حضور مخالط بالجسد منفرد
بالقلب المستغرق بعذوبة الذكر كما قال امير المؤمنين عرفي وصفهم هم قوم هجم بهم العلم
على حقيقة الامر فباشروا روح اليقين واستلانوا ما استوعره المترفون وانسوا
بما استوحش منه الجاهلون صحبوا الدنيا بابدان ارواحها معلقة بالمحل الاعلى
اولئك خلفاء الله في ارضه والدعاة الى دينه **فصل** اعلم ان الانس اذا
دام وغلب واستحكم ولم يشوشه قلق الشوق ولم ينغصه خوف البعد والحجاب
فانه يثمر نوعا من الانبساط في الاقوال والافعال والمناجاة مع الله سبحانه وقد يكون
منكرا بحسب الصورة لما فيه من الجرأة وقلة الهيبة ولكنه محتمل ممن اقيم مقام الانس
ومن لم يقم في ذلك المقام وتشبه بهم في الفعل والكلام هلك واشرف على الكفر
ومثاله مناجاة برخ الاسود الذي امر الله تع كليمه موسى ان يسأله ليستسقى لبنى
اسرائيل بعد ان قحطوا سبع سنين وخرج موسى في سبعين الفا فاوحى الله عز وجل اليه
كيف استجيب لهم وقد اظلمت عليهم ذنوبهم سرائرهم خبيثة يدعونني بهم
على غير يقين ويامنون مكرى ارجع الى عبد من عبادى يقال له برخ فقل له يخرج حتى
استجيب له فسال عنه موسى فلم يعرف فبينا موسى ذات يوم يمشى في طريق اذا بعبد
اسود قد استقبله بين عينيه تراب من اثر السجود في شملة قد عقدها على عنقه فعرفه
موسى بنور الله تع فسلم عليه فقال له ما اسمك قال اسمى برخ قال فانت طلبتنا
منذ حين

منذ حين فاستسق لنا فخرج فقال في كلامه ما هذا من فعالك ولا هذا من حلمك
وما الذي بدا لك انقصت عليك غيومك ام عاندت الرياح عن طاعتك ام
نفد ما عندك ام اشتد غضبك على المذنبين الست كنت غفارا قبل خلق الخطائين
خلقت الرحمة وامرت بالعطف ام ترينا انك ممتنع ام تخشى الفوت فتعجل بالعقوبة
قال فما برح حتى اخضلت بنو اسرائيل بالمطر وانبت الله عز وجل العشب في نصف
يوم حتى بلغ الركب قال فرجع برخ فاستقبله موسى فقال كيف رايت حين خاصمت
ربى كيف انصفنى فهم موسى به فاوحى الله عز وجل اليه ان برخا يضحكنى كل
يوم ثلث مرات **واعلم** ان الانبساط والادلال يحتمل من بعض العباد دون
البعض ففي انبساط الانس قول موسى ان هي الا فتنتك تضل بها من تشاء
وتهدى من تشاء وقوله في التعلل والاعتذار لما قيل له اذهب الى فرعون انه طغى
فقال ولهم على ذنب فاخاف ان يقتلون وقوله ويضيق صدرى وقوله انا نخاف
ان يفرط علينا او ان يطغى وهذا من غير موسى من سوء الادب لان الذى اقيم مقام
الانس يلاطف ويحتمل ولم يحتمل ليونس ما دون هذا لما ان اقيم مقام القبض
والهيبة فعوقب بالسجن في بطن الحوت في ظلمات ثلث فنودى عليه الى يوم
المحشر لولا ان تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء وهو مذموم ونهى نبينا ان يقتدى
فقيل له واصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت اذ نادى وهو مكظوم وهذه
الاختلافات بعضها لاختلاف الاحوال والمقامات وبعضها لما سبق في
الازل من التفاضل والتفاوت في القسمة بين العباد كما قال الله تعو ولقد
فضلنا بعض النبيين على بعض وقال منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات
وكان عيسى على نبينا و م من المفضلين ولادلاله سلم على نفسه فقال والسلم
على يوم ولدت ويوم اموت ويوم ابعث حيا وهذا انبساط منه لما شاهد

من اللطف في مقام الانس واما يحيى بن زكريا فانه اقيم مقام الهيبة والحياء فلم ينطق
حتى سلّم عليه خالقه فقال وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا
وانظر كيف احتمل الاخوة يوسف ما فعلوا بيوسف وقد قال بعض العلماء قد عددت
من اول قوله تعم اذ قالوا ليوسف واخوه احب الى ابينا منا الى راس العشرين اية من
اخبار الله تعم عن زهدهم فيه نيفا واربعين خطيئة بعضها اكبر من بعض وقد يجتمع
في الكلمة الواحدة الثلث والاربع فغفرهم وعفا عنهم ولم يحتمل لعزير مسئلة
واحدة سال عنها في القدر حتى قيل لئن عاد محي اسمه عن ديوان النبوة وهذه
القصص اوردت في القران ليعرف بها سنة الله في عباده الذين خلوا من قبل
فما في القران شيء الا وهو هدى ونور وتعرف من الله تعم الى خلقه **فصل** واما
محبة الله سبحانه لعبده فيرجع معناه الى كشف الحجاب عن قلبه حتى يراه
بقلبه والى تمكينه اياه من القرب اليه والى ارادته ذلك به في الازل والى تطهير
باطنه من حلول الغير وتخليته عن عوائق تحول بينه وبين مولاه حتى لا يسمع الا
بالحق ومن الحق ولا يبصر الا به ولا ينطق الا به كما ورد في الحديث القدسي ولا يزال
العبد يتقرب الى بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي
يبصر به ولسانه الذي ينطق به فيكون تقربه بالنوافل سببا لصفاء باطنه وارتفاع
الحجاب عن قلبه وحصوله في درجة القرب من ربه وكل ذلك من فضل الله ولطفه
به قال الله تعم يحبهم ويحبونه وقال ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا
وقال ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين وقال رسول الله ان الله يعطي الدنيا
من يحب ومن لا يحب ولا يعطي الايمان الا من يحب وقال اذا احب الله عبدا ابتلاه فان
صبر اجتباه وان رضي اصطفاه وقال اذا احب الله عبدا جعل له واعظا من نفسه
وزاجرا من قلبه يامره وينهاه واخص علامة محبة الله فان ذلك يدل على حب الله

عز وجل له واما الفعل الدال على كونه محبوبا فهو ان يتولى الله تعم امره ظاهره وباطنه
سره وجهره فيكون هو المشير عليه والمدبر لامره والمزين لاخلاقه والمستعمل
لجوارحه والمسدد لظاهره وباطنه والجاعل لهمومه هما واحدا والمبغض الدنيا في
قلبه والموحش له من غيره والمؤنس له بلذة المناجاة في خلواته والكاشف له عن
الحجب بينه وبين معرفته **فصل** اعلم ان اظهر الموجودات واجلاها هو الله سبحانه
وذلك لانه هو الموجود بذاته وما سواه موجود به قال الله سبحانه الله نور السموات
والارض والنور هو الظاهر بنفسه المظهر لغيره وهو مبدأ الادراك من المدركات والمدرك
هو الوجود فكلما ادركته فانما تدرك اولا وجوده وان لم تشعر بذلك وانما خفي عليك
ذلك لغاية وضوحه ولا تعجب من اخفاء شيء بسبب ظهوره فان الاشياء انما تستبان
باضدادها وما عم وجوده حتى لا ضد له عسر ادراكه فلو اختلفت الاشياء فدل
بعضها على الله تعم دون بعض ادركت التفرقة على قرب واما اشتركت في الدلالة
على نسق واحد اشكل الامر ومثاله نور الشمس المشرق على الارض فانا نعلم انه عرض من
الاعراض يحدث في الارض ويزول عند غيبة الشمس فلو كانت الشمس دائمة الاشراق
لا غروب لها لكنا نظن ان لا هيئة في الاجسام الا الوانها فاما الضوء فلا ندركه وحده
ولكن لما غابت الشمس واظلمت المواضع ادركت تفرقة بين الحالتين فعلمنا ان الاجسام
قد استضاءت بضوء واتصفت بصفة فارقتها عند الغروب فعرفنا وجود النور
بعدمه وما كنا نطلع عليه لولا عدمه الا بعسر شديد وذلك لمشاهدتنا الاجسام
متشابهة غير مختلفة في الظلام والنور هذا مع ان النور اظهر المحسوسات اذ
به يدرك سائر المحسوسات فما هو ظاهر في نفسه وهو مظهر لغيره انظر كيف استبهم
امره بسبب ظهوره لولا طريان ضده فالحق سبحانه هو اظهر الاشياء وبه
ظهرت الاشياء كلها ولو كان له عدم او غيبة او تغير لانهدت السموات و

الارض وبطل الملك والملكوت ولا دركت التفرقة بين المتنافيين ولو كان بعض الاشياء
موجودا به وبعضها موجودا بغيره لا دركت التفرقة بين الشيئين في الدلالة ولكن
لانه عامة في الاشياء على نسق واحد وجوده دائم في الاحوال يستحيل خلافه فلا
جرم اورثت شدة الظهور خفاه شعر خفي لافراط الظهور تعرضت * لا دراكه ابصار
قوم اخافش * وحظ عيون الزرق من نوره وجهره * لشدته حظ العيون العواميش
قال امير المؤمنين ع لم تحط به الاوهام بل تجلى لها بها وبها امتنع منها وقال
ظاهر في غيب وغايب في ظهور وقال لا تجنه البطون عن الظهور ولا يقطعه
الظهور عن البطون قرب فنأى وعلا فدنا وظهر فبطن وبطن فعلن ودان ولم يدن
اى ظهر فغلب ولم يغلب ومن هنا قيل عرفت الله بجمعه بين الاضداد الباب
الخامس في اليقين والتوكل قال الله تعم وبالاخرة هم يوقنون وقال النبي صلعم
من اقل ما اوتيتم اليقين وعزيمة الصبر ومن اوفى حظه منهما لم يبال ما فاته من
صيام النهار وقيام الليل وقال لما قيل له رجل حسن اليقين كثير الذنوب ورجل مجتهد في
العبادة قليل اليقين فقال ما ادمى الا وله ذنوب ولكن من كان غريزته العقل و
سجيته اليقين لم تضره الذنوب لانه كلما اذنب ذنبا تاب واستغفر وندم فتكفر
ذنوبه ويبقى له فضل يدخل به الجنة وقال اليقين الايمان كله وفي وصية لقمان
لابنه يا بني لا يستطاع العمل الا باليقين ولا يعمل المرء الا بقدر يقينه و لا
يقصر عامل حتى ينقص يقينه وعن الصادق ع قال ليس شيء الا وله حد قيل
فما حد التوكل قال اليقين قيل فما حد اليقين قال ان لا تخاف مع الله شيئا وقال
من صحة يقين المرء المسلم ان لا يرضى الناس بسخط الله ولا يلومهم على ما لم يؤته الله
فان الرزق لا يسوقه حرص حريص ولا يرده كراهية كاره ولو ان احدكم فر من رزقه
كما يفر من الموت لادركه رزقه كما يدركه الموت ثم قال ان الله تعم بعدله وقسطه

جعل الروح والراحة في اليقين والرضا وجعل الهم والحزن في الشك والسخط
بقوله ولا يلومهم على ما لم يؤته الله ان لا يشكوهم على ترك صلتهم اياه وبالملال فان كان
ذلك شيء لم يرزقه الله له ولم يؤته اياه ومن كان من اهل اليقين عرف ان ذلك كله فلم يلم
احدا بذلك وعرف ان ذلك مما اقتضته ذاته بحسب استحقاقه وما اوجبته حكمة الله
في امره وعنه ع ان العمل الدائم القليل على اليقين افضل عند الله تعم من العمل الكثير
على غير يقين وعنه ع قال كان امير المؤمنين ع يقول لا يجد عبد طعم الايمان حتى يعلم
ان ما اصابه لم يكن ليخطئه وان ما اخطاه لم يكن ليصيبه وان الضار النافع هو
الله تعم وعنه ع ان امير المؤمنين ع جلس الى حائط مائل يقضي بين الناس فقال
بعضهم لا تقعد تحت هذا الحائط فانه معور فقال امير المؤمنين ع حرس امرءا
اجله فلما قام سقط الحائط قال وكان امير المؤمنين ع مما يفعل هذا واشباهه
وهذا اليقين وعنه ع قال كان قنبر غلام علي يحب عليا حبا شديدا فاذا خرج
علي ع خرج على اثره بالسيف فراه ذات ليلة فقال يا قنبر ما لك قال جئت لامشي
خلفك يا امير المؤمنين قال ويحك امن اهل السماء تحرسني او من اهل الارض فقال لا
بل من اهل الارض فقال ان اهل الارض لا يستطيعون شيئا الا باذن الله من السماء
فارجع فرجع وقيل للرضا انك تتكلم بهذا الكلام والسيف يقطر دما فقال
ان لله تعم واديا من ذهب حماه باضعف خلقه النمل فلو رامه البخاتي لم تصل اليه
بالسيف سيف السلطان وعنه ع كان في الكنز الذي قال الله تعم وكان تحته كنز لهما
وكان فيه بسم الله الرحمن الرحيم عجبت لمن ايقن بالموت كيف
يفرح وعجبت لمن ايقن بالقدر كيف يحزن وعجبت لمن راى الدنيا وتقلبها باهلها
كيف يركن اليها فصل اليقين ان يرى الاشياء كلها من مسبب الاسباب
ولا يلتفت الى الوسائط بل يرى الوسائط كلها مسخرة لا حكم لها ثم الثقة بضمان

الله سبحانه للرزق وان ما قدر له سيساق اليه ثم ان يغلب على قلبه ان من يعمل مثقال ذرة خيرا
يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ثم المعرفة بان الله مطلع عليه في كل حال وشاهد
لهواجس ضميره وخفايا خواطره فيكون متأدبا في جميع احواله وان يراعي الله سبحانه
مراقبته في مراعاة باطنه وتطهيره وتزيينه لعين الله تعالى اشد من مراقبته في تزيين
ظاهره لسائر الناس وفي مصباح الشريعة قال الصادق ع اليقين يوصل العبد الى كل حال
سني ومقام عجيب كذلك اخبر رسول الله ص من عظم شان اليقين حين ذكر عنده ان
عيسى بن مريم كان يمشي على الماء فقال لو زاد يقينه لمشى في الهواء فدل بهذا ان الانبياء
مع جلالة محلهم من الله كانت تتفاضل على حقيقة اليقين لا غير ولا نهاية لزيادة
اليقين على الابد والمؤمنون ايضا متفاوتون في قوة اليقين وضعفه فمن قوي منهم
يقينه فعلامته التبري من الحول والقوة الا بالله والاستقامة على امر الله في
عبادته ظاهرا وباطنا قد استوت عنده حالتا العدم والوجود والزيادة والنقصان
والمدح والذم والعز والذل لانه يرى كلها من عين واحدة ومن ضعف يقينه
تعلق بالاسباب ورخص لنفسه بذلك واتبع العادات واقاويل الناس بغير
حقيقة والسعي في امور الدنيا وجمعها وامساكها مقرا باللسان انه لا مانع ولا
معطي الا الله وان العبد لا يصيب الا ما رزق وقسم له والجهد لا يزيد في الرزق و
ينكر ذلك بفعله وقلبه قال الله تعالى يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم والله اعلم
بما يكتمون وانما عطف الله لعباده حيث اذن لهم في الكسب والحركات في باب
العيش ما لم يتعدوا حدوده ولا يتركوا من فرائضه وسنن نبيه في جميع حركاتهم
ولا يعدلوا عن محجة التوكل ولا يقفوا في ميدان الحرص واما اذا ابوا ذلك وارتبطوا
بخلاف ما حد لهم كانوا من الهالكين الذين ليس معهم في الحاصل الا الدعاوي الكاذبة
وكل مكتسب لا يكون متوكلا فلا يستجلب من كسبه الى نفسه الا حراما وشبهة

وعلامته ان يؤثر ما يحصل من كسبه ويجوع وينفق في سبيل الله ولا يمسك والمانع في
بالكسب من كان بنفسه مكتسبا وبقلبه متوكلا وان كثر المال عنده قام فيه كالامين
عالما بان كون ذلك وفوته سواء وان امسك امسك لله وان انفق انفق فيما امر الله
عز وجل ويكون منعه وعطاؤه في الله **فصل** التوكل منزلة من منازل الدين
ومقام من مقامات الموقنين بل هو من معالي درجات المقربين وهو في نفسه غامض
من حيث العلم ثم هو شاق من حيث العمل ووجه غموضه من حيث العلم ان ملاحظة
الاسباب والاعتماد عليها شرك في التوحيد والتباعد عنها بالكلية طعن في السنة
وقدح في الشرع والاعتماد على الاسباب انغماس في غمرة الجهل قال الله تعالى وعلى الله
فتوكلوا ان كنتم مؤمنين وقال وعلى الله فليتوكل المتوكلون وقال ومن يتوكل على الله
فهو حسبه وقال ان الله يحب المتوكلين فاعظم بمقام موسوم بمحبة الله صاحبه
ومضمون بكفاية الله لابسه فان المحبوب لا يعذب ولا يبعد ولا يحجب وقد قال
أليس الله بكاف عبده فطالب الكفاية من غيره هو التارك للتوكل وهو المكذب
بهذه الاية وقال رسول الله ص لو انكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق
الطير تغدو خماصا وتروح بطانا وقال من انقطع الى الله كفاه الله كل مؤنته ورزقه
من حيث لا يحتسب ومن انقطع الى الدنيا وكله الله اليها وقال من سره ان يكون اغنى
الناس فليكن بما عند الله اوثق منه بما في يده وعن الصادق ع اوحى الله تعالى الى
داود ما اعتصم بي عبد من عبادي دون احد من خلقي عرفت ذلك من نيته ثم
تكيده السموات والارض ومن فيهن الا جعلت له المخرج من بينهن وما اعتصم
عبد من عبادي باحد من خلقي عرفت ذلك من نيته الا قطعت اسباب السموات
من يديه واسخت الارض من تحته ولم ابال باي واد هلك وعنه ع ان الغنى والعز
يجولان فاذا ظفرا بموضع التوكل وطنا وعنه ع انه قرأ في بعض الكتب ان الله تعالى يقول

وعزتي وجلالي ومجدي وارتفاعي على عرشي لأقطعن امل كل مؤمل غيري باليأس ولأكسونه
ثوب المذلة عند الناس ولأنحينه من قربي ولأبعدنه من وصلي ايؤمل غيري في
الشدائد والشدائد بيدي ويرجو غيري ويقرع بالفكر باب غيري وبيدي مفاتيح
الأبواب وهي مغلقة وبابي مفتوح لمن دعاني فمن ذا الذي املني لنوائبه
فقطعته دونها ومن ذا الذي رجاني لعظيمة فقطعت رجاءه مني جعلت امال
عبادي عندي محفوظة فلم يرضوا بحفظي وملأت سمواتي ممن لا يمل عن تسبيحي
وامرتهم ان لا يغلقوا الأبواب بيني وبين عبادي فلم يثقوا بقولي الم يعلم من طرقته
نائبة من نوائبي انه لا يملك كشفها احد غيري افتراني ابدأ بالعطاء قبل المسئلة
ثم اسأل فلا اجيب سائلي ابخيل انا فيبخلني عبدي اوليس الجود والكرم لي
اوليس العفو والرحمة بيدي اوليس انا محل الامال فمن يقطعها دوني افلا يخشى
المؤملون ان يؤملوا غيري فلو ان اهل سمواتي واهل ارضي املوا جميعا ثم اعطيت
كل واحد منهم مثل ما امل الجميع ما انتقص من ملكي مثل عضو ذرة وكيف
ينقص ملك انا قيمه فيا بؤسا للقانطين من رحمتي ويا بؤسا لمن عصاني ولم
يراقبني **فصل** اعلم ان من اعتقد اعتقادا جازما بانه لا فاعل الا الله فانه
لا حول ولا قوة الا بالله وان له تمام العلم والقدرة على كفاية العباد ثم تمام
العطف والعناية والرحمة بجملة العباد والآحاد وانه ليس وراء منتهى
قدرته قدرة ولا وراء منتهى علمه علم ولا وراء منتهى عنايته عناية اتكل لا
محالة قلبه على الله وحده ولم يلتفت الى غيره بوجه ولا الى نفسه ومن لم
يجد ذلك من نفسه فسببه احد الامرين اما ضعف اليقين واما ضعف القلب
ومرضه باستيلاء الجبن عليه وان علم لسبب الاوهام الغالبة عليه فان
القلب قد ينزعج تبعا للوهم وطاعة له من غير نقصان في اليقين كان غاجة ان

يبيت

بالبيت مع ميت في قبر او فراش مع عدم نفرته عن سائر الجمادات فالتوكل انما يتم
بقوة القلب وقوة اليقين جميعا اذ بهما يحصل سكون القلب وطمأنينته فالسكون
في القلب شيء واليقين شيء آخر فكم من يقين لا طمأنينة معه كما قال تعالى لخليله اولم تؤمن
قال بلى ولكن ليطمئن قلبي وكم من مطمئن لا يقين له كسائر ارباب الملل والمذاهب
فان اليهودي مطمئن القلب الى تهوده وكذا النصراني ولا يقين لهما اصلا وانما
يتبعون الظن وما تهوى الانفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى وهو سبب اليقين
الا انهم معرضون عنه وعن الكاظم ع في قول الله عز وجل ومن يتوكل على الله فهو
حسبه قال التوكل على الله درجات منها ان تتوكل على الله في امورك كلها
فما فعل بك كنت عنه راضيا تعلم انه لا يألوك خيرا وفضلا وتعلم ان الحكم في
ذلك له فتوكل على الله بتفويض ذلك اليه وثق به فيها وفي غيرها ولعل شأن
درجات التوكل ان يتوكل على الله في بعض اموره دون بعض وتعددها بحسب
كثرة الامور المتوكل فيها وقلتها **فصل** اعلم ان من الناس من يظن ان
معنى التوكل ترك الكسب بالبدن وترك التدبير بالقلب والسقوط على الارض
كالخرقة الملقاة واللحم على الوضم وهذا ظن الجهال فان ذلك حرام في الشرع فان
الانسان مكلف بطلب الرزق بالاسباب التي هداه الله اليها من زراعة او تجارة
او صناعة او غير ذلك مما احله الله وكما ان الصلوة والصيام والحج عبادات
كلف الله بها عباده يتقربون بها اليه كذلك طلب الرزق من الحلال عبادة كلفهم
الله به ليتقربوا به اليه بل هو افضل العبادات كما مر بيانه في الباب الاول من
المقالة الثالثة ولكنه سبحانه كلفهم ايضا بان لا يثقوا الا به جل وعز لا
بالاسباب كما انه سبحانه كلفهم بان لا يتكلوا على اعمالهم الحسنة بل بفضل الله
نعم فمعنى التوكل المامور به في الشرع انما هو اعتماد القلب على الله تعم في

الامور كلها وانقطاعه عما سواه ولا ينافيه تحصيل الاسباب اذا لم يكن سكونه اليها وكان
سكونه الى الله دونها مجوزا ان يوتيه الله مطلوبه من حيث لا يحتسب دون
هذه الاسباب التى حصلها وان يقطع الله هذه الاسباب عن مسبباتها سواء كانت
لجلب نفع متوقع او لدفع ضرر منتظر او لازالة آفة واقعة وسواء كانت مقطوعا بها
كمد اليد الى الطعام ليصل الى فيه او مظنونة كحمل الزاد للسفر واخذ السلاح
للعدو واتخاذ البضاعة للتجارة والادخار لتجدد الاضطرار والتداوى لازالة
المرض والتحرز عن النوم فى ممر السباع وممر السيل وتحت الحائط المائل وغلق مكس ع
الباب وعقل البعير ونحو ذلك اما الموهومة كالرقية والطيرة والاستقصاء
فى دقائق التدبير فيبطل بها التوكل لان امثال ذلك ليست باسباب عند العقلاء
الالباء وليست مما امر الله بها بل ورد النهى عنها على ان المامور به الاجمال
فى الطلب وعدم الاستقصاء وترك الاستنباط قال النبى صلى الله عليه وآله ان روح الامين نفث
فى روعى انه لا تموت نفس حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله عز وجل واجملوا فى الطلب
قال ما اجمل فى الطلب من ركب البحر وقال الصادق عليه السلام ليكن طلبك للمعيشة فوق كسب
المضيع ودون طلب الحريص الراضى بدنياه المطمئن اليها ولكن انزل نفسك من ذلك
بمنزلة المنصف المتعفف ترفع نفسك عن منزلة الواهن الضعيف وتكتسب ما لا بد منه
ان الذين اعطوا المال ثم لم يشكروا لا مال لهم وقال اذا فتحت بابك وبسطت بساطك
فقد قضيت ما عليك واما لا يبطل التوكل بالاسباب المقطوع بها والمظنونة فلان الله
نعم قادر على اعطاء المطلوب بدون ذلك لان الله سبحانه ابى ان يجرى الاشياء الا
بالاسباب كما قال الصادق عليه السلام واحب الله لعباده ان يطلبوا منه مقاصدهم بالاسباب
التى سببها لذلك وامرهم بذلك قال الله تعالى خذوا حذركم وقال فى كيفية صلاة الخوف
وليأخذوا حذرهم واسلحتهم وقال واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط

الخيل

الخيل وقال لموسى فاسر بعبادى ليلا والتحصن بالليل اختفاء عن اعين الاعداء ونوعا
للضرر وقال النبى صلى الله عليه وآله للاعرابى لما اهمل البعير وقال توكلت على الله اعقلها وتوكل
ونحو ذلك روى ان زاهدا من الزهاد فارق الامصار واقام فى سفح جبل وقال لا
اسأل احدا شيئا حتى ياتينى ربى برزقى فقعد سبعا فكاد يموت ولم ياته رزق
فقال يا رب ان احييتنى فأتنى برزقى الذى قسمت لى والا فاقبضنى اليك فاوحى
الله اليه وعزتى وجلالى لا ارزقنك حتى تدخل الامصار وتقعد بين الناس فدخل
المصر واقام فجاءه هذا بطعام وهذا بشراب فاكل وشرب واوجس فى نفسه ذلك
فاوحى الله اليه اردت ان تذهب حكمتى بزهدك فى الدنيا اما علمت انى ان
ارزق عبدى بايدى عبادى احب الى من ان ارزقه بيد قدرتى وفى الاسرائيليات
ان موسى عليه السلام اعتل بعلة فدخل عليه بنو اسرائيل فعرفوا علته فقالوا له لو تداويت
بكذا لبرئت فقال لا اتداوى حتى يعافينى الله من غير دواء فطالت علته فاوحى الله
تعالى اليه وعزتى وجلالى لا ابرأتك حتى تتداوى بما ذكروه لك فقال لهم داوونى بما
ذكرتم فداووه فبرأ فاوجس فى نفسه من ذلك فاوحى الله اليه اردت ان تبطل
حكمتى بتوكلك على فمن اودع العقاقير منافع الاشياء غيرى

فصل

ومن الناس من زعم ان حد التوكل ان يكتفى بالاسباب الخفية كان يسافر بالبوادى
التى لا يطرقها الناس بغير زاد بعد ان راض نفسه على الجوع الاسبوع فما
يقاربه بحيث يصبر عنه من غير ضيق قلب وتشويش خاطر وتعذر فى ذكر الله
وان يكون بحيث يقوى على التقوت بالحشيش وما يتفق له وان يوطن نفسه على
انه ان مات جوعا كان خيرا له فى الآخرة او يقعد فى بيته او فى مسجد ويتفرغ بترك
الكسب للفكر وذكر واخلاص واستغراق وقت بالعبادة بحيث لا يستشرف
نفسه الى الناس فى انتظار من يدخل فيحمل اليه شيئا بل يكون ثقة القلب فى

الصبر والاتكال على الله وهذا خطأ لان من جاهد نفسه وسلها بحيث [illegible]
الاسبوع ويمكنه التقوت بالحشيش صارت الاسباب الجلية فان عدم الحاجة الى
الغذاء ثم ان كان اعتماده على صبره وتمكنه من التقوت بالحشيش فليس التوكل
ولذا كان انما يثق بالله وحده فلم يقم في بلده مع الاسباب الجلية وليثق بالله دون
الاسباب كما امر الله به الا ان اهل الذي مرت قصته واما من يلقي نفسه باختياره على
جوعا فممنوع شرعا قال الله عز وجل ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة ولما القاعد [illegible]
يعبد ربه من غير كسب فهو ايضا قد ترك اتباع امر الله تعالى بالطلب كما قال الصادق
من يقوته اشد عبادة منه وربما يكون نفسه كلا على الناس فان فعاله ينادي بالبوس
والياس بل هو ضرب على بواطن الناس وتحريض للذل الا اذا خرج من بين الناس فتوجه
الى الاول من تعرضه بالنفس وتعرضه للهلاك وليس شيء اي يدخل في خفاء الاسباب
وجلائها في التوكل بعدما ظهر ان معناه الثقة بالله وحده لا بالاسباب نسبة وجود
الاسباب وتفاوتها جلائها وخفائها فانه يتفاوت درجات الناس فيه بحسب تفاوت
مراتبهم في قوة اليقين وضعفه وفي قصر الامل وطوله وفي مقدار الاولاد بحسب
الاهل والمنفرد والمعيل فمنهم من هو من المقربين ومنهم من هو من اصحاب اليمين ومنهم
من لا توكل له اصلا فذلك بحسب عدم الوثوق بالاسباب اصلا وقلته وكثرته وضعف
ايمانه سقط وثوقه بالاسباب بالكلية فيرزقه الله من حيث لا يحتسب كما [illegible] لا يكتسب
الا انه لا يترك الكسب بل يتبع امر الله فيه وليس وثوقه الا بالله وحده دون
كسبه قال الصادق ع ابى الله جل وعز ان يجعل ارزاق المؤمنين الا من حيث لا يحتسبون
وانما خصه بالمؤمنين لان كمال الايمان يقتضي ان لا يثق صاحبه بالاسباب وان
يتوكل على الله عز وجل وحده وكمال الايمان انما يكون لاصحاب العلم المكنون من
الانبياء والاولياء وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء قال السجاد ع [illegible]

في

في قطع الطمع عما في ايدي الناس ومن لم يرج الناس في شيء ورد امره الى الله تعالى في جميع
اموره استجاب الله تعالى له في كل شيء وقال الباقر ع بئس العبد عبد له طمع يقوده وبئس
العبد عبد له رغبة تذله وقال الصادق ع شرف المؤمن قيام الليل وعزه استغناؤه
عن الناس

الباب السادس

في الصدق واداء الامانة ولدى الصدق
في القول في كل حال وكماله بترك المعاريض من غير ضرورة وترك تحديدات تفهم
الخلاف وكسب القلب صورة كاذبة ومعاينة مع الله تعالى فمن قال وجهت وجهي لله
وفي قلبه سواه واياك نعبد وهو يعبد الدنيا فهو كاذب ثم في النية بتمحضها
لله تعالى فالشوب يفوته بقاء الصادق الخالص اي يمحضها فالصادق في النية الى
ان يكون مخلصا ثم في العزم وهو الجزم القوي على الخير فان الانسان قد يقدم العزم
على العمل فيقول في نفسه ان رزقني الله مالا تصدقت بجميعه او شطره واذا
لقيت عدوا في سبيل الله قاتلته ولم ابال وان قتلت قد يكون في عزمه نوع ميل
وتردد وضعف يضاد الصدق في العزيمة ثم في الوفاء بالعزم فان النفس قد تسخى
بالعزم في الحال اذ لا مشقة في الوعد فاذا حقت الحقائق وحصل التمكن وهاجت
الشهوات انحلت العزيمة وهذا يضاد الصدق فيه ولذلك قال الله سبحانه رجال صدقوا
ما عاهدوا الله عليه ثم في الاعمال وهو ان يجتهد حتى لا تدل اعماله الظاهرة
على امر في باطنه لا يتصف هو به لا بان يترك العمل ولكن بان يستجر الباطن الى تصديق الظاهر
وهذا غير الرياء لان المرائي هو الذي يقصد ذلك لاجل الخلق ورب واقف على هيئة
الخشوع في صلاته ليس يقصد به مشاهدة غيره ولكن قلبه غافل عن الصلاة فمن
نظر اليه رآه قائما بين يدي الله عز وجل وهو بالباطن قائم في السوق بين يدي
شهوة من شهواته وكذلك قد يمشي على هيئة السكون والوقار وليس باطنه موصوفا
بذلك فهذا غير صادق في عمله وان لم يكن ملتفتا الى الخلق ولا مرائيا اياهم ولا

يتجوّز من هذا الا باستواء السريرة والعلانية بان يكون باطنه مثل ظاهره او خيراً من
ظاهره ولهذا كما قال امير المؤمنين ع اني والله ما احثكم على طاعة الا واسبقكم
اليها ولا انهاكم عن معصية الا وانتهي قبلكم عنها ثم في مقامات الدين وهو اعلى
الدرجات واعزّها كالصدق في الخوف والرجاء والتعظيم والزهد والحب والتوكل
وساير المكارم فان هذه الامور لها مبادي ينطلق الاسم بظهورها ثم لها غايات
وحقايق والصادق المحقق من نال حقيقتها قال الله تعالى انما المؤمنون الذين امنوا بالله
ورسوله ثم لم يرتابوا الى قوله اولئك هم الصادقون وقال عزوجل ولكن البر من امن
بالله واليوم الاخر ثم قال والصابرين في البأساء والضراء الى قوله اولئك الذين
صدقوا وسئل ابوذر رح عن الايمان فقرأ هذه الاية فقيل له سالناك عن الايمان
فقال سالت رسول الله ص عن الايمان فقرأ هذه الاية ولنضرب للخوف مثلا فما من
عبد يؤمن بالله الا وهو خائف من الله خوفاً ينطلق عليه الاسم ولكنه خوف غير صادق
اي غير بالغ درجة الحقيقة اما تراه اذا خاف سلطاناً او قاطع طريق في سفره كيف
يصفرّ لونه ويرتعد فرايصه ويتنغص عليه عيشه ويتعذر عليه اكله ونومه وينقسم
عليه فكره حتى لا ينتفع به اهله وولده وقد ينزعج عن الوطن فيستبدل بالانس
الوحشة وبالراحة التعب والمشقة والتعرض للاخطار كل ذلك خوفاً من درك
المحذور ثم انه لا يخاف النار ولا يظهر عليه شيء من ذلك عند جريان معصية عليه
ولذلك قال النبي ص لم ار مثل النار نام هاربها ولم ار مثل الجنة نام طالبها
والتحقيق في هذه الامور عزيز جداً ولكن لكل عبد حظ بحسب حاله اما ضعيف واما
قوي ثم درجات الصدق لا غاية لها وقد يكون للعبد صدق في بعض الامور دون
بعض فان كان صادقاً في الجميع فهو الصديق حقاً **فصل** في مصباح الشريعة
قال الصادق ع اذا اردت ان تعلم اصادق انت ام كاذب فانظر في قصد معناك

وغور

وغور دعواك وعيّرهما بقسطاس من الله عزوجل كانك في القيمة قال الله عزوجل
والوزن يومئذ الحق فاذا اعتدل معناك بدعواك ثبت لك الصدق وادنى حد
الصدق ان لا يخالف اللسان القلب ولا القلب اللسان ومثل الصادق
الموصوف بما ذكرنا كمثل النازع روحه ان لم ينزع فماذا يصنع وعنه ع ان الناس
اول من يصدق فيه الله تعالى يعلم انه صادق فتصدقه نفسه تعلم انه صادق وعنه ع
قال ان العبد ليصدق حتى يكتب عند الله من الصادقين ويكذب حتى يكتب عند الله
من الكاذبين فاذا صدق قال الله تعالى صدق وبرّ واذا كذب قال الله كذب
وفجر وفي رواية ليصدق حتى يكتبه الله صديقاً وعنه ع قال كونوا دعاة الناس
بالخير بغير السنتكم ليروا منكم الاجتهاد والصدق والورع وقال لبعض اصحابه
انظر ما بلغ به علي ع عند رسول الله ص فالزمه فان علياً انما بلغ عند رسول الله
بصدق الحديث واداء الامانة وقال ع لا تنظروا الى طول ركوع الرجل وسجوده
فان ذلك شيء اعتاده ولو تركه لاستوحش لذلك ولكن انظروا الى صدق حديثه
واداء امانته وقال ع ان الله تعالى لم يبعث نبياً الا بصدق الحديث واداء الا
مانة الى البر والفاجر وعن النبي ص اداء الامانة يجلب الرزق والخيانة
تجلب الفقر وعن امير المؤمنين ع ادّوا الامانات ولو الى قاتل ولد الانبياء وعن
الصادق ع من ائتمنك بامانة فادّها اليه ومن خانك فلا تخنه **المقالة**
الخامسة في العبادات واسرارها وفيها سبعة ابواب **الباب الاول**
في النية والاخلاص قال النبي ص انما الاعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى
فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته الى دنيا
يصيبها او امرأة يتزوجها فهجرته الى ما هاجر اليه وانما قال ذلك حتى قال
بعض الصحابة ان بعض المهاجرين الى الجهاد ليست نيته من تلك الهجرة الا اخذ

الغنائم من الاموال والسبايا او نيل الصيت عند الاستيلاء فيقتضي ان كل احد ينال
في عمله ما يبغيه ويصل الى ما ينويه كاينا ما كان دنيويا او اخرويا وهذا الخبر
مما يعده اصحاب الحديث من المتواترات وهو اول ما يعلمونه اولادهم ويقولون
انه نصف العلم **واعلم** انه لا يحسب من عبادة الله ولا يعد من طاعته بحيث
يترتب عليه الاجر في الاخرة الا ما يراد به التقرب الى الله تعالى ولذا لا نرى الا ابتغاء
وجه الله او التوصل الى ثوابه او الخلاص من عقابه وبالجملة امتثالا لامر الله تعالى
فيما ندب عباده اليه بقوله عز وجل ادعوه خوفا وطمعا وقوله يدعوننا رغبا
ورهبا وكلما وعد به الجنة واوعد عليه النار في الايات التي احصي من رغب
ورهب ووعد واوعد وانما يثيبهم على حسب اقدارهم ومنازلهم ثم انهم
من عرف الله بجماله وجلاله ولطف فعاله واحبه واشتاق اليه واخلص
عبادته لله لكونه اهلا للعبادة ولمحبته له احبه الله واخلصه واجتباه
وقربه الى نفسه وادناه قربا معنويا ودنوا روحانيا كما قال في حق بعض من
هذه صفته وان له عندنا لزلفى وحسن مآب قال امير المؤمنين وسيد الموحدين
صلوات الله عليه الهي ما عبدتك خوفا من نارك ولا طمعا في جنتك لكن
وجدتك اهلا للعبادة فعبدتك ومن لم يعرف من الله تعالى سوى كونه الها
صانعا للعالم قادرا قاهرا عالما وان له جنة ينعم بها المطيعين ونارا
يعذب بها العاصين فعبده ليفوز بجنته او يكون له النجاة من ناره ادخله
الله بعبادته وطاعته الجنة وانجاه من النار لا محالة كما اخبر عنه في غير موضع
من كتابه فانما لكل امرئ ما نوى فلا تصغ الى قول من ذهب الى بطلان العبادة
اذا قصد بفعلها تحصيل الثواب او الخلاص من العقاب زعما منه ان هذا القصد
مناف للاخلاص الذي هو ارادة وجه الله سبحانه وحده وان من قصد ذلك

فانما قصد جلب النفع الى نفسه ودفع الضرر عنها لا وجه الله سبحانه فان هذا
قول من لا معرفة له بحقايق التكاليف ومراتب الناس فيها بل لا معرفة له بمعنى
النية وحقيقتها فان النية انما هي عبارة عن انبعاث النفس وميلها وتوجهها الى ما فيه
غرضها اما عاجلا واما اجلا لا مجرد قول الناوي عند العبادة افعل كذا قربة الى الله
وتصور معنى هذا القول بخاطره وملاحظته بقلبه وان لم يكن لنفسه انبعاث
الى التقرب فهيهات انما هذا تحريك لسان وحديث نفس وما ذلك الا كقول
الشبعان اشتهي هذا الطعام قاصدا حصول الاشتهاء وهذا الانبعاث
اذا لم يكن حاصلا لها لا يمكنها اختراعه واكتسابه بمجرد القول والتصور واكثر
الناس تعبدهم العبادة ابتغاء وجه الله والتقرب اليه لانهم لا يعرفون
من الله سبحانه الا المرجو والمخوف فغايتهم ان يتذكروا النار ويحذروا انفسهم
عقابها ويتذكروا الجنة ويرغبوا انفسهم ثوابها وخصوصا من كان الغالب
على قلبه الميل الى الدنيا فانه قلما ينبعث له داعية الى فعل الخيرات لينال بها ثواب
الاخرة فضلا عن عبادته على نية اجلال الله عز وجل لاستحقاقه الطاعة
والعبودية فانه قل من يفهمها فضلا عن يتعاطاها فلو كلف بها لكان تكليفا بما لا يطاق
وليس معنى الاخلاص في العبادة الا ان تكون مشوبة بشوائب الدنيا والحظوظ العاجلة
للنفس كمدح الناس والخلاص من النفقة بعتق العبد ونحو ذلك كما يأتي بيانه
وظني انه لا ينافيه ارادة الجنة والخلاص من النار مما وعد في الاخرة ولان كان
من جنس ما الوف في الدنيا ولو كان مثل هذه النيات مفسدا للعبادات لكان
الترغيب والترهيب والوعد والوعيد عبثا بل مخلا بالمقصود ثم ليت شعري كيف
يمكن للعبد الضعيف المهين الذليل الذي لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا ولا موتا
ولا حياة ولا نشورا ان يستغني عن جلب النفع عن مولاه لنفسه ودفع الضر

ومطلبها

عنهما ومن امعن حق الامعان فلا يجد اكثر القايلين ببطلان العبادة باحد النيتين الاولى
بانهم الصحيحة في عباداتهم يرجع الى احد بهما وهم لا يشعرون وعن الصادق عم العباد
ثلثة قوم عبدوا الله عز وجل خوفا فتلك عبادة العبيد وقوم عبدوا الله عز وجل
طلب الثواب فتلك عبادة الاجراء وقوم عبدوا الله عز وجل حبا له فتلك عبادة الاحرار
وهي افضل العبادة قوله عم وهي افضل العبادة يعطي ان العبادة على الوجهين الاولين
يخ من فضل ايضا فضلا عن ان يكون صحيحة **فصل** قد ورد في الحديث المشهور
عن النبي صم انه قال نية المؤمن خير من عمله ونية الكافر شر من عمله وكل عامل يعمل
على نيته وقد اختلف الفقهاء في معنى الحديث على اقوال شتى والذي يظهر لي ان ذلك لان
المؤمن ينوي خيرات كثيرة لا يساعده الوقت على عملها فكان الثواب المترتب على نياته اكثر
من الثواب المترتب على اعماله وايضا ان المؤمن ينوي ان يقع عباداته على احسن الوجوه لان
ايمانه يقتضي ذلك ثم اذا كان يشتغل بها لا يتيسر له ذلك فلا يأتي بها كما يريد فلا يأتي
بها كما ينبغي فالذي ينوي دائما خير من الذي يعمل به في كل عبادة ولهذا اشار الباقر عم
حيث كان يقول نية المؤمن خير من عمله وذلك لانه ينوي من الخير ما لا يدركه ونية الكافر
شر من عمله وذلك لان الكافر ينوي الشر ويأمل من الشر ما لا يدركه وعن الصادق عم
قيل سمعتك تقول نية المؤمن خير من عمله فكيف يكون النية خيرا من العمل قال لان
العمل انما يكون رياء للمخلوقين والنية خالصة لرب العالمين فيعطي عز وجل على النية
ما لا يعطي على العمل ثم قال ان العبد لينوي من نهاره ان يصلي بالليل فيغلبه عينه فينام
فيثبت الله له صلوته ويكتب نفسه تسبيحا ويجعل نومه صدقة وعنه عم ان العبد
المؤمن الفقير ليقول يا رب ارزقني حتى افعل كذا وكذا من البر ووجوه الخير فاذا علم الله
عز وجل ذلك منه بصدق نية كتب الله له من الاجر مثل ما يكتب له لو عمله ان الله
واسع كريم وعنه عم انه سئل عن حد العبادة التي اذا فعلها فاعلها كان مؤديا فقال

حسن

حسن النية بالطاعة يعني ان يكون لمن في طاعته نية حسنة فان نقصه لم الاتيان بها دانق
نيته ولا ينقص اوتي ما عليه من العبادة بحسن نيته وعنه عم انما خلد اهل النار في النار
لان نياتهم كانت في الدنيا ان لو خلدوا فيها ان يعصوا الله فيها ابدا وانما خلد اهل
الجنة في الجنة لان نياتهم كانت في الدنيا ان لو بقوا فيها ان يطيعوا الله ابدا فبالنيات
خلد هؤلاء وهؤلاء ثم تلا قوله تعم قل كل يعمل على شاكلته قال على نيته وعنهم عم ان من
بلغه شيا من الثواب على شيء فصنعه كان له اجره وان لم يكن على ما بلغه ومما قيل في معنى الحديث
المشهور ان النية انما يكون خيرا من العمل لتوقف نفع العمل عليها دون العكس ولكون
الغرض الاصلي من العمل تاثر القلب بالميل الى الله تعالى عن الغير كما قال الله عز وجل
لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم الاشارة الى الاثر الجامع مع التأثير
قصدا انهما غيرها بخلاف الجامع غيرها على ايضا امر الله والتاثر وصفة القلب وبهذا يتضح
معنى قوله عم من هم بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة لان هم القلب هو ميله الى الخير
وانصرافه عن الهوى وحب الدنيا وهو غاية الحسنات وانما الاتمام بالعمل يزيدها تاكيدا
فليس المقصود من اراقة دم القربان الدم واللحم بل ميل القلب عن حب الدنيا وبذلها
ابتغاء لوجه الله عز وجل وهذه الصفة قد حصلت عند جزم النية والهم وان عاق عن العمل
عائق فلن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم والتقوى في القلب ولذلك
قال النبي صم لما خرج في غزوة تبوك ان بالمدينة قوما ما قطعنا واديا ولا وطئنا
موطئا يغيظ الكفار ولا انفقنا نفقة ولا اصابتنا مخمصة الا شاركونا في ذلك
وهم في المدينة قالوا وكيف ذلك يا رسول الله صم وليسوا معنا قال حبسهم العذر
فشركونا بحسن النية **فصل** النية اما واحدة كالقيام للكرام واما متعددة
كالتصدق للفقير والقرابة فاما الا يستقل شيء ويعرف بالامتناع عند الانفراد او
يستقل متساويا او متفاوتا ويتعدد الجزاء بتعددها كالدخول في المسجد

لزيارة الله عز وجل فان المسجد بيت الله وفي الحديث النبوي ص من دخل المسجد فقد زار الله
عز وجل وحق على المزور اكرام زائره ولانتظار الصلوة وللاعتكاف وللانزواء والتجرد
للذكر وترك الذنوب او شركاء العقود فيه للتحدث بالباطل وملاحظة النساء
والمناظرة للمباهاة والمراءاة وغيرها يجعل المباح عبادة كالتطيب يوم الجمعة لاقامة
السنة وتعظيم المسجد واليوم ودفع الاذى بالنتن وادخال السرور بالرفق وسد
باب الغيبة وربما يفضله على محضها فانه فيه سوءة او رعاية عبادة لزوجته
الصلوة افضل منهما في الملاذ وشرها يجعله معصية كالتطيب للتفاخر باظهار الثروة
والتزين للنساء وللامور في الحرام فلا يباح شرب الخمر لموافقة الاخوان **فصل**
النية غير داخلة تحت الاختيار وذلك لما عرفت انها انبعاث النفس
وتوجهها الى ما تراه ملائماً لها ان فيه غرضها اما عاجلا او آجلا وما لم يعتقد
الانسان ان غرضه منوط بفعل من الافعال فلا يتوجه نحوه قصده وذلك مما لا يقدر
على اعتقاده في كل حين واذا اعتقد فانما يتوجه القلب اذا كان فارغا غير مصروف
عنه بغرض شاغل اقوى منه وذلك لا يمكن في كل وقت والدواعي والصوارف لها
اسباب كثيرة بها يجتمع ويختلف ذلك بالاشخاص والاحوال والاعمال فاذا غلبت
شهوة النكاح ولم يعتقدها غرضاً صحيحاً في الولد لم يمكنه ان ينوي على نية الولد
بل لا يمكن الا على نية قضاء الشهوة اذ النية هي اجابة الباعث ولا باعث الا
الشهوة فكيف ينوي الولد نعم طريق اكتساب هذه النية مثلا ان يقوى اولا ايمانه
بالشرع ويقوى ايمانه بعظم ثواب من سعى في تكثير امة محمد صلعم ويدفع عن نفسه
جميع المنفرات عن الولد من ثقل المؤنة وطول التعب وغيره واذا فعل ذلك فربما
انبعث من قلبه رغبة الى تحصيل الولد للثواب فتحركه تلك الرغبة وتحرك اعضاءه
لمباشرة العقد واذا انتهضت القدرة المحركة للسان بقبول العقد طاعة لهذا الباعث

الغالب على القلب كان ناويا واذا لم يكن كذلك فما يقدره في نفسه ويردده في قلبه
من قصد الولد وسواس وهذيان ولهذا امتنعت جماعة من جلة من الطاعات اذ لم
تحضرهم النية وكانوا يقولون ليس تحضرني فيه نية وذلك لعلمهم بان النية روح
الاعمال وان العمل بغير نية صادقة رياء وتكلف وهو سبب مقت لا سبب
قرب وعن الصادق ع انه اتاه مولى له فسلم عليه وجلس فلما انصرف انصرف معه
الرجل فلما انتهى الى باب داره دخل وترك الرجل فقال له ابنه اسمعيل يا ابه الا كنت
عرضت عليه الدخول فقال لم يكن من شاني ادخاله قال فهو لم يكن يدخل قال يا بني
اني اكره ان يكتبني الله عرّاضا وفي مصباح الشريعة قال الصادق ع صاحب النية
الصادقة صاحب القلب السليم لان سلامة القلب من هواجس المحذورات
تخلص النية لله في جميع الامور كلها قال الله تعالى يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من
اتى الله بقلب سليم وقال النبي صلعم نية المؤمن خير من عمله وقال انما الاعمال
بالنيات وانما لكل امرئ ما نوى ولا بد للعبد من خالص النية في كل حركة
وسكون لانه اذا لم يكن بهذا المعنى يكون غافلا والغافلون قد وصفهم الله
فقال ان هم الا كالانعام بل هم اضل سبيلا وقال اولئك هم الغافلون ثم النية
تبدو من القلب على قدر صفاء المعرفة ويختلف على حسب اختلاف الاوقات
في معنى قوته وضعفه وصاحب النية الخالصة نفسه وهواه معه مقهورتان
تحت سلطان تعظيم الله والحياء منه وهو من طبعه وشهوته ومنية نفسه
في تعب والناس منه في راحة **فصل** واما الاخلاص فهو تجريد النية
عن الشوب فالاعلى ارادة وجهه تعالى ويعرف بالتفكر في صفاته وافعاله والمناجاة
ثم ارادة نفع الاخرة فهو حظ النفس وورد في حقيقته ان تقول ربي الله ثم تستقيم
كما امرت تعمل لله لا تحب ان تحمد عليه قال الله تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله

مخلصين له الدين وقال الا لله الدين الخالص وقال الا الذين تابوا واصلحوا
واعتصموا بالله واخلصوا دينهم لله وعن امير المؤمنين ع قال طوبى لمن اخلص
لله العبادة والدعا ولم يشغل قلبه بما ترى عيناه ولم ينس ذكر الله بما تسمع اذناه ولم
يحزن صدره بما اعطى غيره وعن الباقر ع قال ما اخلص عبد الايمان بالله اربعين يوما
او قال ما اجمل عبد ذكر الله اربعين يوما الا زهده الله في الدنيا وبصره داءها ودواءها
واثبت الحكمة في قلبه وانطق بها لسانه وعن الصادق ع في قول الله عز وجل ليبلوكم
ايكم احسن عملا قال ليس يعني اكثركم عملا ولكن اصوبكم عملا وانما الاصابة خشية الله
والنية الصادقة ثم قال الابقاء على العمل حتى يخلص اشد من العمل والعمل الخالص الذي
لا تريد ان يحمدك عليه احد الا الله عز وجل والنية افضل من العمل الا وان النية هي العمل
ثم تلا قوله عز وجل قل كل يعمل على شاكلته يعني على نيته والطريق الى الاخلاص كسر
حظوظ النفس وقطع الطمع عن الدنيا والتجرد للآخرة بحيث يغلب ذلك على القلب
وكم من اعمال يتعب الانسان فيها ويظن انها خالصة لوجه الله ثم يكون فيها مغرورا
لانه لا يدري وجه الآفة فيه كما حكي عن بعضهم انه قال قضيت صلوة ثلثين سنة
كنت صليتها في المسجد جماعة في الصف الاول لاني تاخرت يوما لعذر وصليت في
الصف الثاني فاعترتني خجلة من الناس حيث رأوني في الصف الثاني فعرفت ان
نظر الناس الي في الصف الاول كان يسرني وكان سبب استراحة قلبي من ذلك من حيث
لا اشعر وهذا دقيق غامض وقلما تسلم الاعمال عن امثاله وقل من يتنبه له الا من وفقه الله
والغافلون عنه يرون حسناتهم في الآخرة كلها سيئات وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون وبدا لهم
سيئات ما عملوا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا وقد مضت الاشارة الى تلك المسألة
في باب ذم الغرور **فصل** اعلم انه قد ثبت اجماع الامة على ان من خرج حاجا ومعه تجارة
صح حجه واثيب عليه مع ان سفره ليس خالصا لله والوجه فيه ان التجارة تعرض للرزق وهو

ايضا

ايضا عبادة كما مضى بيانه وقد عرفت ان نية الخيرات المتعددة موجبة لتضاعف
الثواب بحسبها وليس الامر كما ظن ان الحاج انما يثاب على اعمال الحج عند انتهائه الى مكة
وتجارته غير موقوفة عليه فهو خالص وانما المشترك طول المسافة ولا ثواب فيه مهما
قصد التجارة ولا كما ظن انه مهما كان الحج هو المحرك الاصلي وكان غرض التجارة كالمعين
والتابع فلا ينفك نفس السفر عن ثواب نعم اذا كان التجارة للجمع والادخار من غير حاجة
فلا يبعد ان يكون كذلك وكذا اذا انضم الى قصد الحج قصد التفرج والتوحش عن الاهل
انضماما غير مستقل ونحوه اذا انضم الى نية الصوم قصد الحمية والى نية الوضوء قصد
التبرد والى نية العتق سوء الخلق والخلاص عن المؤنة الى غير ذلك اذا لم يكن الضميمة
مستقلة واما ما لا يتعلق بالاخلاص من انواع الريا وغيره فقد مر الكلام فيه في باب الريا
والكبر فلا وجه لاعادته **فصل** في مصباح الشريعة قال الصادق ع الاخلاص يجمع حواصل
الاعمال وهو معنى مفتاحه القبول وتوقيعه الرضا فمن تقبل الله منه ورضي عنه فهو
المخلص وان قل عمله ومن لا يتقبل الله منه فليس بمخلص وان كثر عمله اعتبارا بآدم ع وابليس
وعلامة القبول وجود الاستقامة ببذل كل المحاب مع اصابة علم كل حركة وسكون
والمخلص ذائب روحه باذل مهجته في تقويم ما به العلم والاعمال والعامل والمعمول
بالعمل لانه اذا ادرك ذلك فقد ادرك الكل واذا فاته ذلك فاته الكل وهو تصفية
معاني التنزيه في التوحيد كما قال الاول هلك العاملون الا العابدون وهلك العابدون
الا العالمون وهلك العالمون الا الصادقون وهلك الصادقون الا المخلصون وهلك
المخلصون الا المتقون وهلك المتقون الا الموقنون وان الموقنين لعلى خطر عظيم قال
الله تعالى لنبيه واعبد ربك حتى يأتيك اليقين وادنى حد الاخلاص بذل العبد طاقته
ثم لا يجعل لعمله عند الله قدرا فيوجب به على ربه مكافاة بعمله لعلمه انه لو طالبه
بوفاء حق العبودية لعجز وادنى مقام المخلص في الدنيا السلامة من جميع الآثام وفي

في الطهارة والنظافة **الباب الثاني** الآخرة النجاة من النار والفوز بالجنة
قال الله سبحانه فيه رجال يحبون ان يتطهروا والله يحب المطهرين وقال الله تعالى ما يريد
الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وقال النبي صلى الله عليه وسلم الطهور نصف الايمان
وقال مفتاح الصلوة الطهور وقال بني الدين على النظافة وقال ما من شيء العبد الفا
وقال من اتخذ ثوبا فلينظفه وقال امير المؤمنين النظيف من الثياب يذهب الهم والحزن
وهو طهور للصلوة فيتفطن ذوو البصائر بهذه الظواهر ان الايمان انما تم عمارته
والسرائر وان المراد بقوله صلى الله عليه وسلم الطهور نصف الايمان ان عمارة الظاهر بالتطهير والتنظيف
بالماء نصف الايمان والنصف الاخر عمارة الباطن بالاعمال الصالحة
والاخلاق الحميدة فالطهارة لها اربع مراتب الاولى تطهير الظاهر من الاحداث والاخباث
والفضلات والثانية تطهير الجوارح من الجرائم والاثام والثالثة تطهير القلب
من مساوي الاخلاق ورذائلها والرابعة تطهير السر عما سوى الله جل وعلا وهي طهارة الانبياء
والصديقين والطهارة في كل رتبة نصف العمل الذي فيها وهذه
مقامات الايمان ولكل مقام طبقة ولن ينال العبد الطبقة العالية الا
ان يجاوز الطبقة السافلة فلا يصل الى طهارة السر عما سوى الله وعمارته
بالمحمود ولن يصل الى ذلك من لم يفرغ عن طهارة الجوارح من المناهي وعمارتها
بالطاعات وكلما عز المطلوب وشرف صعب مسلكه وطال طريقه وكثرت
عقباته ولا تظن ان هذا الامر يدرك بالمنى وينال بالهوينا نعم من عميت بصيرته
عن تفاوت هذه الطبقات لم يفهم من مراتب الطهارة الا الدرجة الاولى التي
هي كالقشر الاخير بالاضافة الى اللب المطلوب فصار يمعن فيه ويستقصي في مجاريه
والباطن خراب مشحون بخبائث الكبر والعجب والجهل والرياء والنفاق **فصل**
ينبغي للعاقل ان يتذكر بتخليته لقضاء الحاجة نقصه وحاجته وما يشتمل

عن طهارة القلب عن الاخلاق المذمومة وعمارته
بجهة القدسية والكشف بجلال الله وعظمته سبحانه

عليه

عليه من الاستقذار واستحضار تفسيره عند اخراجها وسكون قلبه من دنسها وتنقية فاذا
للوقوف على بساط الخدمة والتاهل للمناجاة وهوان الدنيا مصير عواقب شهواتها
ولذائذها ونعيمها وفي مصباح الشريعة قال الصادق عليه السلام سمي المستراح مستراحا لا
ستراحة النفوس من اثقال النجاسات واستفراغ الكثافات والقذر فيها والمؤمن
يعتبر عندها ان الخالص من حطام الدنيا كذلك يصير عاقبته فيستريح بالعدول
عنها وبتركها ويفرغ نفسه وقلبه عن شغلها ويستنكف عن جمعها واخذها استنكافه من
النجاسة والغائط والقذر ويتفكر في نفسه المكرمة في حال كيف تصير ذليلة في حال
ويعلم ان التمسك بالقناعة والتقوى يورث له راحة الدارين فان الراحة في هوان
الدنيا والفراغ من التمتع بها وفي ازالة النجاسة من الحرام والشبهة فيغلق عن نفسه
باب الكبر بعد معرفته اياها ويفر من الذنوب ويفتح باب التواضع والندم
والحياء ويجتهد في اداء اوامره واجتناب نواهيه طلبا لحسن المآب وطيب الزلف
ويسجن نفسه في سجن الخوف والصبر والكف عن الشهوات الى ان يتصل
بامان الله في دار القرار ويذوق طعم رضاه فان المعول ذلك وما عداه لا
شيء **فصل** عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان افواهكم طرق القرآن فطيبوها بالسواك
وقال صلى الله عليه وسلم صلوة على اثر السواك افضل من خمس وسبعين صلوة بغير سواك وفي
مصباح الشريعة قال الصادق عليه السلام قال النبي صلى الله عليه وسلم السواك مطهرة للفم مرضاة للرب و
جعلها من السنن المؤكدة وفيها منافع للظاهر والباطن ما لا يحصى لمن عقل وكما تزيل
ما تلوث من اسنانك من مطعمك ومأكلك بالسواك كذلك فازل نجاسة ذنوبك
بالتضرع والخشوع والتهجد والاستغفار بالاسحار وطهر باطنك وظاهرك من
كدورات المخالفات وركوب المناهي كلها خالصا لله فان النبي صلى الله عليه وسلم اراد باستعماله مثلا
لاهل اليقظة وهو ان السواك نبات لطيف نظيف وغصن شجر عذب مبارك

الاسنان خلق خلقه الله تعالى في الخلق التزوادة للمضغ وسببا لاشتهاء الطعام واصلح المعدة وهي جوهر صاف تبتلوث بعجنة تمضيع الطعام وتغيرها بالبخر الفم وتبق له منها الفساد في الدماغ فاذا استاك المؤمن الفطن بالنبات اللطيف ومسحها على الجوهر الصافية ازال عنها الفساد والتغير وعادت الى اصلها كما خلق الله القلب طاهرا صافيا وجعل غذاءه الذكر والفكر والهيبة والتعظيم واذا شيب من الشوب القلب الصافي معدلته بالغفلة والكدر صقل بصقلة التوبة ونظف بماء الانابة ليعود الى حالته الاولى وجوهرية الاصلية الصافية قال الله تعالى ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين وان النبي صلى امرنا بالسنن الظاهر الاسنان واراد بهذا المعنى المثل ومن اناخ تفكره على باب العبرة في استخراج مثل هذه الامثال في الاصل والفرع فتح الله له عيون الحكمة والمزيد من فضل الله والله لا يضيع اجر المحسنين

فصل قال النبي صلى من توضأ فذكر اسم الله طهر جميع جسده وكان الوضوء الى الوضوء كفارة لما بينهما من الذنوب ومن لم يسم لم يطهر من جسده الا ما اصابه الماء وقال الصادق ع من ذكر اسم الله على وضوئه فكانما اغتسل وفي مصباح الشريعة قال الصادق ع اذا اردت الطهارة والوضوء فتقدم الى الماء تقدمك الى رحمة الله فان الله قد جعل الماء مفتاح قربه ومناجاته ودليلا الى بساط خدمته وكما ان رحمته تطهر ذنوب العباد كذلك نجاسات الظاهر يطهرها الماء لا غيره قال الله تعالى وهو الذي ارسل الرياح بشرى بين يدي رحمته وانزلنا من السماء ماء طهورا وقال عز وجل وجعلنا من الماء كل شيء حي فكما احيى به كل شيء من نعيم الدنيا كذلك بفضله ورحمته حياة القلوب بالطاعات وتفكر في صفاء الماء ورقته وطهوره وبركته ولطيف امتزاجه بكل شيء وفي كل شيء واستعمله في تطهير الاعضاء التي امرك الله بتطهيرها وات باداب فرائضه وسننه فان تحت

كل واحد

كل واحد منها فوائد كثيرة اذا استعملتها بالحرمة انفجرت لك عين فوائده عن قرب ثم عامر ما خلق الله تعالى كامتزاج الماء بالاشياء تؤدي كل شيء حقه ولا تتغير عن معناه معتبرا لقول رسول الله صلى مثل المؤمن الخالص كمثل الماء ولتكن صفوتك مع الله تعالى في جميع طاعتك كصفوة الماء حين انزله من السماء وسماه طهورا وطهر قلبك بالتقوى واليقين عند طهارة جوارحك بالماء وقال الرضا ع انما امر بالوضوء ليكون العبد طاهرا اذا قام بين يدي الجبار عند مناجاته اياه مطيعا له فيما امره نقيا من الا ناس والنجاسة مع ما فيه من ذهاب الكسل وطرد النعاس وتزكية الفؤاد للقيام بين يدي الجبار وانما وجب على الوجه واليدين والرأس والرجلين لان العبد اذا قام بين يدي الجبار فانما ينكشف من جوارحه ويظهر ما يوجب فيه الوضوء وذلك انه بوجهه يسجد ويخضع وبيده يسأل ويرغب ويرهب ويتبتل وبرأسه يستقبله في ركوعه وسجوده وبرجليه يقوم ويقعد وامر بالغسل من الجنابة دون الخلاء لان الجنابة من نفس الانسان وهو شيء يخرج من جميع جسده والخلاء ليس هو نفس الانسان انما هو غذاء يدخل من باب ويخرج من باب وفي رواية اخرى عنه ع قال وعلة التخفيف في البول والغائط انه اكثر وادوم من الجنابة فرضي فيه بالوضوء لكثرته ومشقته ومجيئه بغير ارادة منه ولا شهوة والجنابة لا تكون الا بالاستلذاذ منهم والاكراه لانفسهم

فصل قال بعض اصحابنا ما ملخصه ان الدنيا والاخرة ضرتان كلما قربت من احدهما بعدت عن الاخرى فلذلك امر العبد بتطهير الاعضاء الظاهرة الدنيوية عند الاشتغال بعبادة الله تعالى والاقبال عليه فامر في الوضوء بغسل الوجه الذي فيه اكثر الحواس الظاهرة التي هي اعظم الاسباب الباعثة على مطالب الدنيا ليتوجه ويقبل بوجه القلب على الله وهو خال عن تلك الادناس ثم امر بغسل اليدين لمباشرتهما اكثر الامور الدنيوية

الطبيعية المانعة من الاقبال على الاخرة ثم بمسح الرجلين لان بهما يتوصل الى قطع

ويتوصل الى تحصيل مآربه فطهرها جميعا ليسوغ له الدخول بها في العبادة

والاقبال عليها والامر بالغسل بغسل جميع البشرة لان اكثر حالات الانسان واشدها تعلقا

بالملكات الشهوية حالة الوقاع وموجبا الغسل لجميع بدنه مدخل في تلك

الحالة ولهذا قال رسول الله تحت كل شعرة جنابة فحيث كان جميع بدنه بعيدا عن

المرتبة العلية منغمسا في اللذات الشهوية كان غسل الجميع من اهم المطالب لنبه

ليتاهل للمقابلة الجهة الشريفة والدخول في العبادة المنيفة وامر في التيمم بمسح الاعضاء

بالتراب عند تعذر غسلها بالماء وضعا لتلك الاعضاء الرئيسة وهضما لها

بتقليبها باثر التربة الخسيسة فاولما كان للقلب من ذلك الحظ الاوفر والنصيب الاكمل

الاكمل كان الاشتغال بتطهيره من الرذايل والتوجهات المانعة من درك الفضايل

من تطهير الاعضاء الظاهرة عند اللبيب العاقل واذا لم يمكن تطهيره من الاخلاق

الرذيلة وتحليته بالاوصاف الجميلة فليقمه مقام الهضم والازراء ويسقطه بساط

الذل والاغضاء عسى ان يطلع عليه مولاه الرحيم وسيده الكريم وهو منكسر متوقع

فيهب نفحة من نفحات نوره اللامع فانه عند المنكسرة قلوبهم كما ورد في الاثر فترق

من هذه الاشارة الى ما يوجب لك الاقبال وتلافي سالف الاهمال **فصل** قال

امير المؤمنين ع نعم البيت الحمام يذكر فيه النار ويذهب بالدرن وفيه اشارة الى انه

ينبغي للعاقل ان لا يغفل عن ذكر الاخرة ولحظاته فانها مصيره ومستقره فيكون

له في كل ما يراه من ماء او نار او غيرهما عبرة وموعظة فان نظر الى ظلمة تذكر

ظلمة اللحد وان نظر الى حية تذكر افاعي جهنم وان سمع صوتا هائلا تذكر نفخة الصور

وان راى شيئا حسنا تذكر نعيم الجنة وان سمع كلمة رد او قبول تذكر ما

ينكشف له في اخر امره بعد الحساب من الرد والقبول الى غير ذلك والحمام

شر

ويقدر

شبح جهنم النار من تحت والظلام من فوق فينبغي ان يتذكر حر النار بحرارة

نفسه محبوسا في البيت الحار ساعة ويقيس الى جهنم ويستعيذ بالله منها قال

الصادق ع فاذا دخلت البيت الثالث فقل نعوذ بالله من النار ونسئله الجنة

ترددها الى وقت خروجك من البيت الحار **الباب الثالث** في الصلوة والذكر

قال الله تعالى والذين هم في صلوتهم خاشعون وقال فويل للمصلين الذين هم عن صلوتهم

ساهون ذمهم على الغفلة عنها مع كونهم مصلين لا لانهم سهوا عنها وتركوها

وقال سبحانه اقم الصلوة لذكري وقال ولا تكن من الغافلين وقال ولا تقربوا الصلوة

وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون فيه تنبيه على سكر الدنيا اذ بين فيه العلة

وقال النبي ص من صلى ركعتين لم يحدث فيهما نفسه بشيء من الدنيا غفر له ما تقدم من

ذنبه وقال انما الصلوة تمسكن وتواضع وتضرع وتباس وتندم وتقنع تمد

يديك وتقول اللهم اللهم فمن لم يفعل فهي خداج وقال اذا صليت فريضة فصل

لوقتها صلوة مودع تخاف ان لا تعود فيها وقال لا ينظر الله الى صلوة لا يحضر

الرجل فيها قلبه مع بدنه وعن الصادق ع من قبل الله منه صلوة واحدة لم يعذبه

ومن قبل منه حسنة لم يعذبه وروي ان ابراهيم الخليل كان يسمع من صدره ونبينا رسول الله

مثل ذلك وقال بعض ازواجه كان النبي ص يحدثنا ونحدثه فاذا حضرت الصلوة فكانه

لم يعرفنا ولم نعرفه وكان امير المؤمنين ع اذا اخذ في الوضوء تغير وجهه من خيفة الله

وكان ع اذا حضر وقت الصلوة يتزلزل ويتلون فقيل له ما لك يا امير المؤمنين

فيقول جاء وقت امانة عرضها الله على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها

واشفقن منها وكانت فاطمة عليها السلم تنهج في الصلوة من خيفة الله وكان

الحسن صلى الله اذا فرغ من وضوئه تغير لونه

فقيل له في ذلك فقال حق على من اراد ان يدخل على ذي العرش

ان تغير لونه وروى مثل هذا من السجاد ع انه كان اذا توضأ اصفر لونه فيقول
له اهله ما هذا الذي يعتادك عند الوضوء فيقول اتدرون بين يدي من اريد
ان اقوم قيل ورايته يصلي فسقط رداؤه عن منكبيه فلم يسوه حتى فرغ من
صلوته فسالته عن ذلك فقال ويحك اتدري بين يدي من كنت ان العبد
لا يقبل منه صلوة الا ما اقبل فيها فقلت جعلت فداك هلكنا قال كلا ان الله يتم ذلك
بالنوافل وعن الصادق ع قال كان علي بن الحسين ع اذا قام الى الصلوة تغير
لونه واذا سجد لم يرفع راسه حتى يرفض عرقا وعنه ع قال كان ابي يقول كان علي ابن
الحسين ع اذا قام الى الصلوة كانه ساق شجرة لا يتحرك منه الا ما حركت الريح منه
وعنه انه سئل عن حالة لحقته في الصلوة حتى خر مغشيا عليه فلما افاق
قيل له في ذلك فقال ما زلت اردد هذه الاية على قلبي حتى سمعتها من المتكلم بها
فلم يثبت جسمي لمعاينة قدرته قيل وكان لسان الامام ع في تلك الحال كشجرة طور حين
قال اني انا الله وعنه ع قال لا يجتمع الرغبة والرهبة في قلب الا وجبت له
الجنة فاذا صليت فاقبل بوجهك على الله عز وجل فانه ليس من عبد مومن يقبل
بقلبه على الله في صلوته ودعائه الا اقبل الله عليه بقلوب المومنين واليه مع
مودتهم اياه بالجنة وعن الباقر ع قال ان العبد ليرفع له من صلوته نصفها و
ثلثها وربعها وخمسها فما يرفع له الا ما اقبل عليها بقلبه وانما امرنا بالنوافل
ليتم لهم ما نقصوا من الفريضة **فصل** ان قيل المستفاد من هذه الايات
من يغفل عما يقوله فيها ويفعل ليست مقبولة الا بقدر ما اقبل عليه منها والفقها
لم يشترطوا الا حضور القلب عند التكبير والتوجه فكيف التوفيق وايضا فان المصلي
في صلوته ودعائه مناج ربه كما هو معلوم وقد ورد في الخبر ايضا ولا شك ان الكلام
مع الغفلة ليس بمناجاة والكلام اعراب عما في الضمير ولا يصح الاعراب عما
في الضمير

في الضمير الا بحضور القلب فاي سؤال في قولنا اهدنا الصراط المستقيم اذا كان
القلب غافلا ولا شك ان المقصود من القراءة والاذكار الحمد والثناء والتضرع
والدعاء والمخاطب هو الله تعالى وقلب العبد بحجاب الغفلة محجوب عنه فلا يراه
ولا يشاهده بل هو غافل عن المخاطب ولسانه يتحرك بحكم العادة فما ابعد هذا
عن المقصود بالصلوة التي شرعت لتصقيل القلب وتجديد ذكر
الله ورسوخ عقد الايمان بها هذا حكم القراءة والذكر واما الركوع والسجود
فالمقصود التعظيم بهما قطعا والتعظيم كيف يجتمع مع الغفلة واذا خرج
عن كونه تعظيما لم يبق الا مجرد حركة الظهر والراس وليس فيه من المشقة ما يقصد
الامتحان به ثم يجعل عماد الدين والفاصل بين الكفر والاسلام ويقدم على
ساير العبادات ويجب القتل بسبب تركه على الخصوص **فاعلم** ان بين
القبول والاجزاء فرقا فان المقبول من العبادة ما يترتب عليه الثواب في الاخرة
ويقرب الى الله زلفى والاجزاء ما يسقط التكليف فالتكليف انما هو بقدر حو
صلة الخلق وقابليتهم في سعتهم وقصورهم فلا يمكن ان يشترط عليهم جميعا
احضار القلب في جميع الصلوة فان ذلك يعجز عنه كل البشر الا الاقلين واذا لم
يمكن اشتراط الاستيعاب للضرورة فلا مرد له الا ان يشترط منه ما يطلق عليه
الاسم ولو في اللحظة الواحدة واولى اللحظات به لحظة التكبيرة والتوجه
فاقتصر على التكليف بذلك ونحن مع ذلك نرجوا ان لا يكون حال الغافل في جميع
صلوته مثل حال التارك بالكلية فانه على الجملة اقدم على الفعل ظاهرا واحضر
القلب لحظة وكيف لا والذي صلى مع الحدث ناسيا صلوته باطلة عند الله
ولكن له اجر ما بحسب فعله وعلى قدر قصوره وعذره وقد ذكرنا في باب
العقايد في الفرق بين العلم الباطن والظاهر ان قصور الخلق احد الاسباب

المبالغة من التصريح بكل ما ينكشف من اسرار الشرع وحاصل الكلام ان حضور
القلب هو روح الصلوة وان اقل ما يبقى به الروح الحضور عند التكبير فا
لنقصان منه هلاك وبقدر الزيادة عليه ينبسط الروح في اجزاء الصلوة
وكم من حي لا حراك به قريب من الميت فصلوة الغافل في جميعها الا عند التكبير
حي لا حراك به **فصل** اعلم ان المعاني الباطنة التي بها تتم حيوة الصلوة
تجمعها ست جمل وهي حضور القلب والتفهم والتعظيم والهيبة والرجاء والحياء
فالاول حضور القلب ونعني به ان يفرغ القلب من غير ما هو ملابس له ومتكلم
به فيكون العلم بالفعل والقول مقرونا بهما ولا يكون الفكر جاريا في غيرهما
ومهما انصرف عن غير ما هو فيه وكان في قلبه ذكر لما هو فيه ولم يكن فيه غفلة عنه
فقد حصل حضور القلب ثم التفهم لمعنى الكلام وهو امر وراء حضور
القلب فربما يكون القلب حاضرا مع اللفظ ولا يكون حاضرا مع معنى اللفظ فا
شتمال القلب على العلم بمعنى اللفظ هو الذي اردنا بالتفهم وهذا مقام يتفاوت
فيه الناس اذ ليس يشترك في تفهم المعاني للقران والتسبيحات وكم من معان
لطيفة يفهمها المصلي في اثناء الصلوة ولم يكن قد خطر بقلبه قبل ذلك ومن هذا
الوجه كانت الصلوة ناهية عن الفحشاء والمنكر فانها تفهم امورا تلك الامور
تمنع من الفحشاء والمنكر لا محالة ثم التعظيم وهو امر وراء حضور القلب والفهم
اذ الرجل ربما يخاطب غيره بكلام هو حاضر القلب فيه ومتفهم لمعناه ولا يكون
معظما له ثم الهيبة وهي زيادة على التعظيم اذ هي عبارة عن خوف منشاه
التعظيم لان من لا يخاف لا يسمى هائبا ثم كل خوف لا يسمى مهابة بل الهيبة
خوف مصدره الاجلال ثم الرجاء فان العبد ينبغي ان يكون راجيا بصلوته
ثواب الله كما انه خائف بتقصيره عقاب الله ثم الحيا ومستنده استشعار تقصيره وتوهم

ذنب

ذنب ولنذكر اسباب هذه المعاني الستة **فاعلم** ان حضور القلب سببه الهمة
فان قلبك تابع لهمك فلا يحضر الا فيما يهمك ومهما اهمك امر حضر القلب شاء ام
ابى فهو مجبول عليه ومسخر فيه والقلب اذا لم يحضر في الصلوة لم يكن متعطلا
بل كان حاضرا فيما الهمة مصروفة اليه من امور الدنيا فلا حيلة ولا علاج
لاحضار القلب الا بصرف الهمة الى الصلوة والهمة لا تنصرف اليها ما لم
يتبين ان الغرض المطلوب منوط بها وذلك هو الايمان والتصديق بان
الاخرة خير وابقى وان الصلوة وسيلة اليها فاذا اضيف هذا الى حقيقة العلم
بحقارة الدنيا ومهماتها حصل من مجموعهما حضور القلب في الصلوة واما
التفهم فسببه بعد حضور القلب ادمان الفكر وصرف الذهن الى ادراك
المعنى وعلاجه ما هو علاج احضار القلب مع الاقبال على الفكر والتشمر لدفع
الخواطر الشاغلة وعلاج دفع الخواطر الشاغلة قطع موادها اعني النزوع
عن تلك الاسباب التي تنجذب الخواطر اليها وما لم ينقطع تلك المواد لا ينصرف
عنها الخواطر فمن احب شيئا اكثر ذكره فذكر المحبوب يهجم على القلب بالضرورة
فلذلك ترى من احب غير الله لا يصفو له صلوة عن الخواطر واما التعظيم فهو
حالة للقلب تتولد من معرفتين احدهما معرفة جلال الله وعظمته وهي من اصول
الايمان فان من لا يعتقد عظمته لا تذعن النفس لتعظيمه الثانية معرفة حقارة
النفس وخستها وكونها عبدا مسخرا مربوبا حتى تتولد من المعرفتين الاستكانة والا
نكسار والخشوع لله فيعبر عنه بالتعظيم والخشوع فان المستغني عن غيره الآ
من على نفسه يجوز ان يعرف من غيره صفات العظمة ولا يكون الخشوع والتعظيم
حاله لان القرينة الاخرى وهي معرفة حقارة النفس وحاجتها لم يقترن
اليه واما الهيبة والخوف فحالة للنفس تتولد من المعرفة بقدرة الله و

ومالم يمتزج معرفة حقارة النفس
بمعرفة جلال الرب لا ينتظم حالة
التعظيم

وسطوته ونفوذ مشيته فيه مع قلة المبالاة به وانه لو اهلك الاولين والآخرين
لم ينقص من ملكه ذرة هذا مع مطالعة ما يجري على الانبياء والاولياء من المصائب
وانواع البلاء مع القدرة على الدفع وبالجملة كلما ازداد العلم بالله ازدادت الخشية
والهيبة واما الرجا فسببه معرفة لطف الله وكرمه وعميم انعامه ولطائف صنعه
ومعرفة صدقه في وعده الجنة بالصلوة فاذا حصل اليقين بوعده والمعرفة
بلطفه انبعث من مجموعها الرجا لا محالة واما الحياء فباستشعار التقصير في
وعلمه بالعجز عن القيام بعظم حق الله ويقوى ذلك بالمعرفة بعيوب النفس
وآفاتها وقلة اخلاصها وخبث دخلتها وميلها الى الحظ العاجل في
جميع افعالها مع العلم بعظيم ما يقتضيه جلال الله والعلم بانه مطلع على
السريرة وخطرات القلب وان دقت وخفيت وهذه المعارف اذا حصلت
يقينا انبعث منها بالضرورة حالة تسمى الحياء. فصل اعلم ان المؤمن لا بد
وان يكون معظما لله وخائفا منه وراجيا ومستحييا من تقصيره فلا ينفك — ينفك صح
عن هذه الاحوال بعد ايمانه وان كانت قوتها بقدر قوة يقينه فانفكاكه عنها
في الصلوة لا سبب له الا تفرق الفكر وتقسيم الخاطر وغيبة القلب عن المناجاة
والغفلة عن الصلوة ولا تلهي عن الصلوة الا الخواطر الواردة الشاغلة فالدوا
في احضار القلب هو دفع تلك الخواطر ولا يدفع الشيء الا بدفع سببه وسبب توارد
الخواطر اما ان يكون امرا خارجا او امرا في ذاته باطنا اما الخارج فما يقرع السمع — خارجا صح
او يظهر للبصر فان ذلك قد يختطف الهم حتى يتبعه ويتصرف فيه ثم تنجر منه
الفكر الى غيره ويتسلسل ويكون الابصار سببا للافكار ثم يصير بعض
تلك الافكار سببا للبعض ومن قويت نيته وعلت همته لم يلهه ما يجري على
حواسه ولكن الضعيف لا بد وان يتفرق به فكره فعلاجه قطع هذه الاسباب

بان

او يصلي في بيت مظلم او لا يترك بين يديه ما يشغل حسه ويقرب من حائط عند صلوته حتى لا تتسع مسافة بصره

بان يغض بصره ويحترز من الصلوة على الشوارع وفي المواضع المنقوشة المصنوعة
ولذلك كان المتعبدون يتعبدون في بيت صغير مظلم سعته بقدر السجود ليكون
اجمع للهم والاقوياء كانوا يحضرون المساجد ويغضون البصر ولا يجاوزون موضع
السجود ويرون كمال الصلوة في ان لا يعرفوا من على يمينهم وشمالهم
واما الاسباب الباطنة فهي اشد فان من تشعبت به الهموم في اودية الدنيا لم ينحصر
فكره في فن واحد بل لا يزال يطير من جانب الى جانب وغض البصر لا يغنيه فان
ما وقع في القلب من قبل كاف في الشغل فهذا طريقه ان يرد النفس قهرا الى فهم ما
يقرأه ويشغلها به عن غيره ويعينه على ذلك ان يستعد له قبل التحريم بان يجدد
على نفسه ذكر الآخرة وموقف المناجاة وخطر المقام بين يدي الله تعالى وهول
المطلع ويفرغ قلبه قبل التحريم بالصلوة عما يهمه فلا يترك لنفسه شغلا
يلتفت اليه خاطره فهذا طريق تسكين الافكار فان كان لا يسكن افكاره بهذا الدواء — هائج صح
فلا ينجيه الا المسهل الذي يقمع مادة الدواء من اعماق العروق وهو ان
ينظر في الامور الشاغلة الصارفة له عن احضار القلب ولا شك في انها
تعود الى مهماته وانها انما صارت مهمة بشهواته فليعاقب نفسه بالنزوع
عن تلك الشهوات وقطع تلك العلائق فكل ما يشغله عن صلوته فهو ضد دينه
وجند ابليس عدوه فامساكه اضر عليه من اخراجه فيتخلص عنه باخراجه ولا — فهذا اصل الدواء الذي هو قطع مادة العلل صح
ينفع غير ذلك فان ما ذكرناه من التلطف بالتسكين والرد الى فهم الذكر انما
ينفع في الشهوات الضعيفة والهمم التي لا تشغل الا حواشي القلب فاما الشهوة
القوية المرهقة فلا ينفع معها التسكين بل لا تزال تجاذبها وتجاذبك
ثم تغلبك وتنقضي جميع صلوتك في شغل المجاذبة ومثاله مثال رجل تحت
شجرة اراد ان يصفو له فكره وكانت اصوات العصافير تشوش عليه فلم يزل

يطيرها بخشبة هي في يده ويعود الى فكره فتعود العصافير فيعود الى التنفير
بالخشبة فقيل له ان هذا سير السواني ولا ينقطع فان اردت الخلاص فاقطع
الشجرة فكذلك شجرة الشهوة اذا استعلت وتفرعت اغصانها انجذبت اليها
الافكار انجذاب العصافير الى الاشجار وانجذاب الذباب الى الاقذار والشغل يطول
في دفعها فان الذباب كلما ذب آب ولاجله سمي ذبابا فكذلك الخواطر وهذه الشهوات كثيرة وقلما
يخلو العبد عنها ويجمعها اصل واحد وهو حب الدنيا وذلك راس كل خطيئة واساس كل
نقصان ومنبع كل فساد ومن انطوى باطنه على حب الدنيا حتى مال الى شيء منها لا ليتزود
منها ويستعين بها على الاخرة فلا يطمعن في ان يصفو له لذة المناجاة في الصلوة
فان من فرح بالدنيا فلا يفرح بالله وبمناجاته وهمة الرجل مع قرة عينه فان كانت قرة عينه في الدنيا انصرف
لا محالة اليها همه ولكن مع هذا فلا ينبغي ان يترك المجاهدة ورد القلب الى الصلوة وتقليل
الاسباب الشاغلة فهذا هو الدواء ولمرارته استبشعته الطباع وبقيت العلة
مزمنة وصار الداء عضالا حتى ان الاكابر اجتهدوا ان يصلوا ركعتين لا يحدثوا انفسهم
فيها بامور الدنيا فعجزوا عنه فاذن لا مطمع فيه لامثالنا وليته سلم لنا من الصلوة
شطرها او ثلثها من الوسواس لنكون ممن خلطوا عملا صالحا واخر سيئا وبالجملة
فهمة الدنيا وهمة الاخرة في القلب مثل الماء الذي يصب في قدح مملوء بخل فبقدر ما
يدخل فيه من الماء يخرج منه من الخل لا محالة ولا يجتمعان **فصل** اذا سمعت
نداء المؤذن فاحضر في قلبك هول النداء يوم القيمة وتشمر بظاهرك وباطنك
للاجابة والمسارعة فان المسارعين الى هذا النداء هم الذين ينادون باللطف يوم
العرض الاكبر فاعرض قلبك على هذا النداء فان وجدته مملوءا بالفرح والاستبشار مشحونا بالرغبة فاعلم انه يأتيك
النداء بالبشرى والفوز يوم القضاء ولذلك قال النبي ارحنا يا
بلال اي ارحنا بها وبالنداء اليها وكانت قرة عينه فيها واعتبر بفصول

الاذان وكلماته كيف افتتحت بالله واختتمت بالله واعتبر بذلك ان الله
جل جلاله هو الاول والاخر والظاهر والباطن ووطن قلبك بتعظيمه عند سماع
التكبير واستحقر الدنيا وما فيها لئلا تكون كاذبا في تكبيرك وانف عن خاطرك كل
معبود سواه بسماع التهليل واحضر النبي صلى الله عليه وآله وتادب بين يديه واشهد له بالرسالة
مخلصا وصل عليه وآله وحرك نفسك واسع بقلبك وقالبك عند الدعاء الى الصلوة
وما يوجب الفلاح وبخير الاعمال وجدد عهدك بعد ذلك بتكبير الله وتعظيمه
واختم به املك كما افتتحت به واجعل مبدأك منه وعودك اليه وقوامك به واعتمادك
على حوله وقوته فانه لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم **فصل** اذا اتيت با
لطهارة في مكانك وهو ظرفك الابعد ثم في ثيابك وهي غلافك الاقرب ثم في بشرتك
وهي قشرك الادنى فلا تغفل عن لبك الذي هو ذاتك وهو قلبك فاجتهد له تطهيرا
بالتوبة والندم على ما فرط وتصميم العزم على الترك في المستقبل فطهر بها باطنك فانه
موقع نظر معبودك قال الصادق ع وطهر قلبك بالتقوى واليقين عند طهارة جوارحك
بالماء وقد مضى تمام الخبر في باب الطهارة ثم اذا سترت قبائح بدنك عن ابصار الخلق باللباس
فاحفظها لك فضائح سرك التي لا يطلع عليها الا ربك ولتطالب نفسك بسترها
وتحقق انه لا يسترها عن عين الله ساتر وانما يكفرها الندم والحياء والخوف فتستفيد باحضارها
في قلبك انبعاث جنود الخوف والحياء من مكامنها فتذل به نفسك وتستكين تحت
الخجلة وتقوم بين يدي الله تعالى قيام العبد المجرم المسيء الابق الذي ندم فرجع الى مولاه
ناكسا راسه من الحياء والخوف وفي مصباح الشريعة قال الصادق ع ازين اللباس للمؤمنين
لباس التقوى وانعمه الايمان قال الله تعالى ولباس التقوى ذلك خير واما اللباس الظاهر فنعمة
من الله يستر بها عورات بني ادم وهي كرامة اكرم الله بها عباده وذرية ادم ما لم يكرم بها غيرهم وهي
للمؤمنين الة لاداء ما افترض الله عليهم وخير لباسك ما لا يشغلك عن الله بل

واختتمت ل

يقربك من شكره وذكره وطاعته ولا يميلك الى العجب والريا والتزين والمفاخرة والخيلاء
فانها من آفات الدين ومورثة القسوة في القلب واذا لبست ثوبك فاذكر ستر الله عليك
ذنوبك برحمته والبس باطنك بالصدق كما البست ظاهرك بثوبك وليكن باطنك
في ستر الرهبة وظاهرك في ستر الطاعة واعتبر بفضل الله عز وجل حيث خلق اسباب
اللباس لتستر العورات الظاهرة وفتح ابواب التوبة والانابة لتستر بها عورات الباطن
من الذنوب واخلاق السوء ولا تفضح احدا حيث ستر الله عليك اعظم منه واشتغل
بعيب نفسك واصفح عما لا يعنيك حاله وامره واحذر ان يفنى عمرك بعمل غيرك ويتجر براس مالك
غيرك وتهلك نفسك فان نسيان الذنوب من اعظم عقوبة الله تعالى في العاجل واوفر اسباب
العقوبة في الآجل وما دام العبد مشتغلا بطاعة الله ومعرفة عيوب نفسه وترك ما
يشين في دين الله فهو بمعزل من الآفات خائض في بحر رحمة الله يفوز بجواهر الفوائد
من الحكمة والبيان وما دام ناسيا لذنوبه جاهلا بعيوبه راجعا الى حوله وقوته لا يفلح
اذا ابدا

فصل وفي مصباح الشريعة قال الصادق ع اذا بلغت باب المسجد
فاعلم انك قصدت ملكا عظيما لا يطأ بساطه الا المطهرون ولا يؤذن لمجالسته الا
الصديقون وهب القدوم الى بساط خدمته هيبة الملك فانك على خطر عظيم ان
غفلت واعلم انه قادر على ما يشاء من العدل والفضل معك وبك فان عطف عليك
بفضله ورحمته قبل منك يسير الطاعة واجزل لك عليها ثوابا كثيرا وان طالبك باستحقاق
الصدق والاخلاص عدلا بك حجبك ورد طاعتك وان كثرت وهو فعال لما يريد واعترف
بعجزك وتقصيرك وفقرك بين يديه فانك قد توجهت للعبادة له والمؤانسة به واعرض
اسرارك عليه ولتعلم انه لا يخفى عليه اسرار الخلائق اجمعين وعلانيتهم وكن كافقر
عباده بين يديه واخل قلبك من كل شاغل يحجبك عن ربك فانه لا يقبل الا الاطهر
والاخلص فانظر من اي ديوان يخرج اسمك فان ذقت من حلاوة مناجاته ولذيذ مخاطباته

وشربت

وشربت بكاس رحمته وكراماته من حسن اقباله عليك واجابته فقد صلحت لخدمته فادخل
فلك الاذن والامان والا فقف وقوف مضطر قد انقطع عنه الحيل وقصر
عنه الامل وقضى عليه الاجل فاذا علم الله من قلبك صدق الالتجاء اليه نظر اليك بعين
الرأفة والرحمة والعطف ووفقك لما يحب ويرضى فانه كريم يحب الكرامة لعباده
المضطرين اليه المحترقين على بابه لطلب مرضاته قال الله تعالى امن يجيب المضطر
اذا دعاه

فصل واما الاستقبال فهو صرف ظاهر وجهك عن سائر الجهات
الى جهة بيت الله امتثالا لامره وصرف القلب عن سائر الامور الى امر الله ليس مطلوبا
منك هيئتها فلا مطلوب سواه وانما هذه الظواهر تحريكات للبواطن وضبط للجوارح
وتسكين لها بالاثبات في جهة واحدة حتى لا تبغي على القلب فانها اذا بغت وظلمت
في حركاتها الى جهاتها استتبعت القلب وانقلبت به عن وجه الله فليكن وجه
قلبك مع وجه بدنك واعلم انه كما انه لا يتوجه الوجه الى جهة البيت الا بالصرف
عن غيرها فلا ينصرف القلب الى الله تعالى الا بالتفرغ عما سوى الله تعالى وقد قال
النبي ص اذا قام العبد الى صلوته وكان هواه وقلبه الى الله انصرف كيوم ولدته امه و
قال النبي ص اما يخاف الذي يحول وجهه في الصلوة ان يحول الله وجهه وجه
حمار ومعناه النهي عن الالتفات عن الله وملاحظة عظمته في حال الصلوة فان
الملتفت يمينا وشمالا ملتفت عن الله وغافل عن مطالعة انوار كبريائه ومن
كان كذلك فيوشك ان يدوم تلك الغفلة عليه فيتحول وجه قلبه كوجه قلب الحمار
في قلة عقله للامور العلوية وعدم فهمه للعلوم الظاهرة وفي مصباح الشريعة قال
الصادق ع اذا استقبلت القبلة فآيس من الدنيا وما فيها والخلق وما هم فيه واستفرغ
قلبك من كل شاغل يشغلك عن الله تعالى وعاين بسرك عظمة الله واذكر وقوفك
بين يديه يوم تبلو كل نفس ما اسلفت وردوا الى الله مولاهم الحق وقف على

تدم الخوف والرجاء **فصل** واما القيام فهو مثول بالشخص والقلب بين يدي الله
فليكن راسك الذي هو ارفع اعضائك مطرقا مطاطا متنكسا وليكن وضع
الراس عن ارتفاعه تنبيها على الزام القلب التواضع والتذلل والتبري عن الترأس
والتكبر وليكن على ذكرك ههنا خطر المقام بين يدي الله في هول المطلع عند العرض
للسؤال واعلم في الحال انك قائم بين يدي الله وهو مطلع عليك فقم بين يديه
قيامك بين يدي بعض ملوك الزمان ان كنت تعجز عن معرفة كنه جلاله بل قدر في دوام
قيامك في صلوتك انك ملحوظ ومرقوب بعين كالئة من رجل صالح من اهلك او ممن ترغب في
ان يعرفك بالصلاح فانه تهدى عند ذلك اطرافك وتخشع جوارحك وتسكن
جميع اجزائك خيفة ان ينسبك ذلك العاجز المسكين الى قلة الخشوع واذا احسست
من نفسك التماسك عند ملاحظة عبد مسكين فعاتب نفسك وقل لها انك تدعين
معرفة الله وحبه افلا تستحيين من اجترائك عليه مع توقيرك عبدا من عباده
او تخشين الناس ولا تخشينه وهو احق ان تخشاه سئل النبي صلى الله عليه وسلم كيف
الحياء من الله فقال تستحيي من الرجل الصالح من اهلك **فصل** اذا توجهت با
تستحيي منه كما تستحيي م
لتكبير فاستحضر عظمة الله سبحانه وصغر نفسك وخسة عبادتك في جنب
عظمته واحتاط همتك عن القيام بوظائف خدمته واستتمام حقائق عبادته
وتفكر عند قولك اللهم انت الملك الحق في عظم ملكه وعموم قدرته واستيلائه
على جميع العالم ثم ارجع الى نفسك بالذل والانكسار والاعتراف بالذنوب والاستغفار
عند قولك ظلمت نفسي فاغفر لي انه لا يغفر الذنوب الا انت واحضر عند قولك
بالقيام بجد الخدمة ومثل نفسك بين يديه وانه قريب منك مجيب دعوة الداعي
اذا دعاه ويسمع نداءه وان بيده خير الدنيا والاخرة لا بيد غيره عند قولك لبيك و
سعديك والخير في يديك ونزهه من الظلم والشر وابدا لهما بمحض الهداية ولا تشا

عند

عند قولك والشر ليس اليك فانما هو من هويت واعترف بالعبودية واتصوله وعبدك
وعبده ومعاده منه بقولك عبدك وابن عبديك منك وبك ولك واليك اي منك
وجوده وبك قوامه ولك ملكه واليك معاده ومصيره الذي بين الخلق ثم بعده فاحضر
في ذهنك هذه الحقائق وترقبها الا ما يفتح عليك من الاسرار والدقائق وتلق الفيض
من العالم الاعلى **فصل** واما النية فاعزم على اجابة الله تعالى في امتثال امره بالصلوة و
اتمامها والكف عن نواقضها ومفسداتها والاخلاص في جميع ذلك لوجه الله رجاء لثوابه وخوفا
من عقابه وطلبا للقربة منه متقلدا للمنة باذنه اياك في المناجاة مع سوء ادبك
وكثرة عصيانك وعظم في نفسك قدر مناجاته وانظر من تناجي وكيف تناجي
وبماذا تناجي وعند هذا ينبغي ان يعرق جبينك من الخجل وترتعد فرائصك
من الهيبة ويصفر وجهك من الخوف واما التكبير فمعناه ان الله سبحانه اكبر من كل شيء
او اكبر من ان يوصف او ان يدرك بالحواس او يقاس بالناس فاذا نطق به لسانك
فينبغي ان لا يكذبه قلبك وان كان في قلبك شيء هو اكبر من الله تعالى فالله يشهد انك
كاذب وان كان الكلام صدقا كما شهد على المنافقين في قولهم انك لرسول الله فان كان
هواك اغلب عليك من امر الله وانت اطوع له منك لله فقد اتخذته الهك وكبرته فيوشك ان يكون
قولك الله اكبر كلاما باللسان المجرد وقد تخلف القلب عن مساعدته وما اعظم الخطر في ذلك
لولا التوبة والاستغفار وحسن الظن بكرم الله وعفوه وفي مصباح الشريعة قال
الصادق عليه السلام اذا كبرت فاستصغر ما بين السموات العلى والثرى دون كبريائه فان الله تعالى
اذا اطلع على قلب العبد وهو يكبر وفي قلبه عارض عن حقيقة تكبيره قال يا كاذب اتخدعني
وعزتي وجلالي لاحرمنك حلاوة ذكري ولاحجبنك عن قربي والمسارة بمناجاتي
فاعتبر انت قلبك حين صلوتك فان كنت تجد حلاوتها وفي نفسك سرورها
وبهجتها وقلبك مسرور بمناجاته ملتذ بمخاطباته فاعلم انه قد صدقك في تكبيرك والا فقد

عرفت من سلب حلاوة المناجاة وحرمان حلاوة العبادة انه دليل على تكذيب الله لك ف
طردت عن بابه **فصل** واما دعاء الاستفتاح فاول كلماته قولك وجهت وجهي
للذي فطر السموات والارض حنيفا مسلما وليس المراد بالوجه الوجه الظاهر فانك انما
وجهته الى جهة القبلة والله سبحانه مقدس عن ان تحده الجهات حتى تقبل بوجه بدنك
عليه وانما وجه القلب هو الذي يتوجه به الى فاطر السموات والارض فانظر اليه امتوجه
هو الى امانيه وهمه في البيت والسوق ومتبع الشهوات ام مقبل الى فاطر السموات و
الارض واياك ان يكون اول مفاتحتك للمناجاة بالكذب والاختلاق ولن
ينصرف الوجه الى الله الا بانصرافه عما سواه فاجتهد في الحال في صرفه اليه وان
عجزت عنه على الدوام ليكون قولك في الحال صادقا واذا قلت حنيفا مسلما
فينبغي ان يخطر ببالك ان المسلم هو الذي سلم المسلمون من لسانه ويده فان لم
تكن كذلك كنت كاذبا فاجتهد ان تعزم عليه في الاستقبال وتندم على ما سبق من
الاحوال واذا قلت وما انا من المشركين فاخطر ببالك الشرك الخفي فان قوله تعالى فمن
كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا نزل فيمن قصد
بعبادته وجه الله وحمد الناس وكن متقيا من هذا الشرك واستشعر الخجلة في
قلبك ان وصفت نفسك بانك لست من المشركين من غير براءة من هذا الشرك فان
اسم الشرك يقع على القليل والكثير منه واذا قلت محياي ومماتي لله فاعلم ان هذا حال
عبد مفقود لنفسه موجود لسيده وانه ان صدر ممن رضاه وغضبه وقيامه وقعوده
ورغبته في الحياة ورهبته من الموت لامور الدنيا لم يكن ملائما للحال
فصل واذا قلت اعوذ بالله من الشيطان الرجيم فاعلم انه عدوك ومترصد
لصرف قلبك عن الله حسدا لك على مناجاتك مع الله وسجودك له مع انه لعن بسبب
سجدة واحدة تركها ولم يوفق لها وان استعاذتك بالله منه بترك ما يحبه

وتبديله

وتبديله بما يحب الله لا بمجرد قولك وان من قصده سبع او عدو ليفترسه او
يقتله فقال اعوذ منك بذلك الحصن الحصين وهو ثابت على مكانه ان ذلك
لا ينفعه بل لا يغنيه الا تبديل المكان فكذلك من يتبع الشهوات التي هي محاب الشيطان و
مكاره الرحمن فلا يغنيه مجرد القول فليقترن قوله بالعزم على التعوذ بحصن الله عز
وجل من شر الشيطان وحصنه لا اله الا الله اذ قال الله تعالى لا اله الا الله حصني والمتحصن
به من لا معبود له سوى الله فاما من اتخذ الهه هواه فهو في ميدان الشيطان لا في حصن
الله واعلم ان من مكايده ان يشغلك في الصلاة بفكر الاخرة وتدبير فعل الخيرات
ليمنعك عن فهم ما تقرا فاعلم ان كل ما يشغلك عن معاني القراءة فهو وسواس فان حركة
اللسان غير مقصودة بل المقصود المعاني واما القراءة فالناس فيها ثلثة رجل يتحرك لسانه
وقلبه غافل ورجل يتحرك لسانه وقلبه يتبع اللسان فيسمع ويفهم منه كانه يسمعه من غيره
وهو درجة اصحاب اليمين ورجل يسبق قلبه الى المعاني اولا ثم يخدم اللسان قلبه فيترجمه
ففرق بين ان يكون اللسان ترجمان القلب او يكون معلم القلب والمقربون لسانهم ترجمان
يتبع القلب **فصل** واذا قلت بسم الله الرحمن الرحيم فانو به التبرك
لابتداء القراءة لكلام الله وافهم ان معناه ان الامور كلها بالله وان المراد بالاسم
ههنا هو المسمى واذا كانت الامور بالله فلا جرم كان الحمد لله ومعناه ان الشكر
لله اذ النعم من الله ومن يرى من غير الله نعمة او يقصد غير الله بشكر لا من حيث انه مسخر
من الله ففي تسميته وتحميده نقصان بقدر التفاته الى غير الله فاذا قلت الرحمن الرحيم
فاحضر في قلبك انواع لطفه لتتضح لك رحمته فينبعث به رجاؤك ثم استشعر من
قلبك التعظيم والخوف بقولك مالك يوم الدين اما العظمة فلانه لا ملك الا له واما
الخوف فلهول يوم الجزاء والحساب الذي هو مالكه ثم جدد الاخلاص بقولك اياك نعبد
وجدد العجز والاحتياج والتبري من الحول والقوة بقولك اياك نستعين وتحقق انه ما تيسرت

طاعتك الا باعانتك وان لم تعنا اذ وفقتك لطاعتك ويحجب عنك لطاعتك وجعلتك اهلا
لمناجاتك ولولا توفيق لكنت من المطرودين مع الشيطان اللعين ثم اذا فرغت
من التفويض بقولك بسم الله ومن التحميد ومن اظهار الحاجة الى الاعانة مطلقا فعين سؤالك
ولا تطلب الا اهم حاجاتك وقل اهدنا الصراط المستقيم الذي يسوقنا الى جوارك ويفضي بنا
الى مرضاتك وزده شرحا وتفصيلا وتاكيدا واستشهادا بالذين انعم عليهم بنعمة الهداية من النبيين
والصديقين والشهداء والصالحين دون الذين غضب عليهم من الكفار والزايغين
من اليهود والنصارى والصابئين فاذا تلوت الفاتحة كذلك فتشبه ان تكون ممن قال
الله تعالى فيهم فيما اخبر عنه النبي ع قسمت الصلوة بيني وبين عبدي نصفين نصفها
لي ونصفها لعبدي يقول العبد الحمد لله رب العالمين فيقول الله حمدني عبدي واثنى
علي وهو معنى قوله سمع الله لمن حمده الحديث فان لم يكن لك من صلوتك حظ سوى
ذكر الله لك في جلاله وعظمته فناهيك به غنيمة فكيف ما ترجوه من ثوابه وفضله
وكذلك ينبغي ان تفهم ما تقراه من السور كما ياتي في باب تلاوة القران فلا تغفل
عن امره ونهيه ووعده ووعيده ومواعظه واخبار انبيائه وذكر منته و
احسانه فلكل واحد حق فالرجاء حق الوعد والخوف حق الوعيد والعزم حق الامر بالمعروف والنهي
عن المنكر والاتعاظ حق الموعظة والشكر حق ذكر المنة والاعتبار حق اخبار الانبياء
وتكون هذه المعاني بحسب درجات الفهم ويكون الفهم بحسب وفور العلم
وصفاء القلب ودرجات ذلك لا ينحصر والصلوة مفتاح القلوب فيها ينكشف
اسرار الكلمات فهذا حق القراءة وهو حق الاذكار والتسبيحات ايضا ثم تراعي الهيئة في القراءة
فترتل ولا تسرد ولا تعجل فان ذلك ايسر للتامل وتفرق بين نغمات ايات الرحمة والعذاب
والوعد والوعيد والتمجيد والتعظيم كان بعضهم اذا مر بمثل قوله ما اتخذ الله من ولد
وما كان معه من اله يغض صوته كالمستحيي عن ان يذكره بكل شيء وتقول لصاحب القران اقرأ

وارق

طرق نكل قراءة اية صعد درجة **فصل** واما دوام القيام فهو تنبيه على
ادامة القلب مع الله على نعت واحد من الحضور قال النبي ع ان الله مقبل على
المصلي ما لم يلتفت وكما يجب حراسة الراس والعين عن الالتفات الى الجهات فكذلك
يجب حراسة السر عن الالتفات الى غير الصلوة فان التفت الى غيرها فذكره باطلاع الله عليك
وقبح التهاون بالمناجي عند غفلة المناجي ليعود اليه والزم الخشوع للقلب فان
الخلاص عن الالتفات ظاهرا وباطنا ثمرة الخشوع ومهما خشع الباطن خشع الظاهر
قال وقد راى مصليا يعبث بلحيته اما هذا لو خشع قلبه لخشعت جوارحه
فان الرعية بحكم الراعي ولهذا ورد في الدعاء اللهم اصلح الراعي والرعية وهو القلب
والجوارح وكان ذلك يقتضيه الطبع بين يدي من يعظم من ابناء الدنيا فكيف لا يتقاضاه
بين يدي ملك الملوك عند من يعرفه ملك الملوك ومن يطمئن بين يدي غير الله خاشعا
ويضطرب اطرافه بين يدي الله فذلك لقصور معرفته عن جلال الله وعن اطلاعه على
سره وضميره وتدبر قوله تعالى الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين **فصل**
واما الركوع فينبغي ان تجدد عنده ذكر كبرياء الله وترفع يديك مستجيرا بعفو الله من
عقابه ومتبعا سنة نبيه ثم تستانف له ذلا وتواضعا بركوعك وتجتهد في ترقيق
قلبك وتجديد خشوعك وتستشعر ذلك وعز مولاك واتضاعك وعلو ربك
وتستعين على تقرير ذلك في قلبك بلسانك فتسبح ربك وتشهد له بالعظمة وانه اعظم
من كل عظيم وتكرر ذلك على قلبك لتاكده بالتكرار ثم ترفع عن ركوعك راجيا انه راحم ذلك
وتؤكد الرجاء في نفسك بقولك سمع الله لمن حمده اي اجاب الله لمن شكره
ثم تردف ذلك بالشكر المتقاضي للمزيد فتقول الحمد لله رب العالمين ثم تزيد في
الخشوع والتذلل فتقول اهل الكبرياء والعظمة والجود والجبروت وعن
امير المؤمنين ع انه سئل عن معنى مد العنق في الركوع فقال تاويله امنت بك

سبحان ربي العظيم وبحمده [illegible]

ولو ضربت عنقه وفي مصباح الشريعة قال الصادق ع لا يركع عبد لله ركوعا على
الحقيقة الا زينه الله بنور بهائه واظله في ظلال كبريائه وكساه كسوة اصفيائه
والركوع اول والسجود ثان فمن اتى بمعنى الاول صلح للثاني وفي الركوع ادب وفي السجود قرب
ومن لا يحسن الادب لا يصلح للقرب فاركع ركوع خاضع لله بقلبه متذلل وجل تحت
سلطانه خافض له بجوارحه خفض خائف حزين على ما يفوته من فائدة الراكعين وحكي
ان ربيع بن خثيم كان يسهر بالليل الى الفجر في ركعة واحدة فاذا هو اصبح تزفر وقال
اه سبق المخلصون وقطع بنا واستوف ركوعك باستواء ظهرك وانحط عن همتك
في القيام بخدمته الا بعونه وفر بالقلب من وساوس الشيطان وخدايعه و
مكايده فان الله تعالى يرفع عباده بقدر تواضعهم له ويهديهم الى اصول التواضع والخضوع
والخشوع بقدر اطلاع عظمته على سرايرهم **فصل** ثم تهوي الى السجود وهو
اعلى درجات الاستكانة فمكن اعز اعضائك وهو الوجه من اذل الاشياء وهو
التراب وان امكنك ان لا تجعل بينهما حاجزا فتسجد على الارض فافعل فانه اجلب
للخضوع وادل على الذل واذا وضعت نفسك موضع الذل فاعلم انك وضعتها
موضعها ورددت الفرع الى اصله فانك من التراب خلقت واليه رددت فعند
هذا جدد على قلبك عظمة الله وقل سبحان ربي الاعلى وبحمده واكده بالتكرار
فان المرة الواحدة ضعيفة الاثار فان رق قلبك وطهر لبك فليصدق رجاؤك
في رحمة ربك فان رحمته تتسارع الى الضعف والذل لا الى التكبر والبطر فارفع
راسك مكبرا وسائلا حاجتك ومستغفرا من ذنوبك ثم اكد التواضع بالتكرار وعد
الى السجود ثانيا كذلك وعن امير المؤمنين ع انه سئل ما معنى السجدة الاولى قال
تاويلها اللهم انك منها خلقتنا يعني من الارض وتاويل رفع راسك ومنها
اخرجتنا والسجدة الثانية ومنها تعيدنا ورفع راسك ومنها تخرجنا تارة اخرى

في

في مصباح الشريعة قال الصادق ع ما خسر والله من اتى بحقيقة السجود ولو كان في العمر مرة
واحدة وما افلح من خلا بربه في مثل ذلك الحال شبيها بمخادع نفسه غافلا لاهيا عما اعد
الله للساجدين من انس العاجل وراحة الآجل ولا بعد عن الله ابدا من احسن تقربه
في السجود ولا قرب اليه ابدا من اساء ادبه وضيع حرمته بتعلق قلبه بسواه في حال السجود
فاسجد سجود متواضع لله ذليل علم انه خلق من تراب يطاه الخلق وانه ركب من نطفة
يستقذرها كل احد وقد جعل الله معنى السجود سبب التقرب اليه بالقلب والسر و
الروح فمن قرب منه بعد من غيره الا ترى في الظاهر انه لا يستوي حال السجود الا بالتواري
من جميع الاشياء والاحتجاب عن كل ما تراه العيون كذلك امر الباطن فمن كان قلبه متعلقا
في صلاته بشيء دون الله فهو قريب من ذلك الشيء بعيد عن حقيقة ما اراد الله منه
في صلاته قال الله تعالى ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه وقال رسول الله ص قال الله
لا اطلع على قلب عبد فاعلم فيه حب الاخلاص لطاعتي ووجهي وابتغاء مرضاتي
الا توليت تقويمه وسياسته ومن اشتغل في صلاته بغيري فهو من المستهزئين بنفسه
ومكتوب اسمه في ديوان الخاسرين **فصل** واذا جلست للتشهد بعد
هذه الافعال الدقيقة والاسرار العميقة المشتملة على الاخطار الجسيمة
فاستشعر الخوف التام والرهبة والحياء والوجل ان يكون جميع ما سلف منك
غير واقع على وجهه فاجعل يديك صفرا من فوايدها الا ان يتداركك الله برحمته
ويقبل عملك الناقص بفضله وارجع الى سبيل الاخلاص واصل الدين واستمسك بكلمة
التوحيد وحصن الله الذي من دخله كان آمنا ان لم يكن حصل في يدك غيره واشهد
له بالوحدانية واحضر رسوله الكريم ونبيه العظيم ص ببالك واشهد له با
لعبودية والرسالة وصل عليه وآله مجددا عهد الله باعادة كلمتي الشهادة متضمنا
بها التاسيس مراتب العبادة فانها من اول الوسائل واساس الفوائد متوقعا الاجابة

لك بصلوتك عشرا من صلواته اذا اقمت بحقيقة صلوتك عليه التي لو وصل اليك منها
واحدة افلحت ابدا وفي مصباح الشريعة قال الصادق ع التشهد ثناء على الله فكن
عبدا له في السر خاضعا له في الفعل كما انك له عبد في القول والدعوى وصل
صدق لسانك بصفاء سرك فانه خلقك عبدا وامرك ان تعبده بقلبك
ولسانك وجوارحك وان تحقق عبوديتك له بربوبيته لك وتعلم ان نواصي
الخلق بيده فليس لهم نفس ولا لحظة الا بقدرته ومشيته وهم عاجزون من
اتيان اقل شيء في مملكته الا باذنه وارادته قال فاستعمل العبودية في الرضا
بحكمته وبالعبادة في اداء اوامره وقد امرك بالصلوة على نبيه محمد ص فاوصل
صلواته بصلوته وطاعته بطاعته وشهادته بشهادته وانظر ان لا يفوتك بركات
معرفة حرمته فتحرم من فايدة صلوته فصل واذا فرغت من التشهد فاحضر نفسك
بحضرة سيد المرسلين والملائكة المقربين وبقية انبياء الله وائمته ع والحفظة
للشمس الملائكة المحصين للاعمال واحضرهم جميعا في بالك وقل السلام عليكم ورحمة الله
وبركاته ولا تنطق لسانك بصيغة الخطاب من غير حضور المخاطب في ذهنك فتكون من
العابثين واللاعبين وكيف تسمع الخطاب لمن لا يقصد لولا فضل الله ورحمته
الشاملة ورافته الكاملة في احتياجه بذلك عن اصل الواجب وان كان بعيدا من
درجات القبول منحطا عن اوج القرب والوصول وان كنت اماما لقوم فاقصدهم
بالسلام مع من تقدم من المقصودين وليقصدوا هم الرد عليك ليقم ثم يقصدوا مقصدك
بسلام ثان فاذا فعلت ذلك فقد اقمت وظيفة السلام واستحققت من الله مزيد
الاكرام وفي مصباح الشريعة قال الصادق ع معنى السلام في دبر كل صلوة الامان اي
من ادى امر الله وسنة نبيه خالصا له خاشعا قلبه فله الامان من بلاء الدنيا
وبراءة من عذاب الاخرة والسلام اسم من اسماء الله تعالى اودعه خلقه ليستعملوا معناه

وقل السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته السلام الخ ... واحضر بالبال النبي ص ... مرادهن

الآن

في المعاملات والامانات والانصافات وتصديق مصاحبتهم فيما بينهم وصحة
معاشرتهم وان اردت ان تضع السلام موضعه وتؤدي معناه فاتق الله وليسلم منك
دينك وقلبك وعقلك ان لا تدنسها بظلمة المعاصي وليسلم حفظتك ان لا
تبرمهم وتملهم وتوحشهم منك بسوء معاملتك معهم ثم صديقك ثم عدوك
فان لم يسلم منه من هو الاقرب اليه فالابعد اولى ومن لا يضع السلام مواضعه
هذه فلا سلام ولا سلام ولا تسليم وكان كاذبا في سلامه وان افشاه في الخلق فصل
اعلم ان تخليص الصلوة من الافات واخلاصها لوجه الله وادائها بالشروط الباطنة
التي ذكرناها من الخشوع والتعظيم والحياء سبب لحصول انوار في القلب يكون تلك الانوار
مفاتيح للعلوم الباطنة قال الله تع قد افلح المؤمنون الذين هم في صلوتهم خاشعون
فمدحهم بعد الايمان بصلوة مخصوصة وهي المقرونة بالخشوع ثم ختم اوصاف المفلحين
بالصلوة فقال في اخرها والذين هم على صلوتهم يحافظون ثم قال في ثمرة تلك الصفات
اولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون فوصفهم بالفلاح اولا
وبوراثة الفردوس اخرا وقال النبي ص اذا قام العبد المؤمن في صلوته نظر الله اليه او قال
اقبل الله عليه حتى ينصرف واظلته الرحمة من فوق راسه الى افق السماء والملائكة
تحفه من حوله الى افق السماء ووكل الله به ملكا قائما على راسه يقول ايها المصلي لو تعلم
من ينظر اليك ومن تناجي ما التفت ولا زلت من موضعك ابدا فصل ويختص صلوة
الجمعة باختصاص يومها بكونه يوما عظيما وعيدا شريفا خص الله به هذه الامة وجعله
وقتا شريفا للعباد ليقربهم فيه من جواره ويبعدهم من طرده وناره وحثهم فيه على
الاقبال بصالح الاعمال وتلافي ما فرط منهم في بقية الاسبوع من كلاهما الحجج لاهم ما
يقع فيه من طاعته وما يوجبه الزلفى لديه صلوة الجمعة وعبر عنها في محكم كتابه الكريم
بذكر الله وخصها من بين ساير الصلوات التي هي افضل القربات بالذكر فقال سبحانه يا ايها

الذين آمنوا اذا نودي للصلوة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم
ان كنتم تعلمون وفي هذه الاية الشريفة من التنبيهات والتاكيدات ما يتنبه له من له حظ من
المعاني ومن اهم رموزها التعبير عن الصلوة بذكر الله فانه تنبيه بهذا ان الغرض الاقصى من
الصلوة ذكر الله بالقلب واحضار عظمته بالبال فان هذا او اشباهه هو المؤثر في كون الصلوة
ليس بمجرد الاذكار والحركات والركعة والسجود بلا ذكر
ناهية عن الفحشاء والمنكر وهذا انما يتم مع التوجه التام الى الله وملاحظة جلاله
الذي هو الذكر الاكبر والكثير على ما ورد في بعض التفسير فضلا عن ان يكون ذكرا مطلقا
فلا جرم وجب الاهتمام به زيادة على غيره من الصلوات والتهيؤ والاستعداد
للقاء الله والوقوف بين يديه والتوسل في حضرته والفوز بمخاطبته بعد الاتيان
بمقدمات الصلوة من وظايف اليوم من التنظيف والتطييب والتعمم وحلق الراس وقص
الشارب والاظفار وغير ذلك من السنن بقلب مقبل وايمان وعمل مخلص ونية خالصة
كما تعمل ذلك في لقاء ملك الدنيا ولا تقصد ببعض الوظايف حظك من الرفاهية فتخسر صفقتك
ويظهر بعد ذلك حسرتك وكلما امكنك تكثير المطالب التي يترتب عليها الثواب جعلك
فاقصدها يضاعف ثواب عملك بقصدها ان امكنك ذلك **فصل** واما صلوة
العيدين فاحضر في قلبك انها في يوم قسمة الجوائز وتفرقة الرحمة وافاضة المواهب
على من قبل صومه وقربانه ومقام بوظايفها فاكثر من الخشوع في صلوتك والابتهال الى الله
فيها وقبلها وبعدها في قبول اعمالك والعفو عن تقصيراتك واستشعر الحياء والخجالة من
حيث انك تخف لان العرف فليس في ذلك اليوم بعيد من لبس الجديد وانما هو عيد من
امن الوعيد وسلم من المناقشة والتهديد واستحق بصالح اعماله المزيد فاستقبله بما
استقبلت به يوم الجمعة من الوظايف واسباب التهيؤ للاقبال بالقلب على ربك والوقوف
بين يديه عسى ان تصلح للمناجات والخضوع لديه ولا تجعل فرحك فيه بما تخلو حاله
بجلاله من متاع الدنيا بكثرة عوايد الله فيه على من عامله بمتاجر الاخرة **فصل** واما الايام

فاحضر

فاحضر عندها اهوال الاخرة وزلازلها وتكوير الشمس والقمر وظلمة القيمة ووجل
الخلايق وخوفهم من الاخذ والنكال والعقوبة والاستيصال فاكثر من الدعاء والابتهال
بمزيد الخضوع والخشوع والخوف والوجل في النجاة من تلك الشدايد ورد النور بعد
الظلمة والمسامحة على الهفوة والزلة وتب الى الله من ذنوبك واحسن التوبة عسى
ان ينظر اليك وانت منكسر النفس مطرق الراس مستحيي من التقصير فيقبل توبتك ويسامح
هفوتك قال السجاد لا يفزع للايتين ولا يرهب الا من كان من شيعتنا فاذا كان ذلك
منهما فافزعوا الى الله وراجعوه وقال الرضا انما جعلت للكسوف صلوة لانه من ايات الله لا يدرى
الرحمة ظهرت ام لعذاب فاحب النبي ان يفزع امته الى خالقها وراحمها عند ذلك ليصرف عنهم
شرها ويقيهم مكروهها كما صرف عن قوم يونس حين تضرعوا الى الله عز وجل **فصل** ينبغي
للمصلي ان يعقب فرايضه بالذكر والدعاء فقد ورد في فضلهما ولا سيما عقيب الصلوات ما لا يحصى
اما الذكر فالنافع منه هو الذكر على الدوام او في اكثر الاوقات مع حضور القلب وهو غاية
ثمرة العبادات وللذكر اول وآخر فاوله يوجب الانس والحب وآخره يوجبه الانس والحب
المطلوب بعينه ذلك الانس فان العبد في بداية الامر يكون متكلفا بصرف قلبه ولسانه عن الوسواس
الى ذكر الله ثم ان وفق للمداومة انس به وانغرس في قلبه حب المذكور ومن احب شيئا
اكثر ذكره ومن اكثر ذكر شئ وان كان متكلفا احبه ثم اذا حصل الانس بذكر الله انقطع
عن غير الله وما سوى الله يفارقه عند الموت ولا يبقى الا ذكر الله فان كان قد انس به تمتع
وتلذذ بانقطاع العوايق الصارفة عنه اذ ضرورات الحاجات في الحيوة تصد عن ذكر الله
ولا يبقى بعد الموت عائق فكانه خلي بينه وبين محبوبه فعظمت غبطته وتخلص من السجن الذي
كان ممنوعا فيه عما به انسه وهذا الانس يتلذذ به العبد بعد موته الى ان ينزل في جوار الله و
يترقى من الذكر الى اللقاء واما الدعاء فهو مخ العبادة كما ورد في الحديث النبوي ومن الاية قوله تعالى
ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين قال هو الدعاء وافضل العبادة الدعاء

الدعاء

وقال في قوله سبحانه ان ابراهيم لاواه حليم قال الاواه هو الدعاء وسئل ع اي العبادة افضل
فقال ما من شيء افضل عند الله من ان يسأل ويطلب مما عنده وما من احد ابغض الى الله ممن
يستكبر عن عبادته ولا يسئل مما عنده وقال امير المؤمنين ع احب الاعمال الى الله تعالى في الارض الدعا
وكان ع رجلا دعاء وقال ع الدعا مفاتيح النجاح ومقاليد الفلاح وخير الدعا ما صدر عن صدر نقي
وقلب تقي وفي المناجات سبب النجاة وبالاخلاص يكون الخلاص فاذا اشتد الفزع فالى الله المفزع
وفي مصباح الشريعة قال الصادق ع احفظ ادب الدعا وانظر من تدعو وكيف تدعو ولما
ذا تدعو وحقق عظمة الله وكبرياءه وعاين بقلبك علمه بما في ضميرك واطلاعه على سرك
وما يكن فيه من الحق والباطل واعرف طريق نجاتك وهلاكك كيلا تدعو الله بشيء فيه
هلاكك وانت تظن ان فيه نجاتك قال الله تعالى ويدعو الانسان بالشر دعاءه بالخير وكان
الانسان عجولا وتفكر ماذا تسئل ولماذا تسئل والدعا استجابة الكل منك للحق وتذويب المهجة
في مشاهدة الرب وترك الاختيار جميعا وتسليم الامور كلها ظاهرها وباطنها الى الله فان لم
تات بشرط الدعاء فلا تنتظر الاجابة فانه يعلم السر واخفى فلعلك تدعو بشيء قد علم من
نيتك بخلاف ذلك واعلم انه لو لم يكن امرنا الله بالدعاء لكنا اذا اخلصنا الدعاء تفضل علينا
بالاجابة فكيف وقد ضمن ذلك لمن اتى بشرايط الدعاء قال فاذا اتيت بما ذكرت لك من شرايط الدعاء
واخلصت سرك لوجهه فابشر باحدى ثلث اما ان يعجل لك ما سألت او يدخر لك ما هو اعظم منه واما
ان يصرف عنك من البلاء ما لو ارسله عليك لهلكت وروي عن الصادق ع انه قرأ امن يجيب
المضطر اذا دعاه فسئل ما لنا ندعو ولا يستجيب لنا فقال لانكم تدعون من لا تعرفونه وتسئلون
ما لا تفهمونه فالاضطرار عين الدين وكثرة الدعاء مع العمى عن الله من علامة الخذلان من لم يعرف
ذلة نفسه وقلبه وسره تحت قدرة الله حكم على الله بالسؤال وظن ان سؤاله دعاء
والحكم على الله من الجرأة على الله

الباب الرابع

في تلاوة القرآن قال النبي ص
القرآن هدى من الضلالة وتبيان من العمى واستقالة من العثرة ونور من الظلمة وضياء من

الاحداث

الاحداث وعصمة من الهلكة ورشد من الغواية وبيان من الفتن وبلاغ من الدنيا الى
الاخرة وفيه كمال دينكم وما عدل احد عن القرآن الا الى النار وقال النبي ص انا اول وافد
على العزيز الجبار يوم القيمة وكتابه واهل بيتي ثم امتي ثم اسالهم ما فعلتم بكتاب الله واهل
بيتي وقال امير المؤمنين ع في وصاياه لابنه محمد ابن حنفية وعليك بتلاوة القرآن والعمل
به ولزوم فرايضه وشرايعه وحلاله وحرامه وامره ونهيه والتهجد به وتلاوته في ليلك
ونهارك فانه عهد من الله تبارك وتعالى الى خلقه فهو واجب على كل مسلم ان ينظر كل
يوم في عهده ولو خمسين اية واعلم ان درجات الجنة على قدر ايات القرآن فاذا كان
يوم القيمة يقال لقارئ القرآن اقرأ وارق فلا يكون في الجنة بعد النبيين والصديقين
ارفع درجة منه وعن الباقر ع يجيء القرآن في احسن منظور اليه صورة فيمر بالمسلمين
فيقولون هذا رجل منا فيجاوزهم الى النبيين فيقولون هو منا فيجاوزهم الى الملائكة المقربين
فيقولون هو منا حتى ينتهي الى رب العزة جل وعلا فيقول يا رب فلان بن فلان
اظمات هواجره واسهرت ليله في دار الدنيا وفلان بن فلان لم اظما هواجره ولم اسهر
ليله فيقول الله تعالى ادخلهم الجنة على منازلهم فيقوم فيتبعونه فيقول للمؤمن اقرأ
وارق قال فيقرأ ويرقى حتى يبلغ كل رجل منهم منزلته التي هي له فينزلها وعن النبي ص
ما يقرب منه مع زيادات وعن الصادق ع قال قال رسول الله ص اقرؤا القرآن بالحان
العرب واصواتها واياكم ولحون اهل الفسق والكباير فانه سيجيء من بعدي اقوام يرجعون
القرآن ترجيع الغناء والنوح والرهبانية لا يجوز تراقيهم قلوبهم مقلوبة وقلوب
من يعجبه شانهم وعنه ع انه سئل عن قول الله عز وجل ورتل القرآن ترتيلا قال
قال امير المؤمنين ع بينه تبيانا ولا تهذه هذ الشعر ولا تنثره نثر الرمل ولكن افزعوا
قلوبكم القاسية ولا يكن هم احدكم اخر السورة وفي رواية اخرى قال الترتيل هو حفظ
الوقوف وبيان الحروف وعن الصادق ع هو ان تتمكث وتحسن به صوتك وعنه ع

قال القرآن نزل بالحزن فاقرؤوه بالحزن وعن النبي ص اتلوا القرآن وابكوا وان لم تبكوا
فتباكوا وعن الصادق ع قال قال النبي ص لكل شيء حلية وحلية القرآن الصوت الحسن
وعنه ع قال كان علي بن الحسين عليهما السلام احسن الناس صوتا بالقرآن وكان السقاؤون
يمرون فيقفون ببابه يستمعون قراءته **فصل** في مصباح الشريعة قال الصادق ع
من قرء القرآن ولم يخضع له ولم يرق قلبه ولم ينشئ حزنا ووجلا في سره
فقد استهان بعظم شان الله وخسر خسرانا مبينا فقارئ القرآن يحتاج الى ثلثة
اشياء قلب خاشع وبدن فارغ وموضع خال فاذا خشع لله قلبه فر منه
الشيطان الرجيم قال الله تع فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم واذا
تفرغ نفسه من الاسباب تجرد قلبه للقراءة فلا يعترضه عارض فيحرمه نور القرآن و
فوائده واذا اتخذ مجلسا خاليا واعتزل من الخلق بعد ان اتى بالخصلتين الاوليين
استانس روحه وسره بالله ووجد حلاوة مخاطبات الله عباده الصالحين وعلم
لطفه بهم ومقام اختصاصه لهم بفنون كراماته وبدايع اشاراته فاذا شرب كاسا
من هذا المشرب ح لا يختار على ذلك الحال حالا ولا على ذلك الوقت وقتا بل يؤثره على
كل طاعة وعبادة لان فيه المناجاة مع الرب بلا واسطة فانظر كيف تقرء كتاب ربك
ومنشور ولايتك وكيف تجيب اوامره ونواهيه وكيف تمتثل حدوده فانه كتاب
عزيز لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد فرتله ترتيلا
وقف عند وعده ووعيده وتفكر في امثاله ومواعظه واحذر ان تقع من اقامتك حروفه
في اضاعة حدوده **فصل** ينبغي لتالي القرآن من امور باطنية منها فهم عظمة الكلام
وعلوه وفضل الله تع ولطفه بخلقه في نزوله عن عرش جلاله الى درجة
افهام خلقه فلينظر كيف لطف في ايصال معاني كلامه الذي هو صفة قائمة
بذاته الى افهام خلقه وكيف تجلت لهم تلك الصفة في طي حروف واصوات

هي

هي صفات البشر اذ يعجز البشر عن الوصول الى فهم صفات الله الا بوسيلة صفات نفسه
ولولا استتار كنه جلال كلامه بكسوة الحروف لما ثبت لسماع الكلام عرش ولا ثرى و
لتلاشى ما بينهما من عظمة سلطانه وسبحات نور وجهه ولولا تثبيت الله موسى ع
لما اطاق سماع الكلام كما لم يطق الجبل مبادي تجليه حيث صار دكا وهذا كما ان
الناس لما ارادوا ان يفهموا بعض الدواب والطير ما يريدون من تقديمها
وتاخيرها واقبالها وادبارها وراوا الدواب تقصر تميزها عن فهم كلامهم الصادر
من انواع خطابهم مع حسنه وترتيبه وبديع نظمه فتنزلوا الى درجة تمييز
البهائم واوصلوا مقاصدهم الى بواطن البهائم باصوات يضعونها لايقة بها
من النقر والصفير والاصوات القريبة من اصواتها التي تطيق حملها وكما ان
اجساد البشر تكرم وتعز لمكان الروح فكذلك اصوات الكلام تشرف للحكمة التي
فيها والكلام عالي المنزلة رفيع الدرجة قاهر السلطان نافذ الحكم في الحق
والباطل وهو القاضي العادل والشاهد المرتضى يامر وينهي ولا طاقة للباطل
ان يقوم قدام كلام الحكمة كما لا يستطيع الظل ان يقوم قدام شعاع الشمس ولا
طاقة للبشر ان ينفذوا غور الحكمة كما لا طاقة لهم ان ينفذوا بابصارهم ضوء
عين الشمس ولكنهم ينالون من عين الشمس ما تحيى به ابصارهم ويستدلون
به على حوائجهم فقط **فصل** ومنها التعظيم للمتكلم فالقاري عند البداية
بتلاوة القرآن ينبغي ان يحضر في قلبه عظمة المتكلم ويعلم ان ما يقراه ليس من
كلام البشر وان في تلاوة كتابه غاية الخطر فانه تع قال لا يمسه الا المطهرون
وكما ان ظاهر جلد المصحف وورقه محروس عن ظاهر بشرة اللامس الا اذا كان
متطهرا فباطن معناه ايضا بحكم عزه وجلاله محجوب عن باطن القلب الا اذا
كان منقطعا من رجس ومستنيرا بنور التعظيم والتوقير وكما لا يصلح لمس

التعلق

جلد المصحف كل يد فلا يصلح لتلاوة حروفه كل لسان ولا لنيل معانيه كل
قلب ومنها حضور القلب وترك حديث النفس وهذا يتولد من التعظيم فان المعظم
للكلام الذي يتلوه يستبشر به ويستأنس ولا يغفل عنه ففي القرآن ما
يستأنس به القلب ان كان التالي اهلا له فكيف يطلب الانس بالفكر في غيره
وهو متنزه ومتفرج والذي في المتنزهات لا يتفكر في غير القرآن ولكنه يقتصر يتفرج
على سماع القرآن من نفسه ولا يتدبر والمقصود من القراءة التدبر قال الله
تعالى افلا يتدبرون القرآن ام على قلوب اقفالها ولذلك سن فيه الترتيل لان
الترتيل في الظاهر ليتمكن من التدبر في الباطن قال امير المؤمنين ع لا خير في عبادة لا فقه
فيها ولا في قراءة لا تدبر فيها واذا لم يتمكن من التدبر الا بالترديد فليردد وعن ابي ذر رضي الله
عنه قال قام بنا رسول الله ص فقام ليلة باية يرددها ان تعذبهم فانهم عبادك وان
تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم فصل ومنها التفهم وهو ان يستوضح من كل اية ما
يليق بها اذ القرآن يشتمل على ذكر صفات الله تعالى وذكر افعاله وذكر احوال الانبياء وذكر احوال
المكذبين لهم وانهم كيف اهلكوا وذكر اوامره وزواجره وذكر الجنة والنار اما صفات الله
فكقوله ليس كمثله شيء وهو السميع البصير وكقوله الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن
العزيز الجبار المتكبر الخالق البارئ فليتأمل معاني هذه الصفات والاسماء لينكشف له
اسرارها فتحتها معان مدفونة لا ينكشف الا للموفقين واليه اشار امير المؤمنين ع
بقوله ما اسر الي رسول الله ص شيئا كتمه عن الناس الا ان يؤتي الله عبدا فهما في كتابه
فليكن حريصا على طلب ذلك الفهم واما افعاله فكذكره خلق السموات والارض وغيرهما فليفهم
التالي منها صفات الله جل جلاله اذ الفعل يدل على الفاعل فيدل عظمته على عظمته فينبغي
ان يشهد في الفعل الفاعل دون الفعل فمن عرف الحق رآه في كل شيء اذ كل شيء منه و
اليه وبه وله ومن لا يراه في كل ما يراه فكانه ما عرفه ومن عرفه عرف ان كل شيء ما خلا

الله باطل وان كل شيء هالك الا وجهه واما احوال الانبياء فاذا سمع منها كيف
كذبوا وضربوا وقتلوا فليفهم منه صفة الاستغناء لله تعالى عن الرسل والمرسل اليهم وانه لو
اهلك جميعهم لم يؤثر في ملكه واذا سمع نصرتهم في آخر الامر فليفهم قدرة الله وارادته لنصرة
الحق واما احوال المكذبين كعاد وثمود وما جرى عليهم فليكن فهمه منه استشعار الخوف
من سطوته ونقمته وليكن حظه منه الاعتبار في نفسه وانه ان غفل واساء الادب واغتر بما
امهل فربما يدركه النقمة وينفذ فيه القضية وكذا اذا سمع وصف الجنة والنار وساير
ما في القرآن فلا يمكن استقصاء ما يفهم منه لان ذلك لا نهاية له وانما لكل عبد منه بقدر رزقه
فلا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين فصل ومنها التخلي عن موانع الفهم فان اكثر الناس
منعوا عن فهم معاني القرآن لاسباب وحجب اسدلها الشيطان على قلوبهم فعميت عليهم
عجايب اسرار القرآن قال النبي ص لولا ان الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا الى
الملكوت ومعاني القرآن من جملة الملكوت لانها انما تدرك بنور البصيرة دون الحواس
وحجب الفهم اربعة اولها ان يكون الهم منصرفا الى تحقيق الحروف باخراجها من مخارجها
وهذا يتولى حفظه شيطان وكل بالقراء ليصرفهم عن فهم معاني كلام الله فلا يزال
يحملهم على ترديد الحروف ويخيل اليهم انه لم يخرج من مخرجه فهذا يكون تأمله مقصورا على
مخارج الحروف فانى تنكشف له المعاني واعظم ضحكة الشيطان ممن كان مطيعا له بمثل هذا التلبيس
ثانيها ان يكون مقلدا لمذهب سمعه بالتقليد وجمد عليه وثبت في نفسه التعصب له
بمجرد الاتباع للمسموع من غير وصول اليه ببصيرة ومشاهدة وهذا شخص قيده معتقده
عن ان يجاوزه فلا يمكنه ان يخطر بباله غير معتقده فان لمع برق على بعد وبدا له معنى من المعاني
التي تباين مسموعه حمل عليه شيطان التقليد حملة وكيف يخطر هذا ببالك وهو خلاف معتقد
آبائك ثالثها ان يكون مصرا على ذنب او متصفا بكبر او مبتليا على الجملة بهوى في الدنيا مطاع
فان ذلك سبب ظلمة القلب وصداها وهو كالخبث على المرآة ولذلك قال النبي ص اذا عظمت

امتي الدينار والدرهم تنزع منها هيبة الاسلام واذا تركوا الامر بالمعروف حرموا بركة الوحي
وقد شرط الله الانابة في الفهم والتذكر فقال تبصرة وذكرى لكل عبد منيب وقال وما يتذكر
الا من ينيب وقال انما يتذكر اولوا الالباب والذي اثر غرور الدنيا على نعيم الاخرة فليس من
ذوي الالباب فلذلك لا ينكشف له اسرار الكتاب رابعها ان يكون قد قرا تفسيرا ظاهرا
او اعتقد ان لا معنى لكلمات القران الا ما تناوله النقل وان ما وراء ذلك تفسير بالراي وان
من فسر القران برايه فقد تبوء مقعده من النار وهذا لا يدري معنى التفسير بالراي ولا يفهم
معنى قول علي رضي الله عنه الا ان يؤتي الله عبدا فهما في القران وانه لو كان هو الظاهر المنقول لما
اختلف الناس فيه **فصل** ومنها التخصيص وهو ان يقدر انه المقصود بكل خطاب في القران
فان سمع امرا او نهيا قدر انه هو المامور والمنهي وان سمع وعدا او وعيدا فكمثل
ذلك وان سمع قصص الاولين علم ان السمر غير مقصود وانما المقصود الاعتبار واخذ
ما يحتاج اليه فما من قصة في القران الا وسياقها لفايدة في حق النبي وامته ولذلك
قال تعالى ما نثبت به فوادك فليقدر العبد ان الله يثبت فواده بما يقصه عليه من احوال
الانبياء وصبرهم على الايذاء وثباتهم في الدين لانتظار نصر الله وكيف لا يقدر هذا و
القران ما انزل على رسول الله خاصة بل هو شفاء وهدى ورحمة ونور للعالمين ولذلك امر الله
الكافة بشكر نعمة الكتاب فقال واذكروا نعمة الله عليكم وما انزل عليكم من الكتاب والحكمة
وقال لقد انزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم كذلك يضرب
الله للناس امثالهم هذا بصائر للناس وهدى ورحمة لقوم يوقنون هذا بيان للناس و
هدى وموعظة للمتقين واذا قصد بالخطاب جميع الناس فقد قصد الاحاد فهذا الواحد
القاري مقصود فما له ولساير الناس فليقدر انه المقصود قال بعض الحكماء هذا القران رسايل
اتتنا من قبل ربنا بعهوده نتدبرها في الصلوات ونقف عليها في الخلوات وننفذها في الطاعات
بالسنن المتبعات **فصل** ومنها التاثر وهو ان يتاثر قلبه بآثار مختلفة بحسب اختلاف

الايات

الايات فيكون له بحسب كل فهم حال ووجد يتصف به قلبه من الحزن والخوف و
الرجاء وغيرها ومهما تمت معرفته كانت الخشية اغلب الاحوال على قلبه فان التضييق غالب
على ايات القران فلا يرى ذكر المغفرة والرحمة الا مقرونا بشروط يقصر العارف عن نيلها كقوله
واني لغفار ثم اتبع ذلك باربعة شروط لمن تاب وامن وعمل صالحا ثم اهتدى وقوله والعصر
ان الانسان لفي خسر الا الذين امنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر
ذكر اربع شرايط وحيث اقتصر ذكر شرطا جامعا فقال ان رحمة الله قريب من المحسنين فالاحسان
يجمع الكل وهكذا من يتصفح القران من اوله الى اخره ومن فهم ذلك فجدير بان يكون حاله الخشية
والحزن ولذلك قال الحسن والله ما اصبح اليوم عبد يتلو هذا القران يؤمن به الا كثر حزنه وقل فرحه
وكثر بكاؤه وقل ضحكه وكثر نصبه وشغله وقلت راحته وبطالته فتاثر العبد با
لتلاوة ان يصير بصفة الاية المتلوة فعند الوعيد وتقييد المغفرة بالشروط يتضاءل من
خيفته كانه كاد يموت وعند التوسع ووعد المغفرة يستبشر كانه يطير من الفرح وعند ذكر صفات
الله واسمائه يتطاطا خضوعا لجلاله واستشعارا لعظمته وعند ذكر الكفار ما يستحيل على
الله تعالى كذكرهم لله ولدا وصاحبة يغض صوته وينكسر في باطنه حياء من قبح مقالهم و
عند وصف الجنة ينبعث باطنه شوقا اليها وعند وصف النار ترتعد فرايصه خوفا منها
فالقران انما يراد لاستجلاب هذه الاحوال الى القلب والعمل به والا فالمؤنة في تحريك اللسان
بحروفه خفيفة بل التالي باللسان المعرض عن العمل جدير بان يكون هو المراد بقوله ومن اعرض
عن ذكري فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيمة اعمى وبقوله تعالى كذلك اتتك اياتنا
فنسيتها وكذلك اليوم تنسى اي تركتها ولم تنظر اليها ولم تعبا بها فان المقصر في الامر
يقال انه نسي الامر وتلاوة القران حق تلاوته ان يشترك فيه اللسان والعقل والقلب فحظ
اللسان تصحيح الحروف بالترتيل وحظ العقل تفسير المعاني وحظ القلب الاتعاظ والتاثر
بالانزجار والايتمار فاللسان يرتل والعقل يترجم والقلب يتعظ **فصل** ومنها الترقي واعني

به ان يترقى الى ان يسمع الكلام من الله تعالى لا من نفسه فدرجات القراءة ثلث ادناها ان يقدر العبد
كانه يقراه على الله تعالى واقفا بين يديه وهو ناظر اليه ومستمع منه فيكون حاله عند هذا التقدير
السؤال والتملق والتضرع والابتهال الثانية ان يشهد بقلبه كان ربه يخاطبه بالطافه ويناجيه
بانعامه واحسانه فمقامه الحياء والتعظيم والاصغاء والفهم الثالثة ان يرى في الكلام المتكلم وفي
الكلمات الصفات فلا ينظر الى نفسه ولا الى قراءته ولا الى تعلق الانعام به من حيث انه منعم
عليه بل يكون مقصور الهم على المتكلم موقوف الفكر عليه كانه مستغرق بمشاهدة المتكلم عن غيره
وهذه درجة المقربين وما قبله درجات اصحاب اليمين وما خرج عن هذا فهو درجات الغافلين
وعن الدرجة العليا اخبر الصادق ع فقال والله لقد تجلى الله لخلقه في كلامه ولكن لا يبصرون
وقال ايضا وقد سالوه عن حالة لحقته في الصلوة حتى خر مغشيا عليه فلما سري عنه قيل له في
ذلك فقال ما زلت اردد هذه الاية على قلبي حتى سمعتها من المتكلم بها فلم يثبت جسمي
لمعاينة قدرته ففي مثل هذه الدرجة تعظم الحلاوة ولذة المناجات ولذلك قال بعض الحكما
كنت اقرء القران فلا اجد له حلاوة حتى تلوته كاني اسمعه من رسول الله ص يتلوه على اصحابه
ثم رفعت الى مقام فوقه فكنت اتلوه كاني اسمعه من جبرئيل ع يلقيه على رسول الله ص ثم جاء
الله تعالى بمنزلة اخرى فانا الان اسمعه من المتكلم به فعندها وجدت لذة ونعيما لا اصبر عنه
فصل وعاشرها التبري واعني به ان يتبرى عن حوله وقوته والالتفات الى نفسه بعين
الرضا والتزكية فاذا تلا الايات الوعد والمدح للصالحين فلا يشهد نفسه عند ذلك بل
يشهد الموقنين والصديقين فيها ويتشوق الى ان يلحقه الله بهم واذا تلا ايات المقت وذم
العصاة والمقصرين شهد نفسه هناك وقدر انه المخاطب خوفا واشفاقا ولهذا اشار
امير المؤمنين ع في الخطبة التي يصف فيها المتقين بقوله واذا مروا باية فيها تخويف اصغوا
اليها مسامع قلوبهم وظنوا ان زفير جهنم في اذانهم فاذا راى نفسه بصورة التقصير في
القراءة كان رؤيته سبب قربه فان من شهد البعد في القرب لطف له بالخوف حتى يسوقه

الى درجة اخرى في القرب وراءها ومن شهد القرب في البعد مكر به بالامن الذي يفضيه
الى درجة اخرى في البعد اسفل مما هو فيه ومهما كان شاهدا نفسه بعين الرضا صار محجوبا بنفسه
واذا جاوز حد الالتفات الى نفسه ولم يشاهد الا الله في قراءته انكشف له الملكوت بحسب
احواله فحيث يتلو ايات الرجاء ويغلب على حاله الاستبشار ينكشف له صورة الجنة فيشاهدها
كانه يراها عيانا وان غلب عليه الخوف كوشف بالنار حتى يرى انواع عذابها وذلك لان كلام الله
يشتمل على السهل اللطيف والشديد العسوف والمرجو والمخوف وذلك بحسب اوصافه اذ
منها الرحمة واللطف والانتقام والبطش فبحسب مشاهدة الكلمات والصفات ينقلب القلب في
اختلاف الحالات وبحسب كل حالة منها يستعد للمكاشفة بامر يناسب تلك الحالة ويقاربها
اذ يستحيل ان يكون حال المستمع واحدا والمسموع مختلفا اذ فيه كلام راض وكلام غضبان وكلام
منعم وكلام منتقم وكلام جبار متكبر لا يبالي وكلام حنان متعطف لا يهمل

الباب الثامن

في الزكوة والمعروف قال الله تعالى واقيموا الصلوة واتوا الزكوة وقال النبي ص اذا
منعت الزكوة منعت الارض بركاتها وقال الباقر ع ان الله قرن الزكوة بالصلوة فقال
اقيموا الصلوة واتوا الزكوة فمن اقام الصلوة ولم يؤت الزكوة لم يقم الصلوة وقال الصادق ع
ما فرض الله على هذه الامة شيئا اشد عليهم من الزكوة وفيها تهلك عامتهم وقال ع من
منع قيراطا من الزكوة فليس بمؤمن ولا مسلم وهو قوله تعالى رب ارجعون لعلي اعمل صالحا
فيما تركت وقال ع ما من ذي مال ذهب او فضة يمنع زكوة ماله الا حبسه الله يوم القيمة
بقاع قرقر وسلط عليه شجاعا اقرع يريده وهو يحيد عنه فاذا راى انه لا يتخلص منه
امكنه من يده فقضمها كما يقضم الفحل ثم يصير طوقا في عنقه وذلك قول الله تعالى سيطوقون
ما بخلوا به يوم القيمة وما من ذي مال ابل او غنم او بقر يمنع الزكوة الا حبسه الله يوم القيمة
بقاع قرقر يطاه كل ذات ظلف بظلفها وينهشه كل ذات ناب بنابها وما من ذي مال
نخل او كرم او زرع يمنع زكوتها الا طوقه الله ربعة ارضه الى سبع ارضين الى يوم القيمة

وقال انما وضعت الزكوة اختبارا للاغنيا ومعونة للفقرا ولو ان الناس ادوا زكوة اموالهم
ما بقي مسلم فقيرا محتاجا ولاستغنى بما فرض الله له وان الناس ما افتقروا ولا احتاجوا ولا جاعوا
ولا عروا الا بذنوب الاغنياء وحقيق على الله ان يمنع رحمته من منع حق الله في ماله واقسم
بالذي خلق الخلق وبسط الرزق انه ما ضاع مال في بر ولا بحر الا بترك الزكوة وما صيد صيد في بر
بحر ولا بحر الا بتركه التسبيح في ذلك اليوم وان احب الناس الى الله تعالى اسخاهم كفا واسخى الناس
من ادى زكوة ماله ولم يبخل على المؤمنين بما افترض الله لهم في ماله وفي رواية قال ان الله
حسب الاموال والمساكين فوجد ما يكفيهم من كل الف خمسة وعشرين درهما ولو لم يكفهم
لزادهم وقال ان الزكوة ليس يحمد بها صاحبها وانما هو شيء ظاهر انما حقن بها دمه و
سمي بها مسلما ولو لم يودها لم يقبل له صلوة وان عليكم في اموالكم غير الزكوة فقيل له
اصلحك الله وما علينا في اموالنا غير الزكوة فقال سبحان الله اما تسمع الله تعالى يقول
في كتابه وفي اموالهم حق معلوم للسائل والمحروم قيل فما ذا الحق المعلوم الذي علينا قال هو
والله الشيء يعمله الرجل في ماله يعطيه في اليوم او في الجمعة او في الشهر قل او كثر غير
انه يدوم عليه وقوله تعالى ويمنعون الماعون قال هو القرض يقرضه والمعروف يصنعه و
متاع البيت يعيره ومنه الزكوة فقيل ان لنا جيرانا اذا اعرناهم متاعا كسروه وافسدوه
فعلينا جناح ان نمنعهم اذا كانوا كذا قيل ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما واسيرا
قال ليس من الزكوة قيل قوله تعالى ينفقون اموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية قال ليس
من الزكوة قيل ان تبدوا الصدقات فنعما هي وان تخفوها وتؤتوها الفقرا فهو خير
لكم قال ليس من الزكوة قال انما اعطاكم الله هذه الفضول من الاموال لتوجهوها حيث
وجهها الله عز وجل ولم يعطكموها لتكنزوها وسئل في كم تجب الزكوة من المال
فقال اما الظاهر ففي كل الف خمسة وعشرون واما الباطنة فلا تستاثر على اخيك
بما هو احوج منك **فصل** المعروف هو الانفاق على النفس والعيال ثم صلة من

منه ره

يجب

يجب صلته ثم الحق المعلوم الذي يفرضه في ماله ثم كل صدقة على فقير او مروة اليه او الى
غني بالضيافة والهدية والاعانة ونحوها جلبا للمحبة او دفعا للشر وفي سبيل
او شيء يبقى سابغين شرها او ايصال نفع عام كبناء مسجد ونحوه او ارشاد
الضال والتعليم وقربان المرأة للتعفف والعدل وقضاء حاجة المؤمن وانظار
المعسر والتحليل والقرض والحمل على الدابة وطيب الكلام والخطوة الى الصلوة والتوسيع
على العيال والتبسم في وجه اخيه واعارة المتاع واطراق الفحل وغير ذلك وقد تسمى
الكل بالصدقة سوى المروات وورد كل معروف صدقة والبر هو شمل الجميع وربما يختص
بما سوى الصدقة وورد البر والصدقة ينفيان الفقر ويزيدان في العمر ويدفعان عن
صاحبهما سبعين ميتة سوء وورد صنايع المعروف تقي مصارع السوء وشرط الانفاق
القوام قال الله تعالى والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما
وعن الصادق انه تلا هذه الاية فاخذ قبضة من حصى وقبضها بيده فقال هذا
الاقتار الذي ذكره الله في كتابه ثم اخذ قبضة اخرى فارخى كفه كلها ثم قال هذا الاسراف
ثم اخذ قبضة اخرى فارخى بعضها وامسك بعضها وقال هذا القوام ولا باس بالفضل
اذا امسك لعياله من قبل المواقيت للحاجات ومراسم الخيرات فيكون قصده في الادخار
الانفاق على قدر الحاجة دون التنعم وصرف الفاضل عن الحاجة الى وجوه البر مهما ظهر
وجوهه قال النبي ص افضل الصدقة صدقة عن ظهر غنى يعني ما يكون بعد الغنى
والمؤنة لئلا يكون القلب متعلقا بما يعطي وقال افضل الصدقة صدقة تكون عن
فضل الكف يعني عما يفضل عن الكفاف وقال لا يلوم الله على الكفاف يعني على
اقتناء ما يكفي به **فصل** اعلم ان السر في ايجاب الزكوة وانفاق المال الامتحان
العبد وفيه ثلثة معان الاول ان التلفظ بكلمتي الشهادة التزام للتوحيد و
شهادة بافراد المعبود وشرط تمام الوفاء بذلك ان لا يبقى للموحد محبوب سوى الواحد

الفرد فان المحبة لا تقبل الشركة والتوحيد باللسان قليل الجدوى وانما يمتحن درجة الحب
بمفارقة المحبوبات والاموال المحبوبة عند الخلق لانها آلة تمتعهم بالدنيا وبسببها يانسون
بهذا العالم ويفرون من الموت مع ان فيه لقاء المحبوب فامتحنوا بتصديق دعواهم في المحبوب
فاستنزلوا من المال الذي هو مرموقهم ومعشوقهم ولذلك قال الله تعالى ان الله اشترى من
المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة والمعنى الثاني التطهير من صفة البخل فانه من
المهلكات قال النبي ص ثلث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه وقد
قال الله عز وجل ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون وانما تزول صفة البخل بان
يتعود بذل المال فحب الشيء لا ينقطع الا بقهر النفس على مفارقته حتى يصير ذلك اعتيادا
فالانفاق بهذا المعنى يطهر صاحبه من خبث البخل المهلك وانما طهارته بقدر بذله و
بقدر فرحه باخراجه واستبشاره بصرفه الى الله تعالى والمعنى الثالث شكر النعمة
فان لله على عبده نعمة في نفسه وماله فالعبادات البدنية شكر لنعمة البدن والمالية
شكر لنعمة المال وما اخس من ينظر الى الفقير وقد ضيق الرزق عليه واحوج اليه ثم لا تسمح نفسه
بان يؤدي شكر الله تعالى في اغنائه عن السؤال **فصل** ينبغي للمنفق ان يغتنم الفرصة
مهما ظهرت داعية الخير من الباطن فان ذلك لمة الملك وقلب المؤمن بين اصبعين من اصابع
الرحمن فما اسرع تقلبه والشيطان يعد الفقر ويامر بالفحشاء والمنكر وله لمة عقيب لمة
الملك والاولى ان لا يحوج الفقير الى السؤال فورد انهم كانوا قالوا لوجه المبتذل ثمن لما اخذ منه
وليس بمعروف ويعين لغير الوقت وقتا فاضلا كشهر رمضان وسيما عشر آخره وذي الحجة
وسيما عشر اوله والغدير ويسر في التصدق بحيث لا يدري شماله ما يعطي يمينه قال ص
الصدقة في السر والله افضل من الصدقة في العلانية وكان ع اذا اعتم وذهب من
الليل شطر اخذ جرابا فيه خبز ولحم والدراهم وحمله على عنقه ثم ذهب به الى اهل
الحاجة من اهل المدينة فقسمه فيهم ولا يعرفونه فلما مضى فقدوا ذلك فعلموا انه

كان

كان ابا عبد الله ع ومعنى اعتم صلى العتمة وعن النبي ص صدقة السر تطفئ غضب الرب
وقال الصادق ع كلما فرض الله عليك فاعلانه افضل من اسراره وكلما كان تطوعا فاسراره
افضل من اعلانه فلو ان رجلا حمل زكوة ماله على عاتقه علانية كان ذلك حسنا جميلا
وقال في قوله عز وجل وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم قال هي سوى الزكوة وسئل
النبي ص اي صدقة افضل قال ان تصدق وانت صحيح شحيح تامل البقاء وتخشى الفاقة ولا تمهل
حتى اذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا وينبغي ان يستصغر الاعطاء ليعظم عند
الله تعالى وهو يذكر التوفيق والثواب قال الصادق ع رايت المعروف لا يصلح الا بثلث خصال
تصغيره وستره وتعجيله فانك اذا صغرته عظمته عند من تصنعه اليه واذا سترته
تممته واذا عجلته هنأته وان كان غير ذلك محقته ونكدته ويعطي الاجود والاحب
والابعد من الشبهة قال الله تعالى ويجعلون لله ما يكرهون وقال لن تنالوا البر حتى تنفقوا
مما تحبون وقال انفقوا من طيبات ما كسبتم ومما اخرجنا لكم من الارض ولا تيمموا الخبيث منه
تنفقون ولستم باخذيه الا ان تغمضوا فيه اي لا تاخذونه الا مع كراهية وحياء وهو معنى
الاغماض فلا تؤثروا على ربكم وان يغنيه ان قدر فورد واذا اعطيته فاغنه ويقبل يده بعد الاعطاء
لانها تقع في يد الله تعالى اولا قال امير المؤمنين ع اذا ناولتم السائل فليرد الذي يناوله يده الى فيه
فيقبلها فان الله عز وجل ياخذها قبل ان تقع في يده فانه عز وجل ياخذ الصدقات وقال رسول الله
ما تقع صدقة المؤمن في يد السائل حتى تقع في يد الله ثم تلا هذه الاية الم تعلموا ان الله هو
يقبل التوبة عن عباده وياخذ الصدقات وان الله هو التواب الرحيم وقال الصادق ع ان الله يقول
ما من شيء الا وقد وكلت به من يقبضه غيري الا الصدقة فاني اتلقفها بيدي تلقفا حتى ان الرجل
ليتصدق او المراة لتتصدق بالتمرة او بشق تمرة فاربيها له كما يربي الرجل فلوه وفصيله فتلقاه
يوم القيمة وهي مثل جبل احد واعظم من احد وان يلتمس الدعاء من الاخذ لان دعائه يستجاب فيه
ويصرف الى من يكثر باعطائه الاجر بكونه متقيا عالما صادقا يرى النعمة من الله تعالى وساتر الحاجة

محصر في سبيل الله محبوس في طريق الآخرة بمرض وعيلة او ضيق معيشة او اصلاح قلب او سبب
من الاسباب ولكن يرفع اهل العزة لا ايمان من الزكوة الواجبة والتصدقات لانها اوساخ الاموال
فورد انه يحب احدكم ان يغسل يديه ثم يصبه على اخيه المؤمن ان وسخ الذنوب اعظم من وسخ البدن
فيوسع عليهم بالهدايا والصلات ويبدأ بمن يعول ثم الاقرب فالاقرب والاهم فالاهم وورد ان
افضلها على ذي الرحم الكاشح يعني المبغض وكانه لمخالفة الهوى وورد لا صدقة وذو رحم محتاج
الصدقة بعشرة والقرض بثمانية عشر وصلة الاخوان بعشرين وصلة الرحم باربعة وعشرين
وان يتصدق في كل يوم ويباكر بها ليبادر بها البلاء ولا يرد السائل الا بلطف في رد اكرم السائل
ببذل يسير او برد جميل المعطي ثلثة وان شئتم ان تزدادوا فان زادوا فقد اديتم حق يومكم
وان يغتنم السائل سيما فيما يرق له القلب فهو علامة صدق السائل ويبيع الفلس بنفسه عن علي
فقال ولا يحتقرها عنده فورد لا تستحيوا من اعطاء القليل فان الحرمان اقل منه وورد
افضل الصدقة جهد المقل وان لا يملك الا ما يتصدق به اختيارا او يقسم صدقة الغير فورد انه
احد المعطين ويجتنب المن والاذى قال الله تعالى لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى قول معروف
ومغفرة خير من صدقة يتبعها اذى والمن ان يرى نفسه محسنا ويعرف بحقوق استبعاد جنابة
القابض بعد العطاء والمحسن هو القابض لايصاله الى الثواب والانجاء من العقاب وكونه نائبا
وهو حق الله عز وجل احال اليه الفقير انجازا لما وعده من الرزق والاذى التعيير والتوبيخ والقول
السيء والقطوب والاستخدام وهتك الستر والاستخفاف وسببه استكثار العطاء والتكبر
على القابض لانا شيئين من الجهل بجاه رضاء الله تعالى على خسيس فان وفيا ان فضل الفقير عن
الصادق ع قال كان امير المؤمنين ع يقول من علم ان ما صنع انما صنع لنفسه لم يستبطئ الناس
في شكرهم ولم يستزدهم في مودتهم فلا يلتمس من غيرك شكر ما اتيت الى نفسك ووقيت به عرضك
واعلم ان الطالب اليك الحاجة لم يكرم وجهه عن وجهك فاكرم وجهك عن رده وعن الباقر ع
انه قيل له الرجل من اصحابنا من يستحيي ان ياخذ من الزكوة فاعطيه من الزكوة ولا اسمي له

يستبطئهم

انفا

انفا من الزكوة فقال اعطه ولا تسم له ولا تذل المؤمن **فصل** ينبغي للغني ان
يعلم ان الله تعالى امر المعطي بصرفه اليه ليكون هو جهة تيسير للعباد فيشكر الله
ويشكر المعطي في بعوله ويثني عليه مع رؤية النعمة من الله سبحانه قال النبي ص
من لم يشكر الناس لم يشكر الله وقال الصادق ع لعن الله قاطعي سبيل المعروف
قال الرجل يصنع اليه المعروف فيكفره فيمنع صاحبه من ان يصنع ذلك الى غيره
وان كان معروفا كافاه بما يستطيع ولو بالثنا والقول الجميل فعن النبي ص من
اتي اليه معروف فليكافئ به وان عجز فليثن فان لم يفعل فقد كفر النعمة وعن
الصادق ع قال كان امير المؤمنين ع يقول من صنع بمثل ما صنع اليه فانما كافاه
ومن ضعفه كان شكورا ومن شكره كان كريما ويستر عيوب صاحب العطاء
ولا يحقره ولا ينقضه ولا يعيره بالمنع اذا منع ويفخم عند نفسه وعند الناس صنيعه
بحيث لا يخرجه عن كونه واسطة لئلا يكون مشركا كما عن الصادق ع في قوله تعالى
وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون قال هو قول الرجل لولا فلان لهلكت ولولا
فلان لما اصبت كذا وكذا ولولا فلان لضاع عيالي الا ترى انه جعل لله شريكا في ملكه
يرزقه ويدفع عنه قيل فيقول لولا ان الله من علي بفلان لهلكت قال نعم لا باس بهذا
ونحوه وان يتوقى مواقع الريبة والتهمة في السؤال ويقدر لها ولا ياخذ الا من يحل له الدفع ولا
الزيادة على قدر الحاجة كالا يبالغ على رؤس الملأ في تحري الرد ويتورع العالم من اخذ الزكوة
مما لا يضطر اليه ترفعا للنفس عن الاوساخ وان اخذ الاخذ بنية انه لا ينفي لستر المروة وكشف
الحاجة والتعفف واسلم لقلوب الناس والسنتهم من الحسد وسوء الظن والغيبة
واعانة للمعطي على الاجر لانهم يرون انه عين الاذلال شر الشرك كان الحسنات
شكان فيهما ان ينظر بنية الاخلاص والصدق والسلامة عن تلبيس الحال واستمالة الجاه
والمذلة ولهما العبودية والمسكنة والتبري عن الكبر واقامة سنة الشكر وغيره فلا ينبغي يختلف

قيل وما قاطعوا سبيل المعروف قال

فانه موضع الخوف

باختلاف النيات والاحوال والاشخاص نعلم ذلك. **فصل** ينبغي للمؤمن ان لا يسأل
الناس من غير حاجة اضطر اليه بل يستعفف عن السؤال ما استطاع فان فيه ذل في الدنيا
وفقر معجل وحساب طويل يوم القيمة قال النبي ص لاصحابه الا تبايعون فقالوا
قد بايعناك يا رسول الله قال تبايعون على ان لا تسألوا الناس شيئا فكان
بعد ذلك يقع المخصرة من يد احدهم فينزل لها ولا يقول لاحد ناولنيها وقال لان
احدكم يأخذ حبلا فيأتي بحزمة حطب على ظهره فيبيعها فيكف بها وجهه خير له من ان يسأل
وقال من سألنا اعطيناه ومن استغنى اغناه الله وقال من تكفل لي ضمنت على ربي
ان لا يسأل احدا احدا من غير حاجة الا اضطرته حاجة المسألة يوما الى ان يسأل بحاجة
ونظر يوم عرفة الى رجال رذاء يسألون فقال هؤلاء شرار خلق الله الناس
مقبلون على الله وهم مقبلون على الناس وقال الباقر ع اقسم بالله وهو حق ما فتح رجل
على نفسه باب مسألة الا فتح الله عليه باب الفقر وقال طلب الحوائج الى الناس استلاب
للعزة ومذهبة للحياء واليأس عما في ايدي الناس عز للمؤمن والطمع هو الفقر الحاضر
وقال الصادق ع شيعتنا من لا يسأل الناس شيئا ولو مات جوعا وقال ع لو يعلم السائل
ما عليه من الوزر ما سأل احد احدا ولو يعلم المسؤول ما عليه اذا منع ما منع احد احدا
وقال من سأل من غير حاجة فكانما ياكل الجمر وسأل رجل النبي فقال السائل بوجه الله فامر
النبي فقنع بخمسة اسواط ثم قال سل بوجهك اللئيم ولا تسأل بوجه الله الكريم **فصل**
ان للجسد زكوة كما ان في المال زكوة وهو مفتاح باب الخير والبركة اما اضطرارا بان يصاب
بانه الم واختيارا بان يصرف في الطاعة ويمنع عن المعصية عن الصادق ع وقال النبي يوما
لاصحابه ملعون كل مال لا يزكى ملعون كل جسد لا يزكى ولو في كل اربعين يوما مرة قيل
له يا رسول الله اما زكوة المال فقد عرفناها فما زكوة الاجساد فقال لهم ان تصاب بآفة
فتغيرت وجوه الذين سمعوا ذلك منه فلما رآهم قد تغيرت الوانهم قال هل تدرون ما عنيت

ما صليت بقولي فقالوا لا يا رسول الله قال ان الرجل ليخدش الخدشة وينكب النكبة
ويعثر العثرة ويمرض المرضة ويشاك الشوكة وما اشبه هذا حتى ذكر في حديثه
اختلاج العين وفي مصباح الشريعة قال الصادق ع على كل جزء من اجزائك زكوة
واجبة لله عز وجل بل على كل منبت شعرك بل على كل لحظة فزكوة العين النظر بالعبرة
والغض عن الشهوات وما يضاهيها وزكوة الاذن استماع العلم والحكمة
والقرآن وفوائد الدين من الموعظة والنصيحة وما فيه نجاتك بالاعراض عما هو
ضده من الكذب والغيبة واشباههما وزكوة اللسان النصح للمسلمين
والتيقظ للغافلين وكثرة التسبيح والذكر وغيره وزكوة اليد البذل والعطاء
بما انعم الله به عليك وتحريكها بكتبة العلوم ومنافع ينتفع بها المسلمون في
طاعة الله والقبض عن الشرور وزكوة الرجل السعي في حقوق الله من زيارة الصالحين
ومجالس الذكر واصلاح الناس وصلة الرحم والجهاد وما فيه صلاح قلبك
وسلامة دينك هذا ما تحمل القلوب فهمه والنفوس استعماله وما لا يشرف عليه
الا عباد الله المقربون المخلصون اكثر من ان يحصى وهم اربابه وهو شعارهم ودثارهم وعن النبي ص
لكل شيء زكوة وزكوة الابدان الصيام **الباب السادس** في الصوم قال الله تعالى كتب عليكم الصيام
كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون وقال النبي ص الصوم جنة من النار وقال الصائم
في عبادة وان كان نائما على فراشه ما لم يغتب مسلما وقال قال الله تعالى الصوم لي وانا اجزي
به وللصائم فرحتان حين يفطر وحين يلقى ربه عز وجل والذي نفس محمد بيده لخلوف
فم الصائم عند الله اطيب من ريح المسك وقال الباقر ع بني الاسلام على خمسة اشياء على الصلوة
والزكوة والحج والصوم والولاية وقال الصادق ع من صام لله عز وجل يوما في شدة الحر
فاصابه ظمأ وكل الله به الف ملك يمسحون وجهه ويبشرونه حتى اذا افطر قال الله تعالى ما اطيب
ريحك وروحك يا ملائكتي اشهدوا اني قد غفرت له والريح النفس بالتحريك

نوم الصائم عبادة وصمته تسبيح وعمله متقبل ودعاؤه مستجاب وقال الكاظم عليه السلام قيلوا
فان الله سبحانه يطعم الصائم ويسقيه في منامه قيل ولو لم يكن في الصوم الا
الارتقاء من حضيض حظوظ النفس البهيمية الى ذروة التشبه بالملائكة الروحانية
لكفى به فضلا ومنقبة وانما كان الصوم جنة من النار لانه يخمد جمرة الشهوة والغضب اللتين
هما تصليان نار جهنم في باطن الانسان في الدنيا وتبرزان في الاخرة كما ان الجنة يدفع عن
صاحبها حر الحديد وانما قال عليه السلام لان الغيبة تأكل لحم الميتة فهو نوع من الاكل يتقوى
به البدن وانما كان الصوم لله ومشرفا بالنسبة الى الله وان كانت العبادات كلها له كما شرف
البيت بالنسبة اليه والارض كلها له لمعنيين احدهما ان الصوم كف وترك وهو في نفسه سر
ليس فيه عمل يشاهد وجميع الطاعات تشهد من الخلق ويرى والصوم لا يعلمه الا الله فانه عمل في البا
طن بالصبر المجرد فالصوم لله وجزاؤه من عنده خاصة من غير رضا مكة حد فيه والثاني انه قهر
لعدو الله فان وسيلة الشيطان الشهوات وانما تقوى الشهوات بالاكل والشرب ولذلك
قال النبي صلى الله عليه وآله ان الشيطان ليجري من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع فالشهوات مرتع
الشياطين ومرعاهم فما دامت مخصبة لم ينقطع ترددهم وما داموا يترددون لم ينكشف على
العبد جلال الله وكان محجوبا عن لقائه وقال رسول الله صلى الله عليه وآله لولا ان الشياطين يحومون على قلوب
بني آدم لنظروا الى ملكوت السماء وبسبب الفضيحة عند الالتفات لها الذي هو استعدادهم الذي وفق من الله
عز وجل على تمام الصيام ونيل الاجر ولما للصوم من اقتضاء المقامات ونيل المشتهيات وبسبب الفرحة
عند لقاء الرب اما للفوز بحصول لقوة القلب المستفاد من الكف وتوقي الشهوة والغضب اللذين
لهما الجوع والباءة فهم ان يعبد الله عبادا كما ذكر ربه وهو المعنى باللقاء وخلوف فم الصائم انما
صار اطيب عند الله من ريح المسك لانه سبب طيب الروح الذي هو عند الله من الانسان
كما انه نتن عند نفسه والى هذا اشير بقوله تعالى ما عندكم ينفد وما عند الله باق وانما طيب
الروح من طيب المسك فان الاول روحاني عقلي معنوي والثاني جسماني حسي صوري

خالصا

فصل

فصل اعلم ان للصوم ثلاث درجات صوم العموم وصوم الخصوص وصوم خصوص
الخصوص اما صوم العموم فهو كف البطن والفرج عن قضاء الشهوة واما صوم الخصوص فهو كف السمع
والبصر واللسان واليد والرجل وسائر الجوارح عن الآثام قال الصادق عليه السلام اذا صمت
فليصم سمعك وبصرك وشعرك وجلدك وعدد اشياء غير هذا وقال لا يكون يوم صومك
كيوم فطرك وفي خبر آخر ودع المراء واذى الخادم وليكن عليك وقار الصيام فان رسول
الله صلى الله عليه وآله سمع امرأة تسب جارية لها وهي صائمة فدعا بطعام فقال لها كلي فقالت اني صائمة فقال
كيف تكونين صائمة وقد سببت جاريتك ان الصوم ليس من الطعام والشراب فقط وعن
النبي صلى الله عليه وآله انما الصوم جنة فاذا كان احدكم صائما فلا يرفث ولا يجهل وان امرؤ قاتله او شاتمه
فليقل اني صائم وقال النبي صلى الله عليه وآله من اغتاب مسلما بطل صومه ونقض وضوءه وان مات وهو كذلك
مات وهو مستحل لما حرم الله وكم من صائم ليس له من صومه الا الجوع والعطش وقال الكاظم
عليه السلام ان الكذبة لتفطر الصائم قيل واينا لا يكون ذلك منه قال ليس حيث تذهب انما ذلك
الكذب على الله وعلى رسوله وعلى الائمة عليهم السلام ومعنى بطلان الصوم بالكذب والغيبة
وغيرهما مما لا يعده الفقهاء من المفطرات عدم قبول الصوم وترتب الثواب عليه دون
الاجزاء والخروج عن عهدة التكليف كما مر تحقيقه في باب الصلاة ولذلك شرطناه
في صوم الخصوص دون العموم واما صوم خصوص الخصوص فصوم القلب عن الهمم الدنية
والافكار الدنيوية وكفه عما سوى الله بالكلية ويحصل الفطر في هذا الصوم بالفكر
فيما سوى الله واليوم الآخر وبالفكر في الدنيا الا دنيا يراد للدين فان ذلك زاد الآخرة
وليس من الدنيا فان ارباب القلوب قالوا من تحركت همته بالتصرف في نهاره لتدبير
ما يفطر عليه كتبت عليه خطيئة فان ذلك من قلة الوثوق بفضل الله وقلة اليقين
برزقه الموعود وهذه رتبة الانبياء والصديقين والمقربين وفي مقابلها من تكثر
من الحلال وقت الافطار بحيث يمتلئ فوه ثم من بعد ذلك يفطر على الحرام من بطن يمتلئ من حلال

[illegible]

فافهم

ذلك

وكيف يستفاد من الصوم قهر عدو الله وكسر الشهوة اذا تدارك الصائم عند فطره ما فاته
ضحوة نهاره وربما يزيد عليه في الوان الطعام حتى استمرت العادات بان يدخر جميع الاطعمة
لشهر رمضان فيؤكل من الاطعمة فيه ما لا يؤكل في عدة اشهر ومعلوم ان مقصود الصوم الجوع وكسر
الهوى لتقوى النفس على التقوى واذا دفعت المعدة ضحوة النهار الى العشاء حتى هاجت شهوتها
وقويت رغبتها ثم اطعمت من اللذات واشبعت زادت لذتها وتضاعفت قوتها وانبعث
من الشهوات ما عساها كانت راكدة لو تركت على عادتها فروح الصوم وسره تضعيف القوى
التي هي وسائل الشيطان في العود الى الشرور ولن يحصل ذلك الا بالتقليل وان يأكل
اكلته التي كان يأكلها كل ليلة لو لم يصم وان جمع ما كان يأكل ضحوة الى ما كان يأكل
ليلا فلم ينتفع بصومه ولا يخفف عليه تهجده وليلة القدر عبارة عن الليلة التي ينكشف
فيها شيء من الملكوت ومن جعل بين قلبه وصدره مخلاة من الطعام فهو عنه محجوب
ومن اخلى معدته فلا يكفيه ذلك لرفع الحجاب حتى يخلي همته عن غير الله تعالى وذلك هو الامر
كله ومبداء ذلك تقليل الطعام **فصل** في مصالح الشريعة قال الصادق عم قال رسول الله ص
الصوم جنة اي ستر من آفات الدنيا وحجاب من عذاب الآخرة فاذا صمت فانو بصومك
كف النفس عن الشهوات وقطع الهمة من خطوات الشيطان وانزل نفسك منزلة
المرضى لا تشتهي طعاما ولا شرابا متوقعا في كل لحظة شفاءك من مرض الذنوب وطهر باطنك
من كل كدرة وغفلة وظلمة يقطعك عن معنى الاخلاص لوجه الله قال رسول الله ص
قال الله عز وجل الصوم لي وانا اجزي به فالصوم يميت مراد النفس وشهوة الطبع وفيه
صفاء القلب وطهارة الجوارح وعمارة الظاهر والباطن والشكر على النعم والاحسان
الى الفقراء وزيادة التضرع والخشوع والبكاء وحبل الالتجاء الى الله وسبب انكسار
الهمة وتخفيف الحساب وتضعيف الحسنات وفيه من الفوائد ما لا يحصى وكفى بما ذكرناه
منبها لمن عقل ووفق لاستعماله **الباب السابع** في الحج وزيارة

المشاهد قال الله تعالى ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان
الله غني عن العالمين وقال النبي ص من مات ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا وان شاء نصرانيا
وقال الصادق عم من مات ولم يحج حجة الاسلام لم يمنعه من ذلك حاجة تجحف به او مرض
لا يطيق فيه الحج او سلطان يمنعه فليمت يهوديا او نصرانيا والاخبار في فضل الحج وا
لعمرة اكثر من ان تحصى وهي مذكورة في مواضعها من كتبنا فاما الباب الاسرار فيها
فاعلم انه لا وصول الى الله تعالى الا بالتنزه عن الشهوات والكف عن اللذات والا
قتصار على الضرورات فيها والتجرد لله سبحانه في جميع الحركات والسكنات ولاجل
هذا انفرد الرهبانيون في الملل السالفة عن الخلق وانحازوا الى قلل الجبال وآثروا التوحش
عن الخلق لطلب الانس بالله فتركوا اللذات الحاضرة والزموا انفسهم المجاهدات
الشاقة طمعا في الآخرة واثنى الله تعالى عليهم في كتابه فقال ورهبانية ابتدعوها
ما كتبناها عليهم الا ابتغاء رضوان الله وقال ذلك بان منهم قسيسين ورهبانا
وانهم لا يستكبرون فلما اندرس ذلك واقبل الخلق على اتباع الشهوات وهجروا التجرد
لعبادة الله وفتروا عنها بعث الله تعالى محمدا ص لاحياء طريق الآخرة وتجديد سنة
المرسلين في سلوكها فسأله اهل الملل عن الرهبانية والسياحة في دينه فقال ص
ابدلنا بها الجهاد والتكبير على كل شرف يعني الحج وسئل عن السائحين فقال هم الصائمون
فانعم الله على هذه الامة بان جعل الحج رهبانية لهم فشرف البيت العتيق بالاضافة
الى نفسه ونصبه مقصدا لعباده وجعل ما حواليه حرما لبيته تفخيما لامره وجعل عرفات
كالميدان على فناء حرمه واكد حرمة الموضع بتحريم صيده وقطع شجره ووضعه على
مثال حضرة الملوك يقصده الزوار من كل فج عميق ومن كل اوب سحيق شعثا غبرا
متواضعين لرب البيت ومستكينين له خضوعا لجلاله واستكانة لعزته مع الاعتراف
بتنزهه عن ان يحويه بيت او يكتنفه بلد ليكون ذلك ابلغ في رقهم وعبوديتهم

واثر في اذعانهم وانقيادهم ولذلك وظف عليهم فيها اعمالا لا يانس بها النفوس ولا يهتدي الى معانيها العقول كرمي الجمار بالاحجار والتردد بين الصفا والمروة على سبيل التكرار وبمثل هذه الاعمال يظهر كمال الرق والعبودية فان الزكوة ارفاق ووجهه معلوم وللعقل اليه ميل والصوم كسر للشهوة التي هي عدو الله وتفرغ للعبادة بالكف عن الشواغل والركوع والسجود في الصلوة تواضع لله تعالى بافعال هي هيات التواضع وللنفوس انس بتعظيم الله فاما ترددات السعي ورمي الجمار فلا حظ للنفس ولا انس للطبع فيها ولا اهتداء للعقل الى معانيها فلا يكون للاقدام عليها باعث الا الامر المجرد وقصد الامتثال للامر من حيث انه امر واجب الاتباع فقط وفيه عزل العقل عن تصرفه وصرف النفس والطبع عن محل انسه فان كل ما ادرك العقل معناه مال الطبع اليه ميلا ما فيكون ذلك الميل معينا للامر وباعثا معه فلا يكاد يظهر به كمال الرق والانقياد ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحج على الخصوص لبيك بحجة حقا تعبدا ورقا ولم يقل ذلك في صلوة وغيرها واذا اقتضت حكمة الله تعالى ربط نجاة الخلق بان تكون اعمالهم على خلاف هوى طباعهم وان يكون زمامها بيد الشرع فيترددون في اعمالهم على سنن الانقياد وعلى مقتضى الاستعباد كان ما لا يهتدى الى معانيه ابلغ انواع التعبدات في تزكية النفوس وصرفها عن مقتضى الطبع والاخلاق الى مقتضى الاسترقاق واذا تفطنت لهذا فهمت ان تعجب النفوس من هذه الافعال العجيبة مصدره الذهول عن اسرار التعبدات وقد ظهر مما ذكرنا ان قاصد البيت قاصد الله وزائره فبالحري ان يفوز بلقاء الله وبسعادة المضروب له والشوق الى لقاء الله هو سوقه الى اسباب اللقاء فليحصل عزمه خالصا لوجه الله بعيدا عن شوائب الرياء غير **فصل** ينبغي للحاج عند توجهه الى الحج وخروجه من بلده ان يرد المظالم ويتوب الى الله توبة نصوحا ويقطع علاقة قلبه عن الالتفات الى ما وراءه

البيت قاصد

ليكون متوجها الى الله بوجه قلبه وبقدر راتبه انه لا يعود وليكتب وصيته لاهله ولاولاده ويتهيا لسفر الاخرة فان ذلك بين يديه على قرب وان يتادب باداب السفر كلها كما هي مذكورة في موضعها ولاسيما توسيع الزاد وتطييبه وطيب الكلام ولينه وخفض الجناح ما استطاع فمن بر الحج طيب الكلام واطعام الطعام و ليس للحج المبرور جزاء الا الجنة وعدم الاهتمام بالانفاق وبما اصيب في المال اذ درهم منه يعدل سبعمائة في سبيل الله وان يكون قلبه مطمئنا منصرفا الى ذكر الله سبحانه وتعظيم شعائره حاضرا عند كل حركة وسكون متذكرا به امر الحج وتاينا بسببه ويكون اشعث اغبر غير مترفه ويمشي ان قدر خصوصا بين المشاعر فربما عبد الله لمشي افضل من المشي لا لتقليل النفقة مع اليسار فان الركوب افضل كما ذكره سيما لمن ضعف بالمشي وربما تخلفه وقصر في العمل فهو يترك ركوب احب الي فان ذلك اقوى على الدعا والعبادة وكان الحسن بن علي يمشي والنجائب تقاد معه المحامل والرحال وان اضطرب الراحلة * فليشكر الله بقلبه على ان نجاه الله ويحتمل عنه الاذى ويخفف عنه النفقة فاذا دخل البادية متوجها الى الميقات وشاهد تلك العقبات فليتذكر فيها ما بين الخروج من الدنيا بالموت الى ميقات يوم القيمة وما بينهما من الاهوال والمطالبات وليتفكر صح من قطاع سبل الطريق هول سوال منكر ونكير ومن سباع البوادي عقارب القبر وديدانه وما فيه من الافاعي والحيات ومن انفراده عن اهله واقاربه وحشة القبر وكربته ووحدته وليكن في هذه المخاوف في اعماله واقواله متزودا لمخاوف القبر وليتذكر عند لبس ثوبي الاحرام لبس الكفن ولفه فيه وانه سيلقى الله ملفوفا في ثياب الكفن لا محالة فانه كما لا يلقى بيت الله الا مخالفا عادته في الزي والهيئة فلا يلقى الله بعده صح بعد الموت الا في زي مخالف لزي الدنيا وهذا الثوب قريب من ذلك الثوب اذ ليس فيه مخيط كما في الكفن ولباس الاحرام والتلبية بالميقات فليعلم انه اجابة نداء الله فليرج ان يكون مقبولا وليخش ان يقال له لا لبيك ولا سعديك وليكن بين الرجاء والخوف مترددا وعن حوله وقوته متبريا وعلى فضل الله وكرمه متكلا فان وقت التلبية هو بداية الامر

وهو محل الخطر وقد روى ان السجاد ع لما احرم واستوت به راحلته اصفر لونه وانتفض
ووقع عليه الرعدة ولم يستطع ان يلبي فقيل له لم لا تلبي فقال اخشى ان يقول لي ربي
لا لبيك ولا سعديك فلما لبى غشي عليه وسقط عن راحلته فلم يزل يعتريه ذلك حتى
قضى حجه **فصل** واذا دخل مكة فليتذكر عندها انه قد انتهى الى حرم امن
وليرج عنده ان يامن بدخوله من عقاب الله وليخش ان لا يكون اهلا للقرب فيكون بدخول
الحرم خائبا مستحقا للمقت وليكن رجاؤه في جميع الاوقات غالبا فالكرم عميم والرب رحيم وشرف
البيت عظيم وحق الزائر مرعي وذمام المستجير اللائذ غير مضيع واذا وقع بصره على ا
لبيت فينبغي ان يحضر عنده عظمة البيت في قلبه ويقدر كانه مشاهد لرب البيت لشدة
تعظيمه وليرج ان يرزقه لقاءه كما رزقه لقاء البيت وليشكر الله على تبليغه اياه هذه الرتبة والحاقه
اياه بزمرة الوافدين اليه واما الطواف فانه صلاة فليحضر في قلبه فيه من التعظيم والخوف والرجاء
والمحبة ما سبق في باب الصلوة وليعلم انه بالطواف متشبه بالملائكة المقربين الحافين
حول العرش الطائفين حوله ولا يظن ان المقصود طوافه بجسمه بالبيت بل المقصود طواف قلبه
بذكر رب البيت حتى لا يبتدئ الذكر الا به ولا يختم الا به كما يبتدئ الطائف الطواف من
البيت ويختم بالبيت وليعلم ان الطواف الشريف هو طواف القلب بحضرة الربوبية وان البيت مثال
ظاهر في عالم الملك لتلك الحضرة التي لا تشاهد بالبصر وهو في عالم الغيب وان عالم
الملك والشهادة مدرجة الى عالم الغيب والملكوت لمن فتح له الباب والى هذه الموازنة
وقعت الاشارة بان البيت المعمور في السموات بازاء الكعبة وان طواف الملائكة به
كطواف الانس بهذا البيت ولما قصرت رتبة اكثر الخلق عن مثل ذلك الطواف امروا
بالتشبه بهم بحسب الامكان ووعدوا بان من تشبه بقوم فهو منهم واما استلام الحجر فليعلم
انه بمنزلة اليمين قال رسول الله ص استلموا الركن فانه يمين الله في خلقه يصافح بها خلقه
مصافحة العبد او الدخيل ويشهد لمن استلمه بالموافاة او ادبالركن الحجر الاسود لانه موضع

ويرده عالم الملكوت كما ان البدن
مثال ظاهر في عالم الشهادة بالقلب
الذي لا يشاهد بالبصر ح

في الركن وانما شبهه باليمين لانه واسطة بين الله وبين عباده في النيل والوصول والتحبب
والرضا كاليمين حين التصافح وللدخيل الملتجئ قال الصادق ع ان الله تبارك وتعالى لما اخذ
مواثيق العباد امر الحجر فالتقمها فلذلك يقال امانتي اديتها وميثاقي تعاهدته لتشهد لي با
لموافاة وقال الصادق ع الركن اليماني باب من ابواب الجنة لم يغلقه الله منذ فتحه وفي
الركن اليماني بابنا الذي ندخل منه الجنة وفيه نهر من الجنة يلقى فيه اعمال العباد وانما
شبه بباب الجنة لان استلامه وسيلة الى دخولها وبالنهر لانه يغسل به الذنوب وليكن
نيته في الاستلام طلب القرب حبا وشوقا للبيت ولرب البيت وتبركا بالمماسة ورجاء
التحصن عن النار في كل جزء لاقى البيت وليكن نيته في التعلق باستار البيت الالحاح في
طلب المغفرة وسؤال الامان كالمذنب المتعلق بثياب من اذنب اليه المتضرع اليه في عفوه
عنه المظهر انه لا ملجأ له منه الا اليه ولا مفزع له الا عفوه وكرمه وانه لا يفارق ذيله
الا بالعفو وبذل الامن في المستقبل **فصل** واما السعي بين الصفا والمروة
في فناء البيت فانها تضاهي تردد العبد بفناء دار الملك جائيا وذاهبا مرة بعد اخرى اظهارا
للخلوص في الخدمة ورجاء للملاحظة بعين الرحمة كالذي دخل على الملك وخرج وهو لا
يدري ما الذي يقضي الملك في حقه من قبول او رد واما الوقوف بعرفات فليتذكر بما
يرى من ازدحام الخلق وارتفاع الاصوات واختلاف اللغات واتباع الفرق ائمتهم في
الترددات على المشاعر عرصات القيمة واجتماع الامم مع الانبياء والائمة ع واقتفاء
كل امة نبيها وطمعهم في شفاعتهم وتحيرهم في ذلك الصعيد الواحد بين الرد والقبول
واذا تذكر ذلك فليلزم قلبه الضراعة والابتهال الى الله ليحشر في زمرة الفائزين المرحومين ويحقق
رجاءه بالاجابة فالموقف شريف والرحمة انما تصل من حضرة الجلال الى كافة الخلق بواسطة
القلوب العزيزة من اوتاد الارض ولا ينفك الموقف عن طبقة من الصالحين وارباب القلوب
فاذا اجتمعت هممهم وتجردت للضراعة والابتهال قلوبهم وارتفعت الى الله ايديهم ومدت

ذيله

العزيزة ح

اليه اهنا فهم وتخشعت نحو السماء ابصارهم مجتمعين بهمة واحدة على طلب الرحمة فبعيد ان يخيب
املهم ويضيع سعيهم ولذلك قيل من اعظم الذنوب ان يحضر عرفات ويظن ان الله لم يغفر له
بالمشعر فليتحقق انه قد اقبل عليه مولاه ولما الوقوف بالمشعر بعد ان كان مدبرا عنه طالا
له ولذلك انه في حضور الحرم فان المشعر من جملة الحرم وعرفات خارج عنه فقد انتهى على
باب الحرم وهبت عليه نسمات الرحمة كهو طلع المقبول بالاذن في دخول الملك ولما
رمى الجمار فليقصد به الانقياد للامر اظهارا للرق والعبودية وانتهاضا لمجرد الامتثال
من غير حظ للعقل والنفس ثم ليقصد به التشبه بابراهيم حيث عرض له ابليس في هذا
الموضع ليدخل على حجه شبهة او فتنة فامره الله ان يرميه بالحجارة طردا له وقطعا لامله
وليعلم انه في الظاهر يرمي الحصا الى العقبة وفي الحقيقة يرمي به وجه الشيطان ويقصم ظهره اذ لا
يحصل ارغام انفه الا بامتثال امر الله تعظيما بمجرد الامر من غير حظ للعقل فيه واما ذبح
الهدي فليعلم انه تقرب الى الله بحكم الامتثال وليكمل الهدي واجزاءه وليرج ان يعتق
بكل جزء منه جزء منه من النار كما ورد الوعد به فصل وفي اصلاح السر في هذه قال
عم اذا اردت الحج فجرد قلبك لله ثم من كل شاغل وحجاب كل حاجب وفوض امورك
كلها الى خالقك وتوكل عليه في جميع ما يظهر من كلامك وسكناتك وسلم لقضائه وحكمه
وقدره ودع الدنيا والراحة والخلق واخرج من حقوق تلزمك من جهة المخلوقين ولا تعتمد
على زادك وراحلتك واصحابك وقوتك وشبابك ومالك مخافة ان يصير ذلك عدوا
ووبالا فان من ادعى رضا الله واعتمد على ما سواه صيره عليه وبالا وعدوا ليعلم انه
ليس له قوة ولا حيلة ولا لاحد الا بعصمة الله وتوفيقه واستعد استعداد من لا يرجو
الرجوع واحسن الصحبة وراع اوقات فرائض الله وسنن نبيه وما يجب عليك من الادب
والاحتمال والصبر والشكر والشفقة والسخاء وايثار الزاد على دوام الاوقات ثم
اغتسل بماء التوبة الخالصة من ذنوبك والبس كسوة الصدق والصفاء والخضوع والخشوع

واحرم

١٢٦

واحرم من كل شيء يمنعك عن ذكر الله ويحجبك عن طاعته ولب بمعنى اجابة صافية
خالصة زاكية لله تعالى في دعوتك متمسكا بالعروة الوثقى وطف بقلبك مع الملائكة حول
العرش كطوافك مع المسلمين بنفسك حول البيت وهرول هربا من هواك وتبريا من
حولك وقوتك واخرج من غفلتك وزلاتك بخروجك الى منى ولا تتمن ما لا يحل
لك ولا تستحقه واعترف بالخطايا بعرفات وجدد عهدك عند الله تعالى بوحدانيته
وتقرب اليه واتقه بمزدلفة واصعد بروحك الى الملا الاعلى بصعودك الى
الجبل واذبح حنجرة الهوى والطمع عند الذبيحة وارم الشهوات والخساسة والدناءة والذ
ميمة عند رمي الجمرات واحلق العيوب الظاهرة والباطنة بحلق شعرك وادخل في امان
الله وستره وكنفه وكلاءته من متابعة مرادك بدخولك الحرم ودر حول البيت متحققا
لتعظيم صاحبه ومعرفة جلاله وسلطانه واستلم الحجر رضاء بقسمته وخضوعا لعزته ودع
ما سواه بطواف الوداع واصف روحك وسرك للقاء يوم تلقاه بوقوفك على الصفا وكن
بمرأى من الله تقيا اوصافك عند المروة واستقم على شرط حجك هذا ووفاء عهدك الذي
عاهدت به مع ربك واوجبته الى يوم القيامة واعلم بان الله لم يفترض الحج ولم يخصه من جميع
الطاعات بالاضافة الى نفسه بقوله ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا
ولا شرع نبيه سنة في خلال المناسك على ترتيب ما شرع الا للاستعداد والاشارة
الى الموت والقبر والبعث والقيامة وفصل بيان السابقة من الدخول في الجنة اهلها ودخول
النار اهلها بمشاهدة مناسك الحج من اولها الى اخرها لاولي الالباب واولي النهى فصل
ولما بانت المدينة واذا وقع بصره على حيطانها فليتذكر انها البلدة التي اختارها الله تعالى
لنبيه وجعل اليها هجرته وفيها قبره الى ان فيها شرع فرائض ربه وسنته وجاهد عدوه واظهر
بها دينه الى ان توفاه الله ثم جعل تربته فيها ثم ليمثل في نفسه اقدام رسول الله صلعم وهو يتردد فيها
وانه ما من موضع قدم الا وهو موضع قدمه العزيز فلا يضع قدمه عليه الا على سكينة ووجل

وليتذكر شيبه ويتطيب في سلكها ولتصون خشوعه وسكينة في المشي وما استوح
الله قلبه من عظيم معرفته ويرفعه ذكره حتى ترتبه بذكره فهو اوجبنا عمل من هذا الحرمة
ولم يضع صوته فوق صوته فان نزل حرمته ميتا كحرمته حيا فيخفض دقيقة من الدقايق فلا
يامن ان يحال بينه وبينه بسعيه عن تحيته وليعظم مع ذلك رجاءه ان لا يحول
الله بينه وبينه بعد ان رزقه الايمان والشخص من وطنه لاجل زيارته تحبيبا له و
تشوقا الى ان ينظر الى اثاره والحيطان التي حازت الملح المجيد فليتذكر انه يمشي الله تعالى
اولما انتهت في تلك العرصة فليعظم اهلها فانه الله ان يجمعه بجنانه ايا بحاشا
معظما او الجد فلذلك الكان بان يستحق الخشوع من قلبه كل ما يحفظ وهذا زيارته
فلينبغي ان يقف بين يديه يزوره ميتا كما يزوره حيا ولا يقرب من قبره الا كما يقرب
من شخصه الكريم لو كان حيا وليعلم انه عالم بحضوره وقيامه وزيارته وانه
يبلغه سلامه وصلوته فليمثل صورته الكريمة في خياله موضوعا بازائه ويحضر عظيم
رتبته في قلبه فقد روي ان الله تعالى وكل بقبره ملكا يبلغه سلام من سلم
عليه من امته هذا في حق من لم يحضر قبره فكيف بمن فارق الوطن وقطع البوادي شوقا
الى لقائه واكتفي بمشاهدة مشهده الكريم اذ فاته مشاهدة عزته الكريمة على الصلوة
ثم اذا انتهت من الدعا عند قبر النبي فات المنبر وامسح بيدك وضع بها يديه
السفلا وان وامسح عينيك ووجهك به فانه يقال انه شفا والعين وقم عنده فاحمد
الله واثني عليه وسل حاجتك فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما بين منبري وبيتي روضة
من رياض الجنة ومنبري على ترعة من ترع الجنة والترعة هي الباب الصغير وسل ثم
روضة اليوم قال نعم لو كشف الغطا لرايتم **فصل** قال النبي صلى الله عليه وسلم من زار قبري
بعد موتي كمن هاجر الي حياتي فان لم تستطيعوا فابعثوا الي بالسلام فانه
يبلغني ومال صلى الله عليه وسلم لعلي عم يا ابا الحسن ان الله جعل قبرك وقبر ولدك بقاعا

قبري

من بقاع الجنة وعرصات من عرصاتها وان الله جعل قلوب نجبا من خلقه وصفوة من
عباده تحن اليكم وتحتمل المذلة والاذى فيكم فيعمرون قبوركم ويكثرون زيارتها تقربا منهم الى الله ومودة منهم
منهم لرسوله اولئك يا علي المخصوصون بشفاعتي والواردون حوضي وهم زواري
وجيراني غدا في الجنة يا علي من عمر قبورهم وتعاهدها فكانما اعان سليمان بن داود
على بناء بيت المقدس ومن زار قبورهم عدل ذلك ثواب سبعين حجة بعد حجة الاسلام سبعين حجة
وخرج من ذنوبه حتى يرجع من زيارتكم كيوم ولدته امه فابشر يا علي وبشر اوليائك ومحبيك من النعيم بما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر
ولكن حثالة من الناس يعيرون زوار قبوركم كما تعير الزانية بزناها اولئك شرار
امتي لا انالهم شفاعتي ولا يردون حوضي وقال الصادق صلوات الله عليه لو ان احدكم حج دهره ثم لم
يزر الحسين بن علي لكان تاركا حقا من حقوق رسول الله صلى الله عليه وسلم لان حق الحسين
بن علي فريضة من الله واجبة على كل مسلم والاخبار في فضل زيارة الائمة
المعصومين وثوابها ولا سيما زيارة ابي عبد الله الحسين وابي الحسن الرضا عم
فضلها على الحجة والعمرة والغزو اكثر من ان تحصى ولعل السر في فضل زيارتهم على
تلك العبادات ان في زيارتهم صلة رحم لرسول الله صلى الله عليه وسلم وامير المؤمنين وفاطمة عليهم السلام
وتبشيرهم وتحبيبهم بل سائر النبيين والوصيين صلوات الله عليهم اجمعين وادخال
السرور عليهم وتجديد عهدهم لولايتهم واحياء امرهم وتبكيت اعدائهم
وفي ذلك كله جهاد اعداء الله الذي لا يخيب من جاهد وطلب به رضاه سبحانه الذي
يرضى لمن ارضاه وهي مع ذلك كله عبادة الله عز وجل وسرور قلب من تجمع افعاله
السرور على رسوله وعلى ذريته واوصيائه ومن تجمع الايمان بعبادة السابقة
جهاد وسرور لمن هو من هذه المحبة انهم وقد كتب ونفعه جلاله وقد الموسى عند الله بين
صلة وبرة وايصال السرور عليه من نجوه كونه مما يختص لك لمن عصمه الله

عن الخطاء وطهرهم من الرجس وجعلهم اماما للمؤمنين وقدوة للمتقين وارخلق السموات
والارضين وجعلهم صراطه وسبيله وعينه ودليله وبابه الذي يؤتى منه وجعلهم الفضل بينه
وبين عباده من رسل وانبياء وحجج واولياء وهذا مع ان مقابرهم ومشاهدهم وارواحهم العلية
المقدسة الا مثال الحقيقي اشباحهم البرزخية النورية فانهم هناك يشهدون وهم احياء
عند ربهم يرزقون بما آتاهم الله من فضله يرجعون لحملة الجنة والعمرة والعرفة وغير ذلك
نالها وان كان فيما اتفاقا اموال وحال آمال واشخاص ابدان وهجران اوطان وتحمل مشقة — والحال ظ
تجديد ميثاق وشهود شعائر وحضور مشاعر الا انها ليست بتلك المثابة في التوبة لان
هذه انما هي عبادة الله سبحانه وطاعة لامره وذكره وسيرة له ولا تليق بها الاتيان بالعبادة
في وليست فيها جميع تلك الامور التي يتعب عليها هناك مع انها تاتي من كل صقيع ولا
سلامهم وان كان لمستحبا بخلاف هناك فانها لا تاتي الا ممن كان بعيد قدره لمن تقدم
ظهرنا من صفة لتهم ولو ناقصا قال الرضا ع ان لكل امام عهدا في عنق اوليائه وشيعته
وان من تمام الوفاء بالعهد وحسن الاداء زيارة قبورهم فمن زارهم رغبة في زيارتهم وتصديقا
بما رغبوا فيه كان ائمتهم شفعاءه يوم القيمة **المقالة السادسة** في سائر الاعمال الصا
لحة وفيها خمسة ابواب **الباب الاول** في التوبة وهي تنزيه القلب عن الذنب والرجوع
من البعد الى القرب وبعبارة اخرى ترك المعاصي في الحال والعزم على تركها في الا
ستقبال وتدارك ما سبق من التقصير وهي فرض على كل حال وعلى الفور ومن شرطها
ان تكون لله سبحانه لا للمال او جاه او خوف من سلطان او عدم اسباب وان يندم لما
الندم اعني تالم القلب وحزنه على الذنب الذي هو روح التوبة فهو مقدوره وهو
التوبة حقيقة وانما المقدور تحصيل اسبابه من العلم واليقين وتحقيقهما
في قلبه قال النبي ص الندم توبة اذ لا يخلو الندم عن علم اوجبه وانتهى
عن عزم يتبعه ويتلوه فيكون الندم محفوفا بطرفيه

الحق

اعني ثمرته ومثمرها والطريق اليها اذ كرها ورد في فضلها والعلم بقبح الذنوب ونشرة العقوبة
وضعف النفس عن الاحتمال وشرف الاخرة وخساسة الدنيا وقرب الموت ولذة المعرفة
والمناجاة الممتنعة مع الاصرار وخوف الاملاء بعدم الاخذ الحالي والاستدراج بالاحسان — قلع ظ
وقطع اسباب الاصرار وهي الغرور وحب الدنيا وطول الامل وقال الله تعالى وتوبوا
الى الله جميعا ايها المؤمنون لعلكم تفلحون وقال يا ايها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة
نصوحا عسى ربكم ان يكفر عنكم سيئاتكم الاية ومعنى النصوح الخالص لله خاليا
عن الشوائب وقال عز وجل ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين وقال رسول الله
التائب حبيب الله والتائب من الذنب كمن لا ذنب له وقال الباقر ع الله اشد فرحا بتوبة
عبده من رجل اضل راحلته وزاده في ليلة ظلماء فوجدها وقال الصادق ع في قوله تعالى توبوا
الى الله توبة نصوحا قال هو الذنب الذي لا يعود فيه ابدا قيل واينا لم يعد قال
يا فلان ان الله يحب من عباده المفتن التواب يعني الكثير الذنب كثير التوبة و
قال اذا تاب العبد توبة نصوحا احبه الله فستر عليه قيل كيف يستر عليه قال
ينسي ملكيه ما كانا يكتبان عليه ويوحي الله الى جوارحه والى بقاع الارض ان اكتما
عليه ذنوبه فيلقى الله تعالى حين يلقاه وليس شيء يشهد عليه بشيء من الذنوب
فصل اعلم انه مهما اشرق نور الايمان على القلب اثمر نار الندم على الذنب فيتالم به القلب
حيث يبصر باشراق نور الايمان على القلب انه صار محجوبا عن محبوبه كمن يشرق عليه
نور الشمس وقد كان في ظلمة فقطع عليه النور بانقشاع سحاب او انحسار حجاب فرأى محبوبه — فسطع ظ
قد اشرف على الهلاك فيشتعل نيران الحب في قلبه فتنبعث بتلك النيران ارادته
للانتهاض للتدارك فالعلم والندم والقصد المتعلق بالترك في الحال والاستقبال
والتلافي للماضي ثلاثة معان مترتبة يطلق اسم التوبة على مجموعها وكثيرا ما يطلق اسم التوبة
على الندم وحده ويجعل العلم كالسابق والمقدمة والترك كالثمرة والتابع المتاخر

كما اشرنا اليه فمن نظر اولا بنور البصيرة الى التوبة ما هي ثم الى الوجوب ما معناه فلا يشك
في ثبوته لها وذلك بان علم ان معنى الواجب ما هو واجب في الوصول الى سعادة الابد و
النجاة عن هلاك الابد وعلم ان لا سعادة في دار البقاء الا في لقاء الله وان كل محجوب عنه
يشقى لا محالة محول بينه وبين ما يشتهيه محترق بنار الفراق ونار جهنم وعلم انه لا مبعد عن
لقاء الله الا اتباع الشهوات والانس بهذا العالم الفاني والاكباب على حب ما لا بد
من فراقه قطعا وعلم انه لا مقرب من لقاء الله الا قطع علاقة القلب عن زخرف هذا
العالم والاقبال بالكلية على الله طلبا للانس به بدوام ذكره وللمحبة له بمعرفة جلاله
وجماله على قدر طاقته وعلم ان الذنوب التي هي اعراض عن الله واتباع لمحاب الشياطين
اعداء الله المبعدين عن حضرته سبب كونه محجوبا مبعدا عن الله فكل علم يراد ليكون باعثا
على عمل فلا يقع التفصي عن عهدته ما لم يصر باعثا فالعلم بضرر الذنوب انما اريد ليكون
باعثا على تركها فمن لم يتركها فهو فاقد لهذا الجزء من الايمان وهو المراد بقول النبي صلعم لا يزني
الزاني حين يزني وهو مؤمن وما اراد به نفي الايمان بالله ووحدانيته وصفاته وكتبه
ورسله فان ذلك لا ينافي الزنا والمعاصي وانما اراد به نفي الايمان بكون الزنا مبعدا
عن الله وموجبا للمقت وليس الايمان بابا واحدا بل هو كما ورد نيف وسبعون بابا اعلاها
شهادة ان لا اله الا الله وادناها اماطة الاذى عن الطريق ومثاله قول القائل [margin: اماطة الاذى]
ليس الانسان موجودا واحدا بل هو نيف وسبعون موجودا اعلاها القلب والروح
وادناها الاماطة للاذى عن البشرة بان يكون مقصوص الشارب مقلوم الاظفار نقي
البشرة عن الخبث حتى يتميز عن البهائم المرسلة المتلوثة بارواثها المستكرهة الصور
بطول مخالبها واظفارها فالايمان كالانسان وفقد شهادة التوحيد يوجب البطلان
بالكلية كفقد الروح والذي ليس له الا شهادة التوحيد والرسالة هو كانسان مقطوع
الاطراف مفقوء العينين فاقد لجميع اعضائه الظاهرة والباطنة الا اصل الروح [margin: مفقودة]

وكان من هذا حاله قريب من ان يموت فينزل الروح الضعيفة المنفردة التي
تخلف عنها الاعضاء التي تمدها وتقويها فكذلك من ليس له الا اصل الايمان وهو مقصر
في الاعمال قريب من ان ينقلع شجرة ايمانه اذا صدمتها الرياح العاصفة المحركة للايمان
في مقدمة قدوم ملك الموت ووروده فكل ايمان لم يثبت في النفس اصله ولم ينتشر في
الاعمال فروعه لم يثبت على عواصف الاهوال عند ظهور ناصية ملك الموت وخيف عليه
سوء الخاتمة الا ما سقي بماء الطاعات على توالي الايام والساعات حتى رسخ وثبت
فهذا امر يظهر عند الخاتمة وانما تقطعت نياط العارفين خوفا من دواهي الموت ومقدماته
الهائلة التي لا يثبت عليها الا الاقلون

فصل

اعلم ان وجوب التوبة عام في الاشخاص
والاحوال فلا ينفك عنه احد البتة قال الله تعالى وتوبوا الى الله جميعا فعمم الخطاب
ونور البصيرة ايضا يرشد اليه اذ معنى التوبة الرجوع عن الطريق المبعد عن الله المقرب
الى الشيطان ولا يتصور ذلك الا من عاقل ولا تكمل غريزة العقل الا بعد كمال الشهوة و
الغضب وساير الصفات المذمومة التي هي وسايل الشيطان الى اغواء الانسان اذ كمال
العقل انما يكون عند مقاربة الاربعين واصله انما يتم عند مراهقة البلوغ ومباديه
تظهر بعد سبع سنين والشهوات جنود الشيطان والعقول جنود الملائكة فاذا اجتمعا [margin: واجتمعا]
قام القتال بينهما بالضرورة اذ لا يثبت احدهما للآخر لانهما ضدان فالتطارد بينهما
كالتطارد بين الليل والنهار والنور والظلمة ومهما غلب احدهما ازعج الآخر بالضرورة
واذا كانت الشهوات تكمل في الصبا والشباب قبل كمال العقل فقد سبق جند الشيطان
واستولى على المكان ووقع للقلب بها انس والف لا محالة مقتضيات الشهوات بالعادة و
غلب ذلك عليه النزوع عنه ثم يلوح العقل الذي هو حزب الله وجنده ومنقذ اوليائه [margin: ويعسر عليه]
من ايدي اعدائه شيئا فشيئا على التدريج فان لم يقو ولم يكمل سلمت مملكة القلب
للشيطان وانجز اللعين موعوده حيث قال لاحتنكن ذريته الا قليلا وان

قوى العقل ويكمل لما هو شغله فتح جنود الشيطان بكسر الشهوات ومفارقة العادات
ورد الطبع على سبيل القهر والغلبة الى العبادات ولا معنى للتوبة الا هذا وهو
الرجوع عن طريق دليله الشهوة وخفيره الشيطان الى طريق الله تعالى وليس في الوجود
آدمي الا وشهوته سابقة على عقله وغريزته التي هي عدة الشيطان متقدمة على
غريزته التي هي عدة الملائكة فكان ما سبق اليه على مساعدة الشهوات ضروريا في
حق كل انسان واما بيان وجوبها على الدوام وفي كل حال فهو ان كل بشر فلا يخلو عن
معصيته بجوارحه فان خلا في بعض الاحوال عن معصية الجوارح فلا يخلو
عن الهم بالذنوب بالقلب فان خلا عن الهم فلا يخلو عن وسواس الشيطان بايراد
الخواطر المتفرقة المذهلة عن ذكر الله فان خلا عنه فلا يخلو عن غفلة وقصور في
العلم بالله وبصفاته وبآثاره بحسب طاقته وكل ذلك نقص له اسباب وترك اسبابها
بالتشاغل باضدادها رجوع عن طريق الى ضده والمراد بالتوبة الرجوع ولا يتصور الخلو
في حق الآدمي عن هذا النقص وانما يتفاوتون في المقادير فاما الاصل فلا بد منه الا
ان الانبياء والاوصياء ليست ذنوبهم كذنوبنا وانما هي ترك دوام الذكر والاشتغال
بالمباحات وحرمانهم زيادة الاجر بسبب ذلك قال الصادق ع ان رسول الله ص كان يتوب
الى الله ويستغفره في كل يوم وليلة مائة مرة من غير ذنب ان الله يخص اولياءه
بالمصائب ليأجرهم عليها من غير ذنب يعني من ذنب كذنوبنا فانما ذنب كل احد انما هو بحسب
قدره ومنزلته عند الله ثم اعلم انه لا يكفي في تدارك الشهوات تركها في المستقبل
بل لا بد من محو آثارها التي انطبعت في القلب بنور الطاعات قال النبي ص اتبع السيئة
بالحسنة تمحها وينبغي ان يكون الحسنة الماحية للسيئة مناسبة لتلك السيئة
فيكفر سماع الملاهي بسماع القرآن والخبر في مجالس الذكر ويكفر القعود في المسجد
جنبا بالعبادة فيه الى غير ذلك وليس ذلك شرطا وقد روي ان رجلا قال لرسول الله

ان

اني عالجت امرأة فاصبت منها نفسها كل شيء الا المسيس فاقض علي بحكم الله تعالى
اما صليت معنا فقال بلى فقال ان الحسنات يذهبن السيئات ولا بد ان يكون عن قرب
عهد بالخطيئة بان يتندم عليها ويمحو اثرها قبل ان يتراكم الرين على القلب فلا يقبل
المحو قال الله انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب
ومعناه عن قرب عهد به قال وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر
احدهم الموت قال اني تبت الآن قال الصادق ع ذلك اذا عاين امر الآخرة وذلك لان
التوبة مقبولة قبل ان يعاين كما ورد عن رسول الله ص ومن ترك المبادرة الى التوبة
بالتسويف كان بين خطرين عظيمين احدهما ان يتراكم الظلمة على قلبه من المعاصي حتى
يصير رينا وطبعا فلا يقبل المحو والثاني ان يعاجله المرض او الموت فلا يجد مهلة
للاشتغال بالمحو ولذلك ورد في الخبر ان اكثر صياح اهل النار من التسويف

فصل اعلم انك اذا فهمت معنى القبول لم تشك في ان كل توبة صحيحة
فهي مقبولة فالناظرون بنور البصائر المستمدون من انوار القرآن علموا ان كل قلب
سليم مقبول عند الله ومتنعم في الآخرة في جوار الله وعلموا ان القلب خلق سليما في
الاصل فكل مولود يولد على الفطرة وانما تفوته السلامة بكدورة ترهق وجهه من
غبرة الذنوب وظلمتها وان نار الندم تحرق تلك الغبرة وان نور الحسنة يمحو عن
وجه القلب ظلمة السيئة وانه لا طاقة لظلام المعاصي مع نور الحسنات كما لا طاقة
لظلام الليل مع نور النهار بل كما لا طاقة لكدورة الوسخ مع بياض الصابون والماء
الحار الا ان يتراكم الذنوب حتى يصير طبعا ورينا وهذا مثاله بغوص الوسخ لطول تراكمه
في تجاويف الثوب وخلله فمثل هذا القلب لا يرجع ولا يتوب وان قال بلسانه تبت
وهذا البيان كاف في قبول التوبة المتضمنة لشروطها قال الله تعالى وهو الذي يقبل التوبة
عن عباده وقال غافر الذنب وقابل التوب وقال النبي ص ان الحسنات يذهبن السيئات

كما يذهب الماء الوسخ وقال لو عملتم الخطايا حتى يبلغ السماء ثم ندمتم لتاب الله عليكم
وقال الباقر ع لمحمد بن مسلم ذنوب المؤمن اذا تاب منها مغفورة له فليعمل المؤمن لما
يستانف بعد التوبة والمغفرة اما والله انها ليست الا لاهل الايمان قال قلت فان
عاد بعد التوبة والاستغفار في الذنوب وعاد في التوبة فقال يا محمد بن مسلم اترى
العبد المؤمن يندم على ذنبه ويستغفر الله منه ويتوب ثم لا يقبل الله توبته قلت
فانه فعل ذلك مرارا يذنب ثم يتوب ويستغفر فقال كلما عاد المؤمن بالاستغفار والتوبة
عاد الله عليه بالمغفرة وان الله غفور رحيم يقبل التوبة ويعفو عن السيئات فاياك ان
تقنط المؤمنين من رحمة الله وقال الصادق ع ان الرجل ليذنب الذنب فيدخله الله به
الجنة قيل يدخله الله بالذنب الجنة قال نعم انه ليذنب فلا يزال منه خائفا
ماقتا لنفسه فيرحمه الله فيدخله الجنة فصل اعلم ان الذنوب تنقسم الى
ما بين العبد وبين الله والى ما يتعلق بحقوق العباد فالاول اما مغفور واما
مرجو المغفرة قال امير المؤمنين ع الذنوب ثلثة فذنب مغفور وذنب غير مغفور
وذنب مرجو لصاحبه ونخاف عليه قيل يا امير المؤمنين فبينها لنا قال نعم اما
الذنب المغفور فعبد عاقبه الله على ذنبه في الدنيا والله احلم واكرم من ان يعاقب
عبده مرتين واما الذنب الذي لا يغفره الله فظلم العباد بعضهم لبعض ان الله اذا
برز للخليقة اقسم قسما على نفسه فقال وعزتي وجلالي لا يجوزني ظلم ظالم ولو كف بكف
ولو مسحة بكف ولو نطحة ما بين القرناء الى الجماء فيقتص للعباد بعضهم من بعض حتى
لا يبقى لاحد على احد مظلمة ثم يبعثهم الله للحساب واما الذنب الثالث فذنب ستره الله
على خلقه ورزقه التوبة منه فاصبح خائفا من ذنبه راجيا لربه فنحن له كما هو لنفسه
نرجو له الرحمة ونخاف عليه العقاب ولعله ع اراد بالتوبة التوبة المشكوك
في شروطها لما عرفت ان التوبة الجامعة للشرائط مقبولة فاذا كانت مقبولة

فالذنب لا يحتم مغفوره وبقسمة ثانية تنقسم الذنوب الى صغاير وكبائر قال الله تعالى
ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وقال عز وجل والذين يجتنبون كبائر
الاثم والفواحش الا اللمم وقال النبي ص الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة تكفر ما بينهن
ان اجتنب الكبائر وقد كثرت الاقوال في تعيين الكبائر واختلفت الروايات فيها فعن
الصادق ع في قوله تعالى ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم قال الكبائر التي
اوجب الله عليه النار وعنه ع انه سئل عن الكبائر فقال هي في كتاب علي ع سبع الكفر بالله
وقتل النفس وعقوق الوالدين واكل الربا بعد البينة واكل مال اليتيم ظلما والفرار من
الزحف والتعرب بعد الهجرة قيل له فاكل درهم من مال اليتيم ظلما اكبر ام ترك الصلوة قال
ترك الصلوة قيل فما عددت ترك الصلوة في الكبائر فقال اي شيء اول ما قلت لك
قال الكفر قال فان تارك الصلوة كافر يعني من غير علة وعن الكاظم ع انه سئل عن الكبائر
كم هي وما هي فكتب الكبائر من اجتنب ما وعد الله عليه النار كفر عنه سيئاته اذا كان
مؤمنا والسبع الموجبات قتل النفس الحرام وعقوق الوالدين واكل الربوا والتعرب بعد
الهجرة وقذف المحصنة واكل مال اليتيم والفرار من الزحف وعن الجواد ع قال سمعت ابي
يقول سمعت ابي موسى بن جعفر يقول دخل عمرو بن عبيد على ابي عبد الله ع فلما سلم و
جلس تلا هذه الاية الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش ثم امسك فقال له ابو عبد الله
ما اسكتك قال احب ان اعرف الكبائر من كتاب الله فقال نعم يا عمرو اكبر الكبائر
الاشراك بالله يقول الله ومن يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة وبعده الاياس
من روح الله لان الله يقول انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون ثم الامن من مكر
الله لان الله يقول فلا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون ومنها عقوق الوالدين لان الله
جعل العاق جبارا شقيا وقتل النفس التي حرم الله الا بالحق لان الله يقول فجزاؤه
جهنم خالدا فيها الاية وقذف المحصنة لان الله يقول لعنوا في الدنيا والآخرة

ولهم عذاب عظيم واكل مال اليتيم لان الله يقول انما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون
سعيرا والفرار من الزحف لان الله يقول ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال او
متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله ومأويه جهنم وبئس المصير واكل
الربو لان الله يقول الذين يأكلون الربوا لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان
من المس والسحر لان الله يقول ولقد علموا لمن اشتراه ما له في الاخرة من خلاق والزنا
لان الله يقول ومن يفعل ذلك يلق اثاما يضاعف له العذاب يوم القيمة ويخلد فيه مهانا
واليمين الغموس الفاجرة لان الله يقول الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا
قليلا اولئك لا خلاق لهم في الاخرة والغلول لان الله يقول ومن يغلل يات بما غل يوم
القيمة ومنع الزكوة المفروضة لان الله يقول فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم
وشهادة الزور وكتمان الشهادة لان الله يقول ومن يكتمها فانه اثم قلبه وشرب الخمر
لان الله نهى عنها كما نهى عن عبادة الاوثان وترك الصلوة متعمدا او شيئا مما فرض الله لان
رسول الله ص قال من ترك الصلوة متعمدا فقد برئ من ذمة الله وذمة رسول الله ونقض
العهد وقطيعة الرحم لان الله يقول اولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار قال الخرج
عمرو ولم صرح من بكائه وهو يقول هلك من قال برايه ونازعكم في الفضل والعلم ان
قيل كيف ورد الشرع بما لم يبين حده قلنا كل ما لا يتعلق به حكم في الدنيا جاز ان يتطرق
اليه الابهام والكبيرة على الخصوص لا حكم لها في الدنيا من حيث انها كبيرة فان
موجبات الحدود معلومة باساميها وانما حكم الكبيرة ان اجتنابها يكفر الصغاير
وان الصلوات الخمس لا تكفرها وهذا امر يتعلق بالاخرة والابهام اليق به حتى يكون
الناس على وجل وحذر فلا يتجرؤن على الصغاير اعتمادا على الصلوات الخمس واجتناب
الكبائر ثم اجتناب الكبيرة انما يكفر الصغيرة اذا اجتنبها مع القدرة والارادة
كمن يتمكن من امرأة ومن مواقعتها فيكف نفسه عن الوقاع فيقتصر على نظر ولمس فان مجاهدة

نفسه

نفسه في الكف عن الوقاع اشد تاثيرا في تنوير قلبه من اقدامه على النظر في اظلامه فهذا
معنى تكفيره فان كان امتناعه لعجز او خوف او نحو ذلك فلا يصلح للتكفير وكل من لا يشتهي الخمر
بطبعه ولو ابيح له لما شربه فاجتنابه لا يكفر عنه الصغاير التي هي من مقدماته كسماع
الملاهي والاوتار **فصل** اعلم ان الصغيرة قد تكبر باسباب منها الاصرار والمواظبة
قال الصادق ع لا صغيرة مع الاصرار ولا كبيرة مع الاستغفار ومثال ذلك قطرات الماء تقع
على الحجر على توال فتؤثر فيه وذلك القدر من الماء لو صبت عليه دفعة لم يؤثر وقال الباقر ع في قوله
ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون قال الاصرار ان يذنب فلا يستغفر ولا يحدث نفسه
بتوبة فذلك الاصرار ومنها ان يستصغر الذنب فان العبد كلما استعظمه من نفسه صغر
عند الله وكلما استصغره كبر عند الله لان استعظامه يصدر عن نفور القلب عنه
وكراهيته له وذلك النفور يمنع من شدة تاثره به واستصغاره يصدر عن الالف به وذلك
يوجب شدة الاثر في القلب والقلب هو المطلوب تنويره بالطاعات والمحذور تسويده بالسيئات
ولذلك لا يؤاخذ بما يجري عليه في الغفلة قال الصادق ع قال رسول الله اتقوا المحقرات
من الذنوب فانها لا تغفر قيل وما المحقرات قال الرجل يذنب الذنب فيقول طوبى لي لو لم يكن
غير ذلك وقال ع ان الله يحب العبد ان يطلب اليه في الجرم العظيم ويبغض العبد ان يستخف بالجرم
اليسير وقال الكاظم ع لا تستكثروا كثير الخير ولا تستقلوا قليل الذنوب فان قليل الذنوب
يجتمع حتى يكون كثيرا وخافوا الله في السر حتى تعطوا من انفسكم النصف ومنها السرور
بالصغيرة والتبجح بها واعتداد التمكن من ذلك نعمة والغفلة عن كونه سبب الشقاوة فكلما
غلبت حلاوة الصغيرة عند العبد كبرت الصغيرة وعظم اثرها في تسويد قلبه فان الذنوب
مهلكات واذا دفع العبد اليها وظفر الشيطان به في الحمل عليها فينبغي ان يكون في مصيبة و
تأسف بسبب غلبة العدو عليه وبسبب بعده من الله ومنها ان يتهاون بستر الله عليه
وحلمه عنه وامهاله اياه ولا يدري انه انما يمهل مقتا ليزداد بالامهال اثما فيظن ان

على الجرم

اي يتجنب بالمبادرة والتعجيل للاستغفار والتوبة

واعتداده

تمكنه من المعاصي عناية من الله به فيكون ذلك لا منه من مكر الله وحيطه بمكاس الغرور
بالله كما قال تع ويقولون في انفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول حسبهم جهنم يصلونها وبئس
المصير ومنها ان ياتي بالذنب ويظهره بان يذكره بعد اتيانه او ياتي به في مشهد غيره فان
ذلك جناية منه على ستر الله الذي اسدله عليه وتحريك لرغبة الشر فيمن اسمعه ذنبه او اشهده
فعله فهما جنايتان انضمتا الى جنايته فتغلظت به فان انضاف الى ذلك الترغيب للغير
فيه والحمل عليه وتهيئة الاسباب له صارت جناية رابعة وتفاحش الامر وهذا
لان من صفات الله سبحانه ونعمه انه يظهر الجميل ويستر القبيح ولا يهتك الستر فالاظهار
كفران لهذه النعمة قال الرضا ع قال رسول الله ص المستتر بالحسنة يعدل سبعين حسنة
والمذيع بالسيئة مخذول والمستتر بها مغفور له وقال الصادق ع من جاءنا يلتمس
الفقه والقران وتفسيره فدعوه ومن جاءنا يبدي عورة قد سترها الله عليه فنحوه
ومنها ان يكون المذنب عالما يقتدى به فاذا فعله بحيث يرى ذلك منه كبر ذنبه كلبس
العالم الابريسم والذهب واخذه مال الشبهة واطلاقه اللسان في الاعراض ونحو
ذلك فهذه ذنوب يتبع العالم عليها فيموت ويبقى شره مستطيرا في العالم فطوبى
لمن اذا مات ماتت معه ذنوبه فعلى العالم وظيفتان احدهما ترك الذنوب والاخرى
اخفاؤه وكما يتضاعف اوزاره فكذلك يتضاعف ثوابه على الحسنات اذا اتبع

فصل

في الحديث النبوي ما من يوم طلع فجرها ولا ليلة غاب شفقها الا وملكان يتجاوبان
باربعة اصوات يقول احدهما يا ليت هذا الخلق لم يخلقوا ويقول الاخر يا ليتهم اذ
خلقوا علموا لماذا خلقوا فيقول الاخر ويا ليتهم اذ لم يعلموا لماذا خلقوا عملوا
بما علموا فيقول الاخر ويا ليتهم اذ لم يعملوا بما علموا تابوا مما عملوا وقال امير المؤمنين ع
لا تبدين من واضحة وقد عملت الاعمال الفاضحة ولا تأمن البيات وقد عملت
السيئات وقال الباقر ع ان الله قضى قضاء حتما ان لا ينعم على العبد بنعمة فيسلبها

يتبع في

علته

اياه

اياه حتى يحدث العبد ذنبا يستحق بذلك النقمة وقال ع ما من شيء افسد للقلب من
خطيئة ان القلب ليواقع الخطيئة فما تزال به حتى تغلب عليه فيصير اعلاه اسفله
وقال ان العبد ليذنب الذنب فيزوى عنه الرزق وقال الصادق ع اما انه ليس من عرق
يضرب ولا نكبة ولا صداع ولا مرض الا بذنب وذلك قول الله عز وجل في كتابه ما اصابكم
من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير قال وما يعفو الله اكثر مما يواخذ به وقال
ان الرجل يذنب الذنب فيحرم صلوة الليل وان العمل السيئ اسرع في صاحبه من السكين
في اللحم وقال ع يقول الله تعالى ان ادنى ما اصنع بالعبد اذا اثر شهوته على طاعتي ان احرمه
لذيذ مناجاتي وقال ع من هم بسيئة فلا يعملها فانه ربما يعمل العبد السيئة
فيراه الرب تع فيقول وعزتي وجلالي لا اغفر لك بعد ذلك ابدا وقال الكاظم ع حق على الله
تع ان لا يعصى في دار الا اضحاها للشمس حتى تطهرها وقال رسول الله ص ان العبد
ليحبس على ذنب من ذنوبه مائة عام وانه لينظر الى ازواجه في الجنة يتنعمن وعن
امير المؤمنين ع انه قال لقائل بحضرته استغفر الله ثكلتك امك اتدري ما الاستغفار
ان الاستغفار درجة العليين وهو اسم واقع على ستة معان اولها الندم على ما
مضى والثاني العزم على ترك العود عليه ابدا والثالث ان تؤدي الى المخلوقين حقوقهم
حتى تلقى الله املس ليس عليك تبعة والرابع ان تعمد الى كل فريضة عليك ضيعتها تؤدي
حقها والخامس ان تعمد الى اللحم الذي نبت على السحت فتذيبه بالاحزان حتى يلصق الجلد
بالعظم وينشأ بينهما لحم جديد والسادس ان تذيق الجسم الم الطاعة كما اذقته حلاوة المعصية
فعند ذلك تقول استغفر الله وقال ع ترك الخطيئة ايسر من طلب التوبة وكم من شهوة
ساعة اورثت حزنا طويلا والموت فضح الدنيا ولم يترك لذي لب فرحا

فصل

في مصباح الشريعة قال الصادق ع التوبة حبل الله ومدد عنايته ولا بد للعبد
من مداومة التوبة على كل حال وكل فرقة من العباد لهم توبة فتوبة الانبياء من

هل لم

اضطراب السر وتوبة الاولياء من تلوين الخطرات وتوبة الاصفياء من التنفيس وتوبة
الخاص من الاشتغال بغير الله وتوبة العام من الذنوب ولكل واحد منهم معرفة وعلم
في اصل توبته ومنتهى امره وذلك يطول شرحه ههنا فاما توبة العام فان يغسل باطنه
من الذنوب بماء الحسرة والاعتراف بجنايته دايما واعتقاد الندم على ما مضى والخوف على
ما بقي من عمره ولا يستصغر ذنوبه فيحمله ذلك الى الكسل ويديم البكاء والاسف على
ما فاته من طاعة الله ويحبس نفسه عن الشهوات ويستغيث الى الله ليحفظه على
وفاء توبته ويعصمه من العود الى ما سلف ويروض نفسه في ميدان الجهاد والعبادة
ويقضي الفوايت من الفرايض ويرد المظالم ويعتزل قرناء السوء ويسهر ليله ويظمأ
نهاره ويتفكر دايما في عاقبته ويستعين بالله سائلا منه الاستقامة في سرائه و
ضرائه ويثبت عند المحن والبلاء كيلا يسقط عن درجة التوابين فان في ذلك طهارة
من ذنوبه وزيادة في عمله ورفعة في درجاته قال الله عز وجل فليعلمن الله الذين صدقوا
وليعلمن الكاذبين **الباب الثالث** في المحاسبة والمراقبة قال الله تعالى ونضع الموازين
القسط ليوم القيمة فلا تظلم نفس شيئا وان كان مثقال حبة من خردل اتينا بها وكفى
بنا حاسبين وقال عز وجل ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون
يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصيها ووجدوا ما عملوا حاضرا
ولا يظلم ربك احدا وقال يوم يبعثهم الله جميعا فينبئهم بما عملوا احصاه الله ونسوه
والله على كل شيء قدير وقال يومئذ يصدر الناس اشتاتا ليروا اعمالهم فمن يعمل
مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وقال يوم تجد كل نفس ما عملت
من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا وقال واعلموا
ان الله يعلم ما في انفسكم فاحذروه فعرف ارباب البصائر من جملة العباد ان الله عز
وجل لهم بالمرصاد وانهم سيناقشون في الحساب ويطالبون بمثاقيل الذر من الخطرات

والتحفظ

والتحفظات وتحققوا انهم لا ينجيهم من هذه الاخطار الا لزوم المحاسبة وصدق المراقبة
ومطالبة النفس في الانفاس والحركات ومحاسبتها في الخطرات واللحظات فمن حاسب نفسه
قبل ان يحاسب خفف في القيمة حسابه وحضر عند السؤال جوابه وحسن منقلبه ومآبه
ومن لم يحاسب نفسه دامت حسراته وطالت في عرصات القيمة وقفاته وقادته
الى الخزي سيئاته وقال الصادق ع اذا اراد احدكم ان لا يسئل ربه شيئا الا اعطاه فلييأس
من الناس كلهم ولا يكون له رجاء الا من عند الله فاذا علم الله ذلك من قلبه لم يسأله
شيئا الا اعطاه فحاسبوا انفسكم قبل ان تحاسبوا عليها فان للقيمة خمسين موقفا كل
موقف مقام الف سنة ثم تلا في يوم كان مقداره خمسين الف سنة فتقريع المحاسبة
على الامر باليأس من الناس والرجاء من الله يدل على ان الانسان انما يحتاج الناس من
دون الله في عامة امره وهو غافل عن ذلك وان عامة المحاسبات انما ترجع الى ذلك
وذكر الوقوف في مواقف القيامة بعد الامر بمحاسبة النفس يدل على ان الوقفات
هناك انما يكون للمحاسبات فمن حاسب نفسه في الدنيا يوما فيوما لم يحتج الى تلك الوقفات
في ذلك اليوم قال الله تعالى ولتنظر نفس ما قدمت لغد وورد في الخبر ينبغي ان يكون
للعاقل اربع ساعات ساعة يحاسب فيها نفسه وفي مصباح الشريعة قال الصادق ع
لو لم يكن للحساب مهولة الا حياء العرض على الله عز وجل وفضيحة هتك الستر على
المخفيات يحق للانسان ان لا يهبط من رؤس الجبال ولا ياوي الى عمران ولا يشرب ولا ينام
الا عن اضطرار متصل بالتلف ومثل ذلك يفعل من يرى القيامة باهوالها وشدايدها قائمة
في كل نفس ويعاين بالقلب الوقوف بين يدي الجبار حينئذ ياخذ نفسه بالمحاسبة كانه الى عرصاتها
مدعو وفي غمراتها مسئول قال الله عز وجل وان كان مثقال حبة من خردل اتينا
بها وكفى بنا حاسبين **فصل** معنى المحاسبة ان يطالب نفسه اولا بالفرايض
التي هي بمنزلة راس ماله فان اداها على وجهها شكر الله عز وجل عليه ورغبها

في مثلها وان فوتتها من اصلها طالبها بالقضا فان ادتها ناقصة كلفها الجبران با
لنوافل وان ارتكبت معصية اشتغل بعتابها وتعذيبها ومعاقبتها واستوفى
منها ما يتدارك به فرط كما يصنع التاجر بشريكه وكما انه يفتش في حساب الدنيا
عن الحبة والقيراط فيحفظ مداخل الزيادة والنقصان حتى لا يغبن في شي منها
فينبغي ان يتقي غائلة النفس ومكرها فانها خداعة ملبسة مكارة فليطالبها
اولا بتصحيح الجواب عن جميع ما تكلم به طول نهاره وليتكفل بنفسه من الحساب بما
سيتولاه غيره في صعيد القيامة وهكذا عن نظره بل عن خواطره وافكاره وقيامه
وقعوده واكله وشربه ونومه حتى عن سكوته لم سكت وعن سكونه لم سكن فاذا
عرف مجموع الواجب على النفس وصح عنده قدر ما ادى الحق منه كان ذلك محسوبا له فيظهر
له الباقي عليها فليثبته عليها وليكتب على صحيفة قلبه كما يكتب الباقي الذي على
شريكه على قلبه وعلى جريدته ثم النفس غريم يمكن ان يستوفى منه الديون اما بعضها
فبالغرامة والضمان وبعضها برد عينه وبعضها بالعقوبة له على ذلك ولا يمكن
شيء من ذلك الا بعد تحقيق الحساب وتمييز الباقي من الحق الباقي
الواجب عليه فاذا حصل ذلك اشتغل بعده بالمطالبة والاستيفاء وقال
الكاظم ع ليس منا من لم يحاسب نفسه في كل يوم فان عمل خيرا استزاد الله و
ان عمل سيئة استغفر الله منها وتاب اليه وقال الباقر ع لا يغرنك الناس من
نفسك فان الامر يصل اليك دونهم ولا تقطع نهارك بكذا وكذا فان
معك من يحفظ عليك عملك فاحسن فاني لم ار شيئا احسن دركا ولا
اسرع طلبا من حسنة محدثة لذنب قديم وقال الصادق ع ان رجلا اتى
النبي ص فقال يا رسول الله اوصني فقال له رسول الله فهل انت مستوص
ان انا اوصيتك حتى قال له ذلك ثلثا وفي كلها يقول له الرجل نعم يا رسول الله

فقال

فقال له رسول الله ص فاني اوصيك اذا انت هممت بامر فتدبر عاقبته فان يك رشدا
فامضه وان يك غيا فانته عنه وهذه الوصية من محاسبة النفس بل هي اسها
فصل فينبغي للعبد ان يراقب نفسه عند الخوض في الاعمال ويلاحظها
بالعين الكالية فانها ان تركت طغت وفسدت ثم يراقب الله في كل حركة وسكون
وذلك بان يعلم بان الله مطلع على الضماير عالم بالسراير رقيب على اعمال العباد
قائم على كل نفس بما كسبت وان سر القلب في حقه مكشوف كما ان ظاهر البشرة للخلق
مكشوف بل اشد من ذلك قال الله تع الم يعلم بان الله يرى وقال ان الله كان عليكم
رقيبا وقال النبي ص الاحسان ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه
يراك وحكي ان زليخا لما خلت بيوسف فقامت فغطت وجه صنمها فقال يوسف
ما لك اتستحيين من مراقبة جماد ولا استحيي من مراقبة الملك الجبار وفي الحديث
القدسي انما يسكن جنات عدن الذين اذا هموا بالمعاصي ذكروا عظمتي فراقبوني
والذين انحنت اصلابهم من خشيتي وعزتي وجلالي اني لاهم بعذاب اهل
الارض فاذا نظرت الى اهل الجوع والعطش من مخافتي صرفت عنهم العذاب
فهذه المعرفة اذا صارت يقينا يعني انها اذا خلت عن الشك ثم استولت بعد ذلك
على القلب استجرت القلب بقهرها الى رعاية جانب الرقيب وصرفت الهمة اليه و
الموقنون بهذه المعرفة مراقبتهم على درجتين احديهما مراقبة المقربين وهي مراقبة
التعظيم والاجلال وهي ان يصير القلب مستغرقا بملاحظة ذلك الجلال ومنكسرا
تحت الهيبة فلا يبقى فيه متسع للالتفات الى الغير وهذا هو الذي صار همه
هما وكفاه الله ساير الهموم والثانية مراقبة الورعين من اصحاب اليمين
وهم قوم غلب يقين اطلاع الله على ظواهرهم وبواطنهم ولكن لم يدهشهم
ملاحظة الجمال والجلال بل بقيت قلوبهم على حد الاعتدال متسعة للتلفت

متسع
ايقين

الى الاحوال والاعمال والمراقبة فيها وغلب عليهم الحياء من الله فلا يقدمون
ولا الا بعد التثبت ويمتنعون عن كل ما يفتضحون به في القيمة فانهم
يرون الله مطلعا عليهم فلا يحتاجون الى انتظار القيامة فان العبد لا يخ اما
ان يكون في طاعة او معصية او مباح فمراقبته في الطاعة بالاخلاص والاكمال
ومراعاة الادب وحراستها عن الآفات ومراقبته في المعصية بالتوبة والندم و
الاقلاع والحياء والاشتغال بالتفكير ومراقبته في المباح بمراعاة الادب بانه يستقبل
القبلة وينام على اليد اليمنى مستقبلا الى غير ذلك فكل ذلك داخل في المراقبة ويشهد
المنعم في النعمة وبالشكر عليها وبالصبر على البلاء فانه لكل ذلك حدود لا بد
من مراعاتها بدوام المراقبة ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه

الباب الثالث

في التفكر والتدبر قال الله تعالى ويتفكرون
في خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا وقال افلا يتدبرون
القرآن ام على قلوب اقفالها وقال النبي ص تفكر ساعة خير من عبادة سنة وقال
امير المؤمنين ع التفكر يدعو الى البر والعمل به وقال ع نبه بالتفكر قلبك
وجاف عن الليل جنبك واتق الله ربك وقال الصادق ع افضل العبادة ادمان
التفكر في الله وفي قدرته ليس المراد بالتفكر في الله التفكر في ذات الله سبحانه
فانه ممنوع منه لانه يورث الحيرة والدهشة واضطراب العقل بل المراد منه النظر
الى افعاله وعجايب صنعه وبدايع امره في خلقه فانها تدل على جلاله وكبريائه و
تقدسه وتعاليه وتدل على كمال علمه وحكمته وعلى نفاذ مشيته وقدرته واحاطته
بالاشياء ومعيته لها وهذا تفكر اولي الالباب قال الله عز وجل ان في خلق السموات
والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لاولي الالباب الذين يذكرون الله قياما
وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا

سبحانك

سبحانك فقنا عذاب النار وقال عز وجل ومن آياته في مواضع كثيرة فتلك الآيات
هي مجاري التفكر في الله وفي قدرته لاولي العلم لا في ذاته سبحانه ففي الحديث المشهور
عن النبي ص انه قال تفكروا في آلاء الله ولا تفكروا في الله فانكم لن تقدروا قدره
وقال الباقر ع اياكم والتفكر في الله ولكن اذا اردتم ان تنظروا الى عظمته فانظروا الى
عظم خلقه وقال الصادق ع من نظر في الله كيف هو هلك واما التفكر الذي يدعوا
الى البر والعمل فهو اعم من هذا فانه يشمل التفكر في الحسنات والسيئات فان العبد
اذا تفكر في حسناته هل هي تامة او ناقصة موافقة للسنة او مخالفة لها خالصة
من الشرك والشك او مشوبة بهما يدعوه لا محالة هذا التفكر الى اصلاحها وتدارك
ما فيها من الخلل وكذا اذا تفكر في سيئاته وما يترتب عليها من العقوبات والبعد
عن الله يدعوه ذلك الى الانتهاء عنها وتدارك ما اتى بها بالتوبة والندم واذا
تفكر في صفات الله وافعاله من لطفه بعباده واحسانه اليهم بسوابغ النعماء وتظاهر
الآلاء والتكليف دون الطاقة والوعد بعمل قليل بثواب جزيل وتسخير
لهم ما في السموات والارض وما بينهما الى غير ذلك يدعوه ذلك لا محالة الى البر
والعمل به والرغبة في الطاعات والانتهاء عن المعاصي وهذا تفكر المتوسطين
واليه الاشارة بقول الرضا ع ليس العبادة كثرة الصلوة والصوم انما
العبادة التفكر في امر الله وسئل الصادق ع عما يروي الناس ان تفكر ساعة
خير من قيام ليلة كيف يتفكر قال يمر بالخربة او بالدار فيقول اين ساكنوك
واين بانوك ما لك لا تتكلمين وهذا التفكر المفسر به الحديث النبوي دون
الاولين في الفضل ولعل الحديث النبوي اعم منه وانما فسره الصادق ع على
قدر رتبة المخاطب فان تفكر كل احد انما يكون بحسب همه ورتبته وقد اوردنا
مجاري التفكر في كتابنا الموسوم بعلم اليقين من اراده رجع اليها فصل

بتفاصيلها

فی مصباح الشریعة قال الصادق ع اعتبروا بما مضی من الدنیا هل
یبقی علی احد وفیها باق من الشریف والوضیع والغنی والفقیر والولی
والعدو فکذلک ما لم یأت منها بما مضی اشبه من الماء بالماء قال رسول الله ص
کفی بالموت واعظا وبالعقل دلیلا وبالتقوی زادا وبالعبادة شغلا و
بالله مونسا وبالقران بیانا قال ع لم یبق من الدنیا الا بلاء وفتنة وما نجا
من نجا الا بصدق الالتجاء وقال نوح ع وجدت الدنیا کبیت له بابان
دخلت من احدهما وخرجت من الاخر هذا حال صفی الله فکیف حال من
اطمان فیها ورکن الیها واضاع عمره فی عمارتها ومزق دینه فی طلبها والفکرة
مراة الحسنات وکفارة السیئات وضیاء للقلوب وفسحة للخلق واصابة
فی صلاح المعاد واطلاع علی العواقب واستزادة فی العلم وهی خصلة
لا یعبد الله بمثلها قال رسول الله ص فکرة ساعة خیر من عبادة سنة ولا
ینال منزلة التفکر الا من قد خصه الله بنور التوحید والمعرفة فصل
قال الصادق ع یا ابن ادم لو اکل قلبک طائر لم یشبعه وبصرک لو وضع علیه
خرق ابرة لغطاه ترید ان تعرف بهما ملکوت السموات والارض ان کنت
صادقا فهذه الشمس خلق من خلق الله فان قدرت ان تملا عینیک منها
فهو کما تقول اراد ع بالقلب اللحم الصنوبری المعروف ولهذا جعله مکولا
وظاهر انه لا یصح ان یعرف به ملکوت السموات والارض کما لا یصح ان یعرف
بالبصر لانهما من عالم الملک فکیف یعرف بهما الملکوت فالخطاب خاص
بمن لا یتجاوز درجة الحس والمحسوس من افراد بنی ادم المشار الیهم بقوله
سبحانه لهم قلوب لا یفقهون بها فاما من جاوزها منهم وبلغ الی درجة
العقل والمعقول وهم اصحاب القلوب الملکوتیة المشار الیهم بقوله عز وجل

ان

ان فی ذلک لذکری لمن کان له قلب فلهم ان یعرفوا بقلوبهم
ملکوت السموات والارض لان قلوبهم من الملکوت ولهذا حث الله
علی النظر فی الملکوت فی غیر موضع من کتابه قال سبحانه اولم ینظروا فی
ملکوت السموات والارض وما خلق الله من شیء وان عسی ان یکون
قد اقترب اجلهم فبای حدیث بعده یؤمنون وقال عز وجل وکذلک نری ابراهیم
ملکوت السموات والارض ولیکون من الموقنین الی غیر ذلک من الایات
بلی ان ذاته تعالی لا یجوز ان یکتنه بالقلب کما لا یجوز ان یدرک بالبصر
بل انما یجوز ان یطلع بالقلب علی شیء من عظمته فحسب الباب
الرابع فی ذکر الموت وقصر الامل قال الله تعالی کل نفس ذائقة الموت
وانما توفون اجورکم یوم القیمة فمن زحزح عن النار وادخل الجنة
فقد فاز وما الحیوة الدنیا الا متاع الغرور وقال النبی ص اکثروا ذکر
هادم اللذات قیل وما هو یا رسول الله قال الموت فما ذکره عبد علی
الحقیقة فی سعة الا ضاقت علیه الدنیا ولا فی شدة الا اتسعت علیه
وقال الموت کفارة لکل مسلم وقال تحفة المؤمن الموت وقال ع الموت الموت
الا ولا بد من الموت جاء الموت بما فیه جاء بالروح والراحة والکرة المبارکة الی جنة
عالیة لاهل دار الخلود الذین کان لها سعیهم وفیها رغبتهم وقال اذا استحقت
ولایة الشیطان والشقاوة جاء الامل بین العینین وذهب الاجل وراء الظهر و
سئل ای المؤمنین اکیس فقال اکثرهم ذکرا للموت واشدهم له استعدادا و
قال امیر المؤمنین ع ما انزل الموت حق منزلته من عد غدا من اجله وقال
ما اطال عبد الامل الا اساء العمل وکان یقول لو رای العبد اجله وسرعته الیه
لابغض العمل من طلب الدنیا وقیل للباقر ع حدثنی ما انتفع به فقال اکثر

ذكر الموت فانه لم يكثر ذكره انسان الا زهد في الدنيا وقال الصادق ع اذا
انت حملت جنازة فكن كانك المحمول وكانك سئلت ربك الرجوع الى الدنيا
ففعل فانظر ماذا تستأنف ثم قال عجبا لقوم حبس اولهم عن اخرهم ثم نودي
فيهم بالرحيل وهم يلعبون وقال ما خلق الله يقينا لا شك فيه اشبه بشك لا
يقين فيه من الموت وفي مصباح الشريعة قال الصادق ع ذكر الموت يميت الشهوات
في النفس ويقلع منابت الغفلة ويقوي القلب بمواعد الله ويرق الطبع ويكسر
اعلام الهوى ويطفي نار الحرص ويحقر الدنيا وهو معنى ما قال النبي ص فكر
ساعة خير من عبادة سنة وذلك عند ما يحل اطناب خيام الدنيا و
يشدها في الاخرة ولا تسكن نزول الرحمة على ذاكر الموت بهذه الصفة ومن لا
يعتبر بالموت وقلة حيلته وكثرة عجزه وطول مقامه في القبر وتحيره في القيمة
فلا خير فيه قال النبي ص اكثروا ذكر هادم اللذات ثم ذكر تمام الحديث كما مر والموت
اول منزل من منازل الاخرة واخر منزل من منازل الدنيا فطوبى لمن اكرم عند
النزول باولها وطوبى لمن احسن مشايعته في اخرها والموت اقرب الاشياء
من بني آدم وهو يعده ابعد فما اجرى الانسان على نفسه وما اضعفه من خلق
وفي الموت نجاة المخلصين وهلاك المجرمين ولذلك اشتاق من اشتاق وكره من
كره قال النبي ص من احب لقاء الله احب الله لقائه ومن كره لقاء الله كره الله لقائه

فصل اعلم ان الناس اما منهمك في الدنيا مكب على غرورها محب لشهواتها
واما تائب مبتدئ او عارف منته اما المنهمك فلا يذكر الموت وان ذكره فيذكره
ليتاسف على دنياه ويشتغل بمذمته وبغضته اولئك الذين قال الله تعالى فيهم قل ان
الموت الذي تفرون منه فانه ملاقيكم ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم
بما كنتم تعملون وهذا يزيده ذكر الموت من الله بعدا الا ان يتنبه بذكر الموت التجافي

عن الدنيا

عن الدنيا وينقص عليه نعيمه ويتكدر عليه صفو لذته واما التائب فانه
يكثر ذكر الموت لينبعث به من قلبه الخوف والخشية فيفي بتمام التوبة وربما يكره الموت
خيفة من ان يختطفه قبل تمام التوبة وقبل اصلاح الزاد وهو معذور في كراهة الموت
ولا يدخل هذا تحت قوله ص من كره لقاء الله كره الله لقاءه لان هذا ليس يكره الموت
ولقاء الله وانما يخاف فوت لقاء الله لقصوره وتقصيره وهو كالذي يتاخر عن
لقاء الحبيب مشتغلا بالاستعداد للقائه على وجه يرضاه فلا يعد كارها للقاء و
علامة هذا ان يكون دائم الاستعداد لا شغل له سواه والا التحق بالمنهمك في الدنيا
واما العارف فانه يذكر الموت دائما لانه موعد لقاء حبيبه والمحب لا ينسى قط موعد لقاء
الحبيب وهذا في غالب الامر يستبطئ مجي الموت ويحب مجيئه ليتخلص من دار العاصين وينتقل
الى جوار رب العالمين واعلى رتبة منهما من فوض امره الى الله فصار لا يختار لنفسه
موتا ولا حيوة بل يكون احب الاشياء اليه احبها الى مولاه فهذا قد انتهى بفرط الحب والولاء
الى درجة التسليم والرضاء **فصل** اعلم ان الموت هائل وخطره عظيم وغفلة الناس
عنه لقلة فكرهم فيه وذكرهم له ومن يذكره ليس يذكره بقلب فارغ بل بقلب مشغول بشهوات
الدنيا فلا ينجع ذكر الموت في قلبه فالطريق فيه ان يفرغ العبد قلبه عن كل شيء الا عن
ذكر الموت الذي بين يديه كالذي يريد ان يسافر الى مفازة مخطرة او يركب البحر فانه
لا يتفكر الا فيه فاذا باشر ذكر الموت قلبه فيوشك ان يؤثر فيه وعند ذلك يقل فرحه وسروره
بالدنيا وينكسر قلبه واوقع طريق فيه ان يكثر ذكر اقرانه الذين مضوا قبله فيذكر موتهم
ومصرعهم تحت التراب ويتذكر صورهم في مناصبهم واحوالهم وكيف تبددت اجزاؤهم
في قبورهم وكيف ارملوا نسائهم وايتموا اولادهم وضيعوا اموالهم وخلت منهم مساجدهم
ومجالسهم وانقطعت اثارهم واوحشت ديارهم فمهما تذكر رجلا رجلا وفصل
في قلبه حاله وكيفية موته وتوهم صورته وتذكر نشاطه وتردده وامله في العيش والبقاء

مذكرة

وذنباله الموت والخداعه بمواساة الاسباب وركونه الى القوة والشباب وميله الى الضحك
واللهو وغفلته عما بين يديه من الموت الذريع والهلاك السريع وانه كيف كان
يتردد والآن قد تهدمت رجلاه ومفاصله وكيف كان ينطق ويدبر لنفسه ما
لا وقد اكل الدود لسانه وكيف كان يضحك وقد اكل التراب اسنانه وانه كيف كان
يدبر لنفسه ما لا يحتاج اليه الى عشر سنين في وقت لم يكن بينه وبين الموت الا
شهر وهو غافل عما يراد به حتى جاءه الموت في وقت لا يحتسبه فانكشف له
صورة ملك الموت وقرع سمعه النداء اما بالجنة او بالنار فعند ذلك ينظر
في نفسه انه مثلهم وغفلته كغفلتهم والسعيد من وعظ بغيره فملازمة
هذه الافكار وامثالها مع دخول المقابر ومشاهدة المرضى هو الذي يجدد ذكر
الموت في القلب حتى يغلب عليه بحيث يصير الموت نصب عينيه فعند
ذلك يوشك ان يستعد له ويتجافى عن دار الغرور والا فالذكر بظاهر القلب وعذبة
اللسان قليل الجدوى في التحذير والتنبيه ومهما طاب قلبه بشيء من
الدنيا فينبغي ان يتذكر في الحال انه لا بد من مفارقته **فصل** واما قصر
الامل فقد قال النبي صلعم اذا اصبحت فلا تحدث نفسك بالمساء واذا امسيت
فلا تحدث نفسك بالصباح وخذ من دنياك لآخرتك ومن حياتك
لموتك ومن صحتك لسقمك فانك لا تدري ما اسمك غدا وقال ان اشد ما
اخاف عليكم خصلتان اتباع الهوى وطول الامل فاما اتباع الهوى فانه
يصد لك عن الحق واما طول الامل فانه يحبب اليك الدنيا ثم قال ان الله
يعطي الدنيا لمن يحب ويبغض واذا احب الله عبدا اعطاه الايمان الا ان للدين
ابناء وللدنيا ابناء فكونوا من ابناء الدين ولا تكونوا من ابناء الدنيا الا
ان الدنيا قد ارتحلت مولية الا ان الآخرة قد اتت مقبلة الا وانكم في يوم

عمل ليس فيه حساب الا وانكم يوشك ان تكونوا في يوم حساب ليس فيه
عمل وروي انه صلعم قد اطلع ذات عشية الى الناس فقال ايها الناس الا تستحيون
من الله عز وجل قالوا وما ذاك يا رسول الله فقال تجمعون ما لا تاكلون
وتاملون ما لا تدركون وتبنون ما لا تسكنون وروي ان اسامة بن
زيد اشترى من زيد بن ثابت وليدة بمائة دينار الى شهر فقال النبي صلعم
الا تعجبون من اسامة المشتري الى شهر ان اسامة لطويل الامل والذي
نفسي بيده ما طرفت عيناي الا ظننت ان شفري لا يلتقيان حتى
يقبض الله روحي ولا رفعت طرفي فظننت اني واضعه حتى اقبض
ولا لقمت لقمة الا ظننت اني لا اسيغها حتى اغص بها من الموت ثم
قال يا بني ادم ان كنتم تعقلون فعدوا انفسكم من الموتى والذي نفسي
بيده ان ما توعدون لآت وما انتم بمعجزين **فصل** اعلم ان طول الامل له
سببان احدهما الجهل والآخر حب الدنيا اما حب الدنيا فهو انه اذا
انس بها وبشهواتها ولذاتها وعلائقها ثقلت على قلبه مفارقتها فا
متنع قلبه عن الفكر في الموت الذي هو سبب مفارقتها وكل من كره
شيئا دفعه عن نفسه والانسان مشغوف بالاماني الباطلة فيمني نفسه
ابدا بما يوافق مراده وانما يوافقه البقاء فلا يزال يتوهمه ويقرر في نفسه توابع
البقاء وما يحتاج اليه من مال واهل ودار واصدقاء ودواب وسائر
اسباب الدنيا فيصير قلبه عاكفا على هذا الفكر موقوفا عليه فيلهو عن ذكر
الموت ولا يقدر قربه فان خطر له في بعض الاحوال امر الموت والحاجة الى
الاستعداد له سوف ووعد نفسه وقال الايام بين يديك فالى ان تكبر ثم
تتوب واذا كبر فيقول الى ان تصير شيخا واذا صار شيخا قال الى ان تفرغ من

بناء هذه الدار وعمارة هذه الضيعة او ترجع من هذا السفر وتفرغ من تدبير هذا
الولد وجهازه وتدبير مسكن له او تفرغ من قهر هذا العدو الذى يشمت بك
ولا يزال يسوف ويؤخر ولا يخوض فى شغل الا ويتعلق باتمام ذلك الشغل
عشر اشغال اخر وهكذا على التدريج يؤخر يوما بعد يوم ويفضى به شغل الى
شغل بل الى اشغال الى ان يختطفه المنية فى وقت لا يحتسبها فيطول عند
ذلك حسرته واكثر اهل النار صياحهم من سوف يقولون والحزناه من سوف و
التسويف المسكين لا يدرى ان الذى يدعوه الى التسويف اليوم هو معه غدا وانما
يزداد بطول المدة قوة ورسوخا ويظن انه يتصور ان يكون للخايض فى الدنيا والحافظ
لها فراغ قط وهيهات ما فرغ منها الا من اطرحها فما قضى احد منها لبانته وما
وما انتهى ارب الا الى ارب واصل هذه الاماني كلها حب الدنيا والانس
بها والغفلة عن قوله احبب ما احببت فانك مفارقه واما الجهل فهو ان الانسان
قد يعول على شبابه فيستبعد قرب الموت مع الشباب وليس يتفكر الانسان المسكين
فى ان مشايخ بلده لو عدوا لكانوا اقل من عشر اهل البلد وانما قلوا لان الموت فى الشباب
اكثر والى ان يموت شيخ يموت الف صبى وشاب وقد يستبعد الموت فجاءة ولا يدرى
ان ذلك غير بعيد وان كان ذلك بعيدا والمرض فجاءة غير بعيد وكل مرض فانما يقع
فجاءة واذا مرض لم يكن الموت بعيدا ولو تفكر هذا الغافل وعلم ان الموت ليس له
وقت مخصوص من شباب وشيب وكهولة ومن صيف وشتاء وخريف وليل ونهار
لعظم اشتغاله بالاستعداد له واستشعاره ولكن الجهل بهذه الامور وحب الدنيا
دعواه الى طول الامل والى الغفلة عن تقدير الموت القريب فهو ابدا يظن
ان الموت يكون بين يديه ولا يقدر نزوله به ووقوعه فيه ويشيع الجنائز
ولا يقدر ان يشيع جنازته لان هذا قد تكرر عليه والفه وهو مشاهد

لصحة ويستبعد الموت

موت غيره فاما موت نفسه فلم يالفه ولا يتصور ان يالفه فانه لم يقع فاذا وقع
لا يقع دفعة اخرى بعده فهو الاول وهو الاخر واذا عرفت ان سبب طول الامل
الجهل وحب الدنيا فعلاجه دفع سببه اما الجهل فيدفع بالفكر الصافى من
القلب الحاضر وبسماع الحكمة البالغة من القلوب الطاهرة واما حب الدنيا
فالعلاج فى اخراجه من القلب شديد وهو الداء العضال الذى اعيى الاولين
والاخرين علاجه ولا علاج الا الايمان باليوم الاخر وما فيه من عظيم العقاب
وجزيل الثواب ومهما حصل اليقين بذلك ارتحل عن قلبه حب الدنيا فان حب
الخطير هو الذى يمحو من القلب حب الحقير فاذا راى حقارة الدنيا ونفاسة
الاخرة استنكف ان يلتفت الى الدنيا كلها فكيف وليس لكل عبد من الدنيا
الا قدر يسير مكدر منغص فكيف يفرح بها او يترسخ فى القلب حبها مع
الايمان بالاخرة فنسال الله تعالى ان يرينا الدنيا كما اراها الصالحين من
عباده **الباب الخامس** فى الاخاء والالفة قال الله تعالى فى معرض الامتنان
لو انفقت ما فى الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم
وقال عز وجل فاصبحتم بنعمته اخوانا يعنى بالالفة ثم ذم التفرقة وزجر عنها فقال
واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا وقال ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا
وقال النبى ع اقربكم منى مجلسا يوم القيمة احسنكم اخلاقا الموطئون اكنافا
الذين يالفون ويؤلفون وقال المؤمن الف مالوف ولا خير فيمن لا يالف
ولا يؤلف وقال فى الثناء على الاخوة فى الدين من اراد الله به خيرا رزقه
خليلا صالحا ان نسى ذكره وان ذكر اعانه وقال ع اخى اخلف الله رفع الله
درجته فى الجنة لا ينالها بشئ من عمله وقال ان الله تعالى يقول حقت محبتى
للذين يتزاورون من اجلى وحقت محبتى للذين يتناصرون من اجلى وحقت

محبتی للذین یتباذلون من اجلی وقال لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا
تدابروا وکونوا عباد الله اخوانا ولا یحل للمسلم ان یهجر اخاه فوق ثلث وقال
المؤمنون هینون لینون کالجمل الانف ان قید انقاد وان انیخ علی صخرة
استناخ وقال امیر المؤمنین ع اعجز الناس من عجز عن اکتساب الاخوان واعجز
منه من ضیع من ظفر به وقال النبی ص اوثق عری الایمان الحب فی الله و
البغض فی الله والتولی لاولیاء الله والتبری عن اعداء الله وقال السجاد ع
اذا جمع الله الاولین والاخرین قام مناد فنادی یسمع الناس فیقول این المتحابون
فی الله قال فیقوم عنق من الناس فیقال لهم اذهبوا الی الجنة بغیر حساب قال
فیقولون فای حزب انتم من الناس فیقولون نحن المتحابون فی الله قال
فیقولون وای شیء کانت اعمالکم قالوا کنا نحب فی الله ونبغض فی الله قال
فیقولون نعم اجر العاملین وقال الباقر ع اذا اردت ان تعلم ان فیک خیرا فانظر
الی قلبک فان کان یحب اهل طاعة الله ویبغض اهل معصیته ففیک
خیر والله یحبک واذا کان یبغض اهل طاعة الله ویحب اهل معصیته
فلیس فیک خیر والله یبغضک والمرء مع من احب وقال الصادق ع ما التقی
مؤمنان قط الا کان افضلهما اشدهما حبا لاخیه وقال لکل من لم یحب فی الله
ولم یبغض فی الله لا دین له **فصل** اعلم ان الحب فی الله والبغض فی الله
غامض وانما ینکشف الغطاء عنه بان یعلم ان الصحبة تنقسم الی ما یقع بالا
تفاق کالصحبة بسبب الجوار وبسبب الاجتماع فی مدرسة او سوق او
سفر او علی باب السلطان او غیر ذلک والی ما ینشأ اختیارا او بقصد وهو
الذی یبعث علی الاخوة فی الدین اذ لا ثواب الا علی الافعال الاختیاریة
ولا ترغیب الا فیها والصحبة عبارة عن المجالسة والمخالطة والمجاورة وهذا

الامور

الامور لا یقصد بها الانسان غیرها الا اذا احبه فان غیر المحبوب یجتنب ویباعد
ولا یقصد مخالطته والذی یحب فاما ان یحب لذاته لا لیتوصل به الی محبوب
ومقصود وذلک المقصود اما ان یکون مقصورا علی الدنیا وحظوظها او
اما ان یکون متعلقا بالاخرة واما ان یکون متعلقا بالله تع فهذه اربعة
اقسام اما القسم الاول وهو حبک الانسان لذاته وذلک ممکن وهو ان
یکون هو فی ذاته محبوبا عندک علی معنی انک تلتذ برؤیته ومعرفته و
مشاهدة اخلاقه لاستحسانک له فان کل جمیل لذیذ فی حق من ادرک الجمال
وکل لذیذ محبوب واللذة تتبع الاستحسان والاستحسان یتبع المناسبة والملائمة
والموافقة بین الطباع ثم ذلک المستحسن اما ان یکون الصورة الظاهرة اعنی الخلقة
واما ان یکون الصورة الباطنة اعنی کمال العقل وحسن الخلق ویتبع حسن الاخلاق
حسن الافعال لا محالة ویتبع کمال العقل غزارة العلم وکل ذلک مستحسن عند الطبع
السلیم والعقل المستقیم وکل مستحسن مستلذ به ومحبوب بل فی ایتلاف القلوب امر
اغمض من هذا فانه یستحکم المودة بین شخصین من غیر ملاحة فی صورة وحسن
فی خلق وخلق ولکن لمناسبة باطنة توجب الالفة والموافقة فان شبه الشیء
ینجذب الیه بالطبع والاشباه الباطنة خفیة ولها اسباب دقیقة لیس فی قوة البشر
الاطلاع علیها وعنها عبر رسول الله ص بقوله الارواح جنود مجندة فما تعارف
منها ایتلف وما تناکر منها اختلف فالتناکر نتیجة التباین والایتلاف نتیجة التناسب
الذی عبر عنه بالتعارف ویدخل فی هذا القسم المحبة للجمال اذا لم یکن المقصد قضاء
الشهوة فان الصورة الجمیلة مستلذة فی عینها وان قدر فقد اصل الشهوة حتی
یستلذ بالنظر الی الفواکه والانوار والانهار والتفاح المشوب بالحمرة والماء والخضرة
من غیر غرض سوی عینها وهذا الحب لا یدخل فیه الحب لله بل هو الحب بالطبع

لذاته واما ان یحب لیتوصل به
الی محبوب ومقصود وذلک واما
ان یحب لیتوصل به الی مقصود صح

وشهوة النفس وبتصوره ذلك ممن لا يؤمن بالله الا انه ان اتصل بغرض مذموم
صار مذموما والا فهو مباح لا يوصف بحمد ولا ذم القسم الثاني ان يحبه لينال من
ذاته غير ذاته فيكون وسيلة الى محبوب غيره والوسيلة الى المحبوب محبوب و
لذلك يحب الناس الذهب والفضة من حيث انهما وسيلة الى المقاصد كما يحب
الرجل سلطانا للانتفاع به ويحب خواصه لتحسينهم حاله عنده وتمهيد امره
في قلبه فالمتوسل اليه ان كان مقصود الفائدة دنيوية لم يكن من جملة الحب في الله
ثم ينقسم ذلك الى مذموم ومباح القسم الثالث ان يحبه لا لذاته بل لغيره و
ذلك الغير غير راجع الى حظوظه في الدنيا بل يرجع الى حظوظه في الآخرة وهذا
ايضا ظاهر لا غموض فيه وذلك كمن يحب استاده وشيخه لانه يتوسل به الى تحصيل
العلم وتحسين العمل ومقصوده من العلم والعمل الفوز في الآخرة فهذا من جملة المحبين
لله وكذا من يحب تلميذه لانه يتلقف منه العلم وينال بواسطته رتبة التعليم ويترقى
به الى درجة التعظيم في ملكوت السماء قال عيسى ع من علم وعمل وعلّم فذلك
يدعى عظيما في ملكوت السماء ولا يتم التعليم الا بمتعلم فهو اذن آلة في تحصيل
هذا الكمال فان احبه لانه آلة له اذ جعل صدره مزرعة لحرثه فهو محب لله
بل نزيد ونقول من يجمع الضيفان ويهيئ لهم الاطعمة اللذيذة تقربا الى الله
فاحب طباخا لحسن صنعته في الطبخ فهو من جملة المحبين في الله وكذا لو احب
من يتولى له ايصال الصدقة الى المستحقين فقد احبه في الله بل نزيد على هذا
ونقول من احب من يخدمه بنفسه في غسل ثيابه وكنس بيته وطبخ طعامه
وتفرغه بذلك للعلم والعمل ومقصوده من استخدامه في هذه الاعمال الفراغ
للعبادة فهو محب في الله القسم الرابع ان يحب لله وفي الله لا لينال منه علما او
عملا او يتوسل به الى امر وراء ذاته وهذا اعلى الدرجات وادقها واغمضها

وهذا

وهذا القسم ايضا ممكن فان من آثار غلبة الحب ان يتعدى من المحبوب
الى كل من يتعلق بالمحبوب ويناسبه ولو من بعد فمن احب انسانا حبا شديدا احب
احب مع
محب ذلك الانسان واحب محبوبه واحب من يخدمه واحب من يثني عليه
محبوبه واحب من يتسارع الى رضا محبوبه قال المجنون امر على الديار ديار
ليلى اقبل ذا الجدار وذا الجدارا وما حب الديار شغفن قلبي
ولكن حب من سكن الديارا فاذن المشاهدة والتجربة تدل على ان
الحب يتعدى من ذات المحبوب الى ما يتعلق به ولو من بعد ولكن ذلك
خاصية فرط المحبة فاصل المحبة لا يكفي فيه وقد مضى تمام الكلام فيه
في باب المحبة تتمة اعلم ان من يحب في الله لا بد وان يبغض في الله فانك
ان احببت انسانا لانه مطيع لله ومحبوب عند الله فان عصاه لا بد وان
تبغضه لانه عاص لله وممقوت عند الله فهما متلازمان وكل واحد منهما
دفين في القلب وانما يترشح بظهور افعال المحبين والمبغضين في المقاربة
والمباعدة وفي الموافقة والمخالفة فاذا ظهر في الفعل سمي موالاة ومعاداة
وروي ان الله تع اوحى الى نبي من الانبياء اما زهدك في الدنيا
فقد تعجلت الراحة واما انقطاعك الي فقد تعززت بي ولكن هل عاديت
في عدوا او واليت في وليا وقال عيسى ع تحببوا الى الله ببغض اهل المعاصي
وتقربوا الى الله بالتباعد عنهم والتمسوا رضا الله بسخطهم قالوا يا روح الله
من نجالس قال جالسوا من يذكركم الله رؤيته ومن يزيد في علمكم كلامه ومن
يرغبكم في الآخرة عمله فصل قال الباقر ع قام رجل بالبصرة الى امير المؤمنين ع
فقال يا امير المؤمنين اخبرنا عن الاخوان فقال الاخوان صنفان اخوان
الثقة واخوان المكاشرة فاما اخوان الثقة فهم الكهف والجناح والاهل و

للمال فاذا كنت من اخيك على الثقة فابذل له مالك وبدنك وصاف من
صافاه وعاد من عاداه واكتم سره وعيبه واظهر منه الحسن واعلم ايها
السائل انهم اقل من الكبريت الاحمر واما اخوان المكاشرة فانك تصيب لذتك
منهم فلا يقطعن ذلك منهم ولا تطلبن ما وراء ذلك من ضميرهم وابذل
لهم ما بذلوا لك من طلاقة الوجه وحلاوة اللسان والكثرة التبسم كاثرة
كثف لهم عن انيابه وقال الصادق ع قال امير المؤمنين ع لا عليك ان تصحب
ذا العقل وان لم تحمد كرمه ولكن انتفع بعقله واحترس من سيء اخلاقه
ولا تدعن صحبة الكريم فان لم تنتفع بعقله ولكن انتفع بكرمه بعقلك وافرر
كل الفرار من اللئيم الاحمق وقال الصادق ع عليك بالتلاد واياك وكل
محدث لا عهد له ولا امان ولا ذمة ولا ميثاق وكن على حذر من اوثق
الناس في نفسك فان الناس اعداء النعم وقال ع لا تكون الصداقة
الا بحدودها فمن كانت فيه هذه الحدود او شيء منها فانسبه الى الصداقة
ومن لم يكن فيه شيء منها فلا تنسبه الى شيء من الصداقة فاولها ان يكون سريرته
وعلانيته لك واحدة والثانية ان يرى زينك زينه وشينك شينه
والثالثة ان لا تغيره عليك ولاية ولا مال والرابعة ان لا يمنعك شيئا تناله مقدرته
والخامسة وهي تجمع هذه الخصال ان لا يسلمك عند النكبات وفي مصباح
الشريعة قال الصادق ع فقد ثلثة اشياء في كل زمان الاخاء في الله والزوجة
الصالحة الالفة في دين الله والولد الرشيد ومن اصاب احد الثلثة فقد اصاب
خير الدارين والحظ الاوفر في الدنيا واحذر ان تواخي من ارادك لطمع او خوف
او فشل او اكل او شرب واطلب مواخاة الاتقياء ولو في ظلمات الارض ولو — اوميل الى الصبا
[illegible]
افنيت عمرك في طلبهم فان الله عز وجل لم يخلق على وجه الارض افضل منهم بعد النبيين

وما انعم

وما انعم الله على العبد بمثل ما انعم به من التوفيق بصحبتهم قال الله عز وجل
الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين واظن من طلب في زماننا هذا صديقا بلا
عيب بقي بلا صديق الا ترى ان اول كرامة اكرم الله بها انبياءه عند اظهار دعوتهم
تصديق امين او ولي وكذلك من اجل ما اكرم الله به اصدقاءه واولياءه وامناءه
صحبة انبيائه وهو دليل على انه ما في الدارين نعمة اجل واطيب وازكى من الصحبة
في الله والمواخاة لوجهه **خاتمة الكتاب** اعلم ان ما اوردناه في هذا الكتاب وحققناه
في هذه المقالات والابواب من الاسرار الدينية والمعارف اليقينية وما اشرنا اليه من رموز
العقايد وما بسطنا الكلام فيه من بيان الاخلاق المحمودة والمذمومة ومن اسرار
الاعمال الحسنة والسيئة قلما يوجد في غيره من الكتب بهذا التنقيح والتهذيب وهذا
التوضيح والترتيب مع ابتناء ما اخذناها على الاصول الاصلية التي لا اعتماد الا عليها
ولا وثوق الا بها من الكتاب والسنة واحاديث اهل بيت النبوة دون آراء الناس من اصحاب
الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس ولقد و
فقني الله تعالى بجمعها وتاليفها في ستة اشهر فلا اقل من سنة ١٠٩٠ تسعين والف
الهجرية حين كنت اشرفت على الرحيل وكان قد مضى من عمري ثلث وثمانون ونيف قليل
وكان قد اكتنفني اسباب الاختلال الاحوال وتشتت البال من امراض وعلل جسمانية
غير موثوق الزوال ولعلما وفقني الله لذلك بسبب ما انعم الله به علي من العقايد الحقة وبما
تفضل الله به علي من موالاة اوليائه ومعاداة اعدائه بعد ان عرفني الله اولياءه
واعداءه بوحي منه سبحانه الى رسوله وتبليغ رسوله الى عباده وتسليمي لهم وتبعيتي
وارشاده واما ثمرة هذا الجمع والتاليف وجدواه فهي ان يطلع عليه من كان اهلا ووفق
التوفيق من الله وقويت همته وبلغ سعيه منتهاه فيعمل بمقتضاه ثم يفوز بمبتغاه
ومن كان دونه يعمل به بقدر مقدوره وعلى حسب ميسوره وهكذا الى من ينتفع

بشئ يسير ويوزن سنبله من بعد ركيبه واما امثالنا من الذين يقولون ما لا
يفعلون وينسون انفسهم اذا كانوا بالبر يامرون ففائدته في حقهم زيادة
بصيرتهم في تقصيرهم وقصورهم حتى يصير ذلك سببا لمقتهم انفسهم و
ذلهم وانكسارهم واطلاعهم على بواطن عيوبهم وفضائح غيوبهم واعرجا بهم فان
الايمان يقتضي ان لا يرضى العبد المؤمن لنفسه ما لا يرضى الله به مولاه
فاذا لم يرض به يكون لا محالة دائم الحزن والندم كثير الغم والالم فان كان كذلك
يرجى له ان يتداركه الله بالرحمة والمغفرة فان الله غفور رحيم وقد ورد ان
العبد ليذنب الذنب فلا يزال منه خائفا ماقتا لنفسه فيرحمه الله فيدخله
الجنة وما خرج عبد من ذنب الا بالاقرار والاعتراف بالذنب كفارة له
ومن اذنب ذنبا فعلم ان الله مطلع عليه ان شاء عذبه وان شاء غفر له غفر الله
وان لم يستغفر ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا
رحيما ونحن نستغفر الله من كل ما زلت به القدم او طغى به القلم ومن اقوالنا
التي لا يوافقها اعمالنا ومما ادعيناه واظهرناه من العلم والبصيرة بدينك مع التقصير فيه ومن كل علم
وعمل قصدنا به وجهك الكريم ثم خالطه غيره ومن كل وعد وعدنا به من انفسنا ثم قصرنا في الوفا به ومن كل
نعمة انعم الله بها علينا فاستعملناها في معصيته ومن كل لمحة تصريح او تعريض بنقصان ناقص وتقصير مقصر
كنا متصفين به ومن كل خطرة دعتنا الى تصنع وتكلف تزيننا للناس في كتاب سطرناه او كلام نظمناه
او علم افدناه او استفدناه ثم نرجع اليه بعد الاستغفار من جميع ما تكلمنا به او من خالع كتابنا هذا ان
و... ان يتفضل علينا بالمغفرة وان رحمته التجاوز من جميع السيئات فان الكريم عميم وان رحمته واسعة
والجود شامل اصناف الخلايق فانا نحن خلق من خلقه لا وسيلة لنا اليه الا فضله وكرمه فقد
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله مائة رحمة انزل منها رحمة واحدة بين الجن والانس والطير والبهائم
والهوام فيها يتعاطفون وبها يتراحمون واخر تسعا وتسعين رحمة يرحم الله بها عباده يوم القيمة

الهي درست الامال وتغيرت الاحوال وكذبت الالسن واخلفت العدات الا عدتك
فانها وعدتك مغفرة وفضلا اللهم صل على محمد وال محمد واعطني من فضلك واعذني من
الشيطان الرجيم سبحانك وبحمدك ما اعظمك واحلمك واكرمك وسع حلمك تمرد
المتكبرين واستغرقت نعمك شكر الشاكرين وعظم حلمك من احصاء المحصين وجل طولك
عن وصف الواصفين كيف لا افضلك حلمت عمن خلقته من نطفة ولم يك شيئا
فربيته بطيب رزقك وانشاته في تواتر نعمك ومكنت له في مهاد ارضك
ودعوته الى طاعتك فاستنجد على عصيانك باحسانك وجحدك وعبد غيرك في
سلطانك كيف لا احلمك امهلتني وقد شملتني ببرك واكرمتني بمعرفتك
واطلقت لساني بشكرك وهديتني لسبيل الى طاعتك وسهلتني المسالك الى كرامتك
واحضرتني سبيل قربتك فكان جزاؤك مني ان كافيتك عن الاحسان بالاساءة
حريصا على ما اسخطك منقلبا فيما استحق به المزيد من نقمتك سريعا الى ما ابعدني من
رضاك مغتبطا بغرة الامل معرضا عن زواجر الاجل لم ينفعني حلمك عني وقد اتاني
توعدك باخذ القوة مني حتى دعوتك على عظيم الخطيئة استزيدك في نعمك غير
متاهب لما قد اشرفت عليه من نقماتك مستبطئا لمزيدك ومتسخطا لميسور رزقك
مقتضيا جوائزك بعمل الفجار كالمراصد رحمتك بعمل الابرار مجتهدا اتمنى عليك
العظايم كالمدل الامن من قصاص الجرايم فانا لله وانا اليه راجعون مصيبة عظم رزؤها
وجل عقابها بل كيف لولا املي ووعدك الصفح عن زللي ارجو اقالتك وقد
جاهرتك بالكباير مستخفيا عن اصاغر خلقك فلا انا راقبتك وانت معي ولا
انا راعيت حرمة سترك على باي وجه القاك وباي لسان اناجيك وقد نقضت
العهود والايمان بعد توكيدها وقد جعلتك علي كفيلا ثم دعوتك مقتحما في الخطيئة
فاجبتني ودعوتني واليك فقري فلم اجب فوا سوءتاه وقبح صنيعاه انه

جرأة بجرأت واى نعوذ بعزتك نفس سبحانك فبك اتقرب اليك بحقك اقسم
عليك ومنك اهرب اليك بنفسى استخففت عند معصيتي لا بنفسك وتجهل
اغتررت لا بجهلك وحقي اضعت لا عظيم حقك ونفسي ظلمت ولرحمتك رجوت
وبك امنت واليك انبت وتضرعت فارحم اليك فقري وفاقتي وكبوتي
وجهي جبرني في سوابق ذنوبي انك ارحم الراحمين ولنختم الكلام حامدين
لله ومصلين على نبيه عليه وعليهم السلام واهل بيت نبيه عليه وعليهم السلام
والحمد لله اولا واخرا وظاهرا وباطنا اللهم وفقني
الى العمل بهذه المراتب المذكورة المسطورة ولجميع
المؤمنين ومن نظر اليها وقاريها اللهم
اغفر لنا ولوالدينا ولجميع المؤمنين
وللمرد عا للكاتبه
فتمت هذه الرسالة الشريفة في يوم الجمعة الرابع من العشر الثاني من الشهر
الثاني عشر من السنة السادس من المائة الثالث من الالف الثاني من الهجرة
١٢٠٦



جرائتي جرأت وأي تعويم عن تهت نفسي بجنايات فبك أتقرب اليك وبحقك أقسم

عليك ومنك أهرب اليك بنفسي استخففت عند معصيتي لا بنفسك وبجهلي

اغتررت لا بجلالك وحقي أضعت لا عظيم حقك ونفسي ظلمت ولرحمتك رجوت

وبك آمنت واليك أنبت وتضرعت فارحم اليك فقري وفاقتي كرحمتك

وتجاوز عني في سوالف ذنوبي انك ارحم الراحمين ولنختم الكلام حامدين

لله ومصلين على نبيه عليه وعلى آله السلام واهل بيت نبيه عليه وعليهم السلام

والحمد لله اولا وآخرا وظاهرا وباطنا اللهم وفق

لي العمل بهذه المراتب المذكورة المسطورة ولجميع

المؤمنين لمن نظر اليها وقاريها اللهم

اغفر لنا ولوالدينا ولجميع المؤمنين

ولمن دعا لكاتبه

قد تمت هذه الرسالة الشريفة في يوم الجمعة الرابع من العشر الثاني من الشهر

الثاني عشر من السنة السادس من المائة الثالث من الالف الثاني من الهجرة

١٣٠٦



جرأتي بجزائك واي تعوذ بعزتك نفسي بحبائك فبأي اتقرب اليك بحقك اقسم
عليك ومنك اهرب اليك بنفسي استخففت عند معصيتي لا بنفسك وبجهلي
اغتررت لا بحلمك وحقي اضعت لا عظيم حقك ونفسي ظلمت ولرحمتك رجوت
وبك آمنت واليك انبت وتضرعت فارحم اليك فقري وفاقتي وكبوتي
وجهي وجرئتي في سوالف ذنوبي انك ارحم الراحمين ولنختم الكلام حامدين
لله ومصلين على نبيه عليه وعليهم السلام واهل بيت نبيه عليه وعليهم السلام

والحمد لله اولا واخرا وظاهرا وباطنا اللهم وفقني
للعمل بهذه المراتب المذكورة المسطورة ولجميع
المؤمنين ومن نظر اليها وقارئيه اللهم
اغفر لنا ولوالدينا ولجميع المؤمنين
ولمن دعا لكاتبه

فتمت هذه الرسالة الشريفة في يوم الجمعة الرابع من العشر الثاني من الشهر
الثاني عشر من السنة السادس من المائة الثالث من الالف الثاني ١٣٠٦

حسرتي